



[illegible] الد[illegible] لتهذيب

١٩١٠

للمدا[illegible] الابتدائيــــة

[illegible] الأوّل

مقرر [illegible]ــــنة الأولى

أمر[illegible] المعارف العمومية

مصطفى [illegible] و عطية الأسقر

المدرس بمدرسة [illegible] الناصرية — مساعد المفتش بالمعارف

أقر هذا الكتاب [illegible] الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأ[illegible] الشيخ سليم البشرى حفظه الله

الطبعة الثالثة بالمطبعة [illegible] المصريه رمضان سنة ١٣٣٢ هـ

(صورة ما كتبه [illegible] الفضيلة [illegible] ستاد الا [illegible] بر شيخ

الجامع الازهر الشيخ [illegible] طا لكتاب دروس

الديانة والتهذيب للمدارس [illegible]

(بسم الله [illegible] م)

الحمد لله الذى أكرم [illegible] بتهذيب الاخلاق .

ومنحهم إقامة الدليل على أنه الو[illegible] حد المحسن الخلاق .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر ال[illegible] ار ورأس الديانه . وعلى آله

وأصحابه الذين نشروا الأخلاق الفا[illegible] وأدوا الأمانه . وبعد

[illegible] على كتاب الديانة والته[illegible] للمدارس الا[illegible]

صنيع [illegible] [illegible] لين الشيخ مصطفى عنانى

والشيخ عطية الأشقر فوجدته من [illegible] مع التاليف . وأحسن

التصانيف . صحيح المبنى . صادق ال[illegible] جمع من المعارف ما نشتت

مع سهولة العبارة . وحسن الاشارة . فلله در مؤلفيه . كرأ[illegible] عانيه

رزقه الله الاقبال والقبول . انه أ[illegible] رم مسئول ا

٤ محرم سنة ١٣٢٩ شيخ الجامع الا[illegible]ر

٥ يناير سنه ١٩١١ الختم



الْحمد لله رب العالمين * الرَّحْمن الرحيم * مالك يوم الدِّين * إيَّاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستعين * اهدنا الصِّراط المُسْتَقيم * صراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عليهم * غَير المغضوب عليهِم ولا الضَّالِّين * آمين

﴿ وبعدُ ﴾ فهذا هو الجزء الاول من دروس الدين والتهذيب للمدارس الابتدائية ، على آخر منهاج أقرَّته وزارة المعارف العمومية نسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يعم النفع به إنه سميع الدُّعاء واسع العطاء

عطيه الأبراشي مصطفى أمين

س اِقْرَأْها

ح بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ * اِعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ مَعْنَى أَحَدٌ [وَاحِدٌ] وَأَنَّ الصَّمَدَ ، هُوَ الَّذِي نَطْلُبُ مِنْهُ جَمِيعَ حاجاتِنا ، وَأَنَّ الْكُفْوَ، مَعْناهُ الْمِثْلُ

س مَا مَعْنَى اللهُ أَحَدٌ ،

ج مَعْناهُ اللهُ وَاحِدٌ

س مَا مَعْنَى اللهُ الصَّمَدُ ،

ح مَعْناهُ أَنَّ الَّذِي نَطْلُبُ مِنْهُ جَمِيعَ الْحاجَاتِ هُوَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى

س مَا مَعْنَى لَمْ يَلِدْ ،

ج مَعْناهُ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ وَلَا بِنْتٌ

س مَا مَعْنَى لَمْ يُولَدْ ،

ج مَعْناهُ لَيْسَ لَهُ أَبٌ وَلَا أُمٌّ

س ما مَعْنَى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ؟

ح مَعْنَاهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِثْلُ اللهِ

س مَا الَّذِي اسْتَفَدْتَهُ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ ؟

ج اِسْتَفَدْتُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَطْلُبُ مِنْهُ أَرْزَاقَنَا وَجَمِيعَ حَاجَاتِنَا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ وَلَا بِنْتٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا وَالِدَةٌ ، وَأَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ

٣ — اللهُ هُوَ الْمُعْطِي لِكُلِّ شَيْءٍ

أَتَعْرِفُ يَا بُنَيَّ مَاذَا نَسْتَفِيدُ مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ ، أَنَا أُخْبِرُكَ بِبَعْضِ فَوَائِدِهِمَا

بَعْضُ النَّبَاتِ نَأْخُذُ مِنْهُ غِذَاءَنَا كَالْقَمْحِ وَالذُّرَةِ وَالْأُرْزِ وَالْخُضَرِ . وَبَعْضُهُ يَتَغَذَّى بِهِ الْحَيَوَانُ كَالْبِرْسِيمِ وَالْفُولِ وَبَعْضُهُ نَتَّخِذُ مِنْهُ الْأَبْوَابَ وَالشَّبَابِيكَ وَالسُّقُفَ . كَالْأَشْجَارِ الْعَظِيمَةِ . وَبَعْضُهُ نَتَّخِذُ مِنْهُ مَلَابِسَنَا :

كَالقُطْنِ وَالكَتَّانِ

أَمَّا الحَيَوانَاتُ فَإِنَّنا نَنْتَفِعُ بِها كَثِيراً : فَنَتَغَذَّى بِلُحُومِها وأَلْبانِها ، ونَصْنَعُ المَلابِسَ مِنْ أَشْعارِها وأَصْوافِها وأَوْبارِها ، وَنَتَّخِذُ النِّعالَ وَالْعِيابَ [١] وَالسُّرُوجَ مِنْ جُلُودِها ، ونَسْتَعْمِلُها فِي جَرِّ الْعَجَلاتِ ، والْعَرَباتِ ، وفِي الْمِحْرَاثِ ، وَالنَّوْرَجِ ، وَكُلِّ أَعْمَالِ الفِلاحَةِ

وَلْتَعْلَمْ أَنَّ لِلْمِياهِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً . نَشْرَبُ مِنْها ، ونُنَظِّفُ بِها أَجْسامَنا ومَلابِسَنَا ، ويَشْرَبُ مِنْهَا الْحَيَوَانُ والنَّبَاتُ ، ولَا يُمْكِنُنا أَنْ نَعِيشَ بِدُونِها

وإِنَّكَ لَتَرَى الشَّمْسَ نَهاراً ولَا تَعْرِفُ فَوَائِدَها ، وأَنَا أَذْكُرُ لَكَ شَيْئاً مِنْهَا

إِنَّ مِنْ فَوَائِدِ الشَّمْسِ الضَّوْءَ وَالْحَرارَةَ — ولَوْلَاها مَا عاشَ إِنْسَانٌ ، ولَا حَيَوَانٌ ، ولَا نَمَا نَبَاتٌ . ومِنْ فَوَائِدِهَا أَيْضاً سُهُولَةُ السَّيْرِ فِي النَّهَارِ . وهِيَ السَّبَبُ فِي أَنْ

---

(١) العياب جمع عيبة وهى المعروفة فى العرف الآن (بالشنطة)

الْقَمَرَ يُضِيءُ لَيـلًا

أَىْ بُنَىَّ النَّجِيبَ ، إِذَا فَهِمْتَ ما تقدَّمَ فَأَخبِرْنِي عَن هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ

س مَنِ الذِى خَلَقَ لَنَا النَّبَاتَ ، والْحَيَوَانَ ، والْمَاءَ ، والشَّمْسَ والْقَمَرَ ؟

ج خَلَقَهَا اللهُ تَعالَى

س إِذَا كانَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى هُوَ الّذِى خَلَقَ لَنا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وسهَّلَ لَنَا الانْتِفَاعَ بِفَوَائِدِها، فَما الَّذِى يَجِبُ عَلَيْنَا لَهُ ؟

ج يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّةِ آبَائِنا وأُمَّهاتِنا

س كَيْفَ نُحِبُّ اللهَ تعالى ؟

ج نَعْمَلُ ما يُحِبُّهُ ونَتْرُكُ ما يَكْرَهُهُ

س مَاذا تَعَلَّمْتَ مِنْ هذا الدَّرْس

ج تَعَلَّمْتُ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى أَعْطَانا كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنا أَنْ نُحِبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِنَا ٤١٠

وأمهاتنا ومعلّمينا ، ونعملَ ما يُحبُّهُ ويُرْضِيهِ ، ونَتْرُكَ ما يَكْرَهُهُ ويُغضِبُهُ

﴿ ٤ — ما يحبُّهُ اللهُ تعالى وما يَكْرَهُهُ ﴾

منَ الأَشْياءِ الّتي يُحِبُّها اللهُ سبْحانه وتعالى أَنْ تَكُونَ صادِقًا ، أَمِينًا ، مُطِيعًا أَباكَ وأُمَّكَ ومُعَلِّمَكَ ، نَظِيفًا ، مُحافِظًا عَلى كُتُبِكَ وأَدواتِكَ ، مُجْتَهِدا في دُرُوسِكَ وأَعمالِكَ . وأَنْ تُحِبَّ إِخْوَتَكَ وأَخَوَاتِكَ وأَقارِبَكَ وجِيرانَكَ ، وأَلّا تُؤْذِيَ إِنْسانًا ولا حَيَوانًا . وأَنْ تُؤَدِّيَ الصَّلَوَاتِ في أَوْقاتِها وتُطِيعَ جَمِيعَ الأَوامِرِ الّتي يأْمُرُكَ بِها سبحانهُ وتعالى

ومِنَ الأَشْياءِ الَّتي يَكْرَهُها اللهُ تعالى أَنْ تُمَزِّقَ ثيابَكَ ، أَوْ كُتُبَكَ ، أَوْ تُوسِّخَها ، أَوْ تُتْلِفَ شَيْئًا منْ أَدَواتِ البيْتِ ، أَو المَدْرَسَةِ . أَوْ تَكُونَ قاسِيًا على إِخوتِكَ الصِّغارِ . أَوْ مُؤْذِيا لِلحَيَواناتِ . أَوْ تُخالِفَ أَوامِرَ أَبوَيْكَ

ومُعَلِّمِيكَ . أَوْ تُسِيءَ الى أَحَدٍ. أَوْ تَكْذِبَ . أَوْ تَسْرِقَ أَوْ تعمَلَ ما شا كلَ ذَلِكَ منَ الأَعمالِ الذَّميمةِ

أَىْ بُنَىَّ مَنِ الَّذِى عَرَّفَنَا أَنَّ اللهَ يُحِبُّ هذا الشَّىْءَ ويَكْرَهُ الشَّىْءَ الآخرَ ؟

إِنَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْكَ أَنْ تُجِيبَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ وإِنِّى أُجِيبُ عَنْهُ بالنِّيابَةِ عَنْكَ . إِنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قدِ اخْتار نَاساً منْ بَنِى آدَمَ وعَلَّمَهُمْ مايُحِبُّهُ ومايَكْرَهُهُ وأَرْسَلَهُمْ إِلَيْنا ليُعَلِّمُونا ولِذَلِكَ سُمُّوا بالرُّسُلِ

س ماخُلاصَةُ هَذَا الدَّرْس ؟

ج خُلاصَةُ هذا الدَّرْسِ أَنَّ الأَشْياءَ التى يُحِبُّها اللهُ تعالى هِيَ النَّظافَةُ ، والصِّدْقُ ، والأَمانَةُ ، وكُلُّ الأَشْياءِ الحَسَنَةِ . وأَنَّ الأَشْياءَ التى يَكْرَهُها اللهُ تعالى الكَذِبُ ، والخِيانَةُ ، والسَّرِقَةُ ، وكُلُّ الأَشْياءِ الرَّدِيئَةِ وأَنَّ الذى علَّمَنا ذَلِكَ هُمُ الرُّسُلُ

٥ — الرُّسُلُ

أَتَعْرِفُ يابُنَيَّ مَنْ هُمْ الرُّسُلُ

الرُّسُلُ هُمْ ناسٌ مِثْلُنا يأْكلُونَ ويَشْرَبُونَ ويَنامُونَ . اخْتارَهُمْ اللهُ تعالى وعلَّمَهُمْ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ وَيُرْشِدُوهمْ الى فِعلِ الأَشْياءِ التى يُحِبُّها اللهُ تعالى ويُنَبِّهُوهُمْ الى تَرْكِ الأَشْياءِ التى يَكْرَهُها . وهُمْ صادِقُونَ أُمَنَاءُ يُحِبُّهُمْ اللهُ تعالى ، ويُحِبُّ الذينَ يُحِبُّونَهُمْ ويَتَّبِعُونَهُمْ

(وَالرُّسُلُ كَثِيرُونَ) مِنهُمْ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ، وسَيِّدُنا مُوسَى ، وسَيِّدُنا عِيسَى ، وسَيِّدُنا يُوسُفُ ، وسيِّدُنا ابْراهِيمُ وسيِّدُنا اسْماعِيلُ ، وقَدْ عَلَّمُوا النَّاسَ مُدَّةَ حَياتِهِمْ كَما أَمَرَهُمْ اللهُ تعالى

وأَوَّلُهُمْ سيِّدُنا آدَمُ ، وآخِرُهُمْ سيِّدُنا مُحَمَّدٌ . وقدْ مَضَى مِنْ وفاتِهِ الى هذِهِ السَّنَةِ (أى سنة ١٣٣٢)

١٣٣٢ سنه

والأَشياءُ التى علَّمَها اللهُ لِلرُّسُلِ تُسَمَّى (دِينا) . وقَدْ أَنْزَلَها عَلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ مِنَ المَلائِكَةِ يُسَمَّى جِبْرِيلَ . فِى كُتُبٍ تُسَمَّى الكُتُبَ الإِلَهِيَّةَ أَوِ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ . ولِكُلٍّ مِنْها اسْمٌ مُخْتَصٌّ بِهِ

فاسْمُ الكِتابِ الذى أُنْزِلَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ (القُرْءَانُ) الكَرِيمُ ، وأَنْتُمْ تَحْفَظُونَ مِنْهُ سُوَرًا كَثِيرَةً كَسُورَةِ الفاتِحَةِ وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ؛ ويُوجَدُ كَثِيرٌ مِنَ الناسِ يَحْفَظُونَهُ كُلَّهُ عَنْ ظَهْرِ قَلب ؛ وهُوَ أَصْلُ الدِّينِ الإِسْلامِىِّ

واسْمُ الكِتابِ الذى أُنْزِلَ عَلَى سيدِنا مُوسَى (التَوْراه)

واسْمُ الكِتابِ الذى أُنْزِلَ عَلى سيدِنا عِيسَى (الإِنْجيلُ)

٦ — أَبُوهُ وأُمُّهُ

إِذَا عَلِمْتَ يابُنَيَّ أَنَّ سيِّدَنا مُحَمَّدًا هُوَ السَّبَبُ فى مَعْرِفَتِنا الدِّينَ الإِسْلامِيَّ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ شَيْئًا مِنْ سِيرَتِهِ وتارِيخِ حَياتِهِ

سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ صلى الله عَليهِ وسَلَّمَ مِنْ قَبِيلَةٍ شَرِيفَةٍ تُسَمَّى قَبِيلَةَ قُرَيْش ؛ وهِيَ قَبِيلَةٌ مُحْتَرَمَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ العَرَبِ

واسْمُ أَبِيهِ عَبْدُ اللهِ ، كانَ أَعْظَمَ رَجُلٍ فى قُرَيْشٍ

واسْمُ جَدِّهِ عَبْدُ المُطَّلِبِ . وكانَ عَبْدُ المُطَّلِبِ هذا عَظِيمَ قُرَيْش وسَيِّدَها ، وكانَ لَهُ عِدَّةُ أَبْناءٍ مِنْهُمْ أَبُو طالِبٍ وعَبْدُ اللهِ وهُوَ أَحَبُّهُمْ الَيْهِ

واسْمُ أُمِّهِ آمِنَةُ وكانَتْ مِنْ أَفْضَلِ نِساءِ قُرَيْشٍ

فَسَيِّدُنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليهِ وسَلَّمَ وُلِدَ مِنْ أَبَوَيْنِ شَرِيفَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، ومِنْ أُسْرَةٍ شَرِيفَةٍ مُحْتَرَمَةٍ عِنْد

جَمِيعِ العَرَبِ

(اسئلة) ـ (١) مااسم قبيلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (٢) مااسم أبيه (٣) مااسم جده (٤) مااسم امه

﴿ ٧ — وِلادَتُه صلى الله عليهِ وسَلَّمَ ﴾

عَلِمَ بَعْضُ اليَهُودِ مِنَ التَّوْرَاةِ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فى قُرَيْشٍ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ ؛ تَخْضَعُ لَهُ النَّاسُ ، وتَحْتَرِمُهُ المُلُوكُ . ولَهُ علاماتٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ فَلَمَّا وُلِدَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٌ صلى اللهُ علَيهِ وسَلَّمَ كانَتْ تِلْكَ العَلاماتُ مُتَحَقِّقَةً فِيهِ تَمَامَ التَّحَقُّقِ . وكانَتْ وِلادَتُه صلى الله علَيهِ وسَلَّمَ عامَ الفِيلِ يوم الاثنين التاسع من شهر رَبِيعٍ الأَوَّلِ سنة احدَى وخَمْسِينَ قَبْلَ الهِجْرَة (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ ميلادِيَّه) ولما أَرْسَلَتْ أُمُّهُ لِجَدِّه عَبْدِ المُطَّلِبِ تُبَشِّرُهُ أَقْبَلَ مَسْرُوراً وسَمَّاهُ محمدا . وكانَ والِدُهُ قَدْ تُوُفِّيَ بَعْدَ حَمْلِ أُمِّه بِهِ بِشَهْرَيْنِ

ولما كانَ وُجودُهُ صلى الله عليهِ وسلَّمَ رَحْمَةً لِلعالَمِينَ كانَ كَثيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَحْتَفِلُونَ كُلَّ سَنَةٍ بيَوْمِ ميلادِهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ فَيولِمُونَ الوَلائِمَ ويَتَصَدَّقُونَ عَلى الفُقَراءِ ويَجْتَمِعُونَ لِسَماعِ قِصَّةِ مَوْلِدِهِ لِيَتَذَكَّرُوا فَضْلَهُ العَظِيمَ صلى الله عليهِ وسلَّمَ

(اسئلة) — (١) فى أى سنة ولد صلى الله عليه وسلم (٢) من الذى سماه (٣) لماذا يحتفل الناس بمولده عليه الصلاة والسلام

﴿ ٨ — وفاةُ أُمِّهِ وكَفالَةُ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَهُ ﴾

تُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةِ آمِنَةُ أُمُّهُ صلى الله عليهِ وسلَّمَ وعُمْرُهُ سِتُّ سِنِينَ فاخْتَصَّ بِتَرْبِيَتِهِ وكَفالَتِهِ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ وكانَ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ أَوْلادِهِ ويُكْرِمُهُ غايَةَ الإِكْرامِ لأَنَّهُ كانَ يراهُ مُؤَدَّبًا نَظِيفًا قانِعًا مُتَّصِفًا بالصِّفاتِ المَمْدُوحَةِ ، وكانَ لا يأْكُلُ إِلاَّ ويَقُولُ . أَحضِرُوا مُحَمَّدًا فإِذا أَتَى أَجْلَسَهُ بِجِوارِهِ وأَحْيانًا يَقْعُدُ عَلى فَخِذِهِ ويَخُصُّهُ بِأَطْيَبِ الطعامِ

وقَدْ بَلَغَ مِنْ حفاوَتِهِ بِهِ ، وإِكْرَامِهِ لَهُ ، أَنَّهُ كانَ لَهُ مَفْرَشٌ فى الحِجْرِ لايَجْلِسُ عليهِ غَيْرُهُ ؛ وكانَ عُظَماءُ قُرَيْش وكُبَرَاؤُهُمْ يَجْلِسُونَ حَوْلَهُ، دُونَ المَفْرَش ، فَجاءَ رَسُولُ اللهِ ، وهو غُلامٌ لم يَبْلُغِ الحُلُمَ فَجَلَسَ عليهِ فَجَذَبَهُ رَجُلٌ فَبَكَى — فقال جَدُّهُ ، وقَدْ كانَ كُفَّ بَصَرُهُ : مالابْنِى يَبْكِى ؟ قالُوا لَهُ أَرادَ أَنَّهُ يَجْلِسُ على المَفْرَش فَمَنَعُوهُ — فقال عَبْدُ المُطَّلِب . دَعُوا ابْنِى يَجْلِسْ عَلَيهِ فإِنَّهُ يُحِسُّ مِنْ نَفْسِهِ بِشَرَفٍ ، وأَرْجُو أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مالم يَبْلُغْهُ عَرَبِىٌّ قَبْلَهُ ولابَعْدَهُ — فكانُوا بَعْدَ ذَلِكَ لايَرُدُّونَهُ، حَضَرَ عَبْدُ المُطَّلِبِ أَو غابَ .

ولما بَلَغَ ثَمانَ سَنَواتٍ تُوُفِّىَ جَدُّهُ ، وكانَ قَدْ أَوْصَى بأَنْ يَقُومَ بِتَرْبِيَتِهِ وكَفَالَتِهِ عَمُّهُ أَبُو طالِبٍ لأَنَّهُ شَقِيقُ أَبِيهِ

(اسئلة) — كم كانت سنه صلى الله عليه وسلم وقت وفاة أمه (٢) من الكافل له بعد وفاة أمه (٣) كم كانت سنه عليه السلام حين توفى جده (٤) من الذى كفله بعد جده

﴿٩ — كَفالَةُ عَمِّهِ أَبِي طالِبٍ لَهُ صلى الله عليهِ وسلَّم﴾

بَعْدَ وفاةِ جَدِّهِ قامَ بِتَرْبِيَتِهِ وكَفالَتِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عمُّهُ أَبو طالِبٍ، وكانَ لَهُ عِيالٌ كَثِيرُونَ ومالٌ قَلِيلٌ فَبارَكَ اللهُ لَهُ في مالِهِ إِكْراما لِرَسُولِهِ، وكانَ عِيالُهُ إِذا أَكَلُوا وحْدَهُمْ لايَشْبَعُونَ وإِذا أَكَلَ صلى الله عَلَيهِ وسلم مَعَهُمْ شَبِعوا فَلِذَا كانَ يأْمُرُهُمْ إِذا عَزَمُوا عَلَى الأَكْلِ أَنْ يَدْعُوهُ صلى الله عَلَيهِ وسلَّمَ، فَما أَكَلَ مَعَهُمْ مِنْ طَعامٍ إِلَّا وفَضَلَ مِنهُ شَيْءٌ واذَا كانَ الطَّعامُ لَبَنًا شَرِبَ أَوَّلَهُمْ ثُمَّ أَعْطاهُمُ القَدَحَ فَيَشْرَبُونَ مِنهُ جَمِيعا فَيَكْفِيهِمْ فَيَقُولُ لَهُ عَمُّهُ أَبو طالِبٍ. إِنَّكَ لَمُبارَكٌ.

ولَمْ يَفْعَلْ في صِغَرِهِ صلى الله عَلَيهِ وسلَّمَ قَطُّ مايَفْعَلُهُ الأَطْفالُ في بَعْضِ الأَحيانِ مِنَ اخْتِطافِ الطَّعامِ والتَزاحُمِ علَيهِ كَما أَنَّهُ كانَ لايَشْكُو جُوعًا ولاعَطَشًا لافي صِغَرِهِ ولافي كِبَرِهِ

(اسئلة) ـ ماذا كان يأمر به أبو طالب أولاده اذا عزموا على الاكل (٢) ما الذى كان يحصل اذا أكل رسول الله مع أولاد أبى طالب (٣) هل كان أبو طالب غنيا وما الذى حصل له بسبب كفالته لرسول الله

﴿ ١٠ — صِدْقُهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴾

إذا جاءَ تِلميذٌ إلى المَدْرَسَةِ متأَخِّرًا وقالَ له أُستاذُهُ أينَ كُنْتَ فأَخْبَرَهُ بالحَقيقَةِ كانَ صادِقا . وإذا أَمْلَى أُستاذٌ على تَلاميذِهِ أَعْدادا ثُمَّ قالَ ليَقِفْ مَنْ كانَ حاصِلُ جَمْعِهِ (١) فوَقَفَ تِلميذٌ لَمْ يَكُنْ حاصِلُ جَمْعِهِ كَذَلِكَ كانَ هذا التِّلْميذُ كاذِبا . وإذا كَسَرَ إِنْسانٌ زُجاجَ نافِذَةٍ ورَأَى غَيْرَهُ يُعاقَبُ على كَسْرِهِ وسَكَتَ ، عُدَّ سُكُوتُهُ كَذِبا . وإذا سأَلَ إنسانٌ آخَرَ عن شارِعِ المَدْرَسَةِ فأَشارَ بِرَأْسِهِ إلى شارِعٍ غَيْرِ شارِعِها ، كان ذلكَ كَذِبا فالصادِقُ هو الذى يَكُونُ كُلُّ كَلامِهِ وأَعمالِهِ وسُكُوتِهِ وإشاراتِهِ موافِقا للحقيقة

والصادِقُ يُصَدِّقُهُ النَّاسُ ويُحِبُّونَهُ ويُساعِدُونَهُ

وقدْ كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلّم صادِقا فى جَمِيعِ أَقْوالِهِ وأَعمالِهِ وسُكُوتِهِ وإِشاراتِهِ حتّى اشْتَهَرَ بَيْنَ قَوْمِهِ بالصِّدْقِ منْ صِغَرِهِ ، فيَنبَغِى أَنْ نكُونَ صادِقِينَ لِيُحِبَّنا اللهُ ورَسُولُهُ ويُصَدِّقَنا النَّاسُ ويَحْتَرِمُونا ويُساعِدُونا فى أَعمالنا

(اسئلة) ـ (١) مافائدة الصدق (٢) بم تجيب اذا تأخرت عن المدرسة وسئلت عن سبب التأخير (٣) هل الصدق يكون فى الكلام فقط

﴿ ١١ ـ الامانة ﴾

إِذا أَعطاكَ تِلْمِيذٌ كِتابا أَو دَواةً أَو أَىَّ شَىْءٍ لِتَحفَظَهُ لهُ فحَفِظْتَهُ ثُمَّ طَلَبَهُ منْكَ فرَدَدْتَهُ إِلَيْهِ سالِما كَما استَلَمْتَهُ فإِنَّكَ تكُونُ أَمِينا . وإِذا وجَدَ تِلْمِيذٌ كِتابا أَو قلَما أَو كُرَّاسَةً أَو قِرْشا ولَمْ يَعْرِفْ صاحِبَهُ واجْتَهَدَ فى البَحْثِ عنهُ لِيُسَلِّمهُ إِلَيهِ فإِنهُ يكُونُ أَمِينَا . أَمَّا إِذا أَخَذَهُ لِنَفْسِهِ فلَيْسَ بأَمِينٍ : لِأَنَّهُ أَخَذَ شَيْئاً

لا يَمْلِكُهُ . وكُلُّ انسانٍ يأْخُذُ لِنَفْسهِ شَيْئا مَمْلُوكا لِغَيْرِهِ يكُونُ خائِناً . فالذى يَسْرِقُ منْ دُكَّانٍ أَو نَحْوِهِ غَيْرُ أَمِينٍ ويُعاقَبُ على السَّرِقَةِ . والطِفْلُ الذى يأْخُذُ شَيْئاً من مِلْكِ أَبِيهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ لَيْسَ أَمينا ويُعاقِبُهُ والِدُهُ ويكْرَهُهُ . والتِلْمِيذُ الذى يَنْقُلُ من ورَقَةِ أَخِيهِ عند الامْتِحانِ أَو يُكَلِّفُ غَيْرَهُ بالعَمَلِ فى كُرَّاساتِهِ لا يُعَدُّ أَميناً لِأَنَّهُ نَسَبَ عَمَلَ غَيْرِهِ إِلى نَفْسِهِ . والغُلام الذى تُرْسِلُهُ الى آخَرَ لِيُبَلِّغَهُ كَلاما إِذا غَيَّرَ فيهِ أَوْلَمْ يُبَلِّغْهُ لا يكُونُ أَمينا : لأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ الكَلامَ الذى اؤْتُمِنَ على تأْدِيَتِهِ . والإِنسانُ الأَمِينُ يأْمَنُ على نَفْسِهِ العُقُوبَةَ ويَثِقُ النَّاسُ بِهِ ويساعدونه على مايريد فيتسع رزقه ويعيش مسرورا

(اسئلة) ـ (١) ما دا تعمل اذا أودع انسان عندك شيئا (٢) ماذا تعمل اذا وجدت كتابا لغيرك (٣) مافائدة الامانة

﴿ ١٢ – أَمانَتُهُ عليهِ الصلاة والسلامُ ﴾

كانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَمينا لا يأخذُ إلَّا حَقَّهُ ولا يكتُمُ شيئًا من الأَشياء التى أمرَهُ اللهُ بتبليغها للنَّاس . كانَ يَرْعَى الغَنَمَ فى صِغَرِهِ مع إخوَتِهِ من الرَّضاعِ فكانوا يَشهَدُونَ لهُ بالأَمانَةِ . وسافرَ مع عمِّهِ أَبى طالِب بتِجارَةٍ الى الشَّام وسِنُّهُ اثنَتا عَشْرَةَ سنة فكانَ يأمَنهُ على مالهِ ويثق بهِ لِمَا رآهُ من أَمانتِهِ واستِقامتِهِ ولمَّا اشْتَهَرَ بهذِهِ الصِّفَةِ ، طلبَتْ منهُ السيِّدَةُ خَدِيجَةُ أَنْ يَتَّجِرَ لها فى مالها فأَجابَها إلى ذلكَ وربِحَتِ التِّجارَةُ ببرَكَةِ أَمانَتِهِ رِبْحا عظيما . وحصَلَ بيْنَ قُرَيْش وقتَ بناء الكَعْبَةِ خِلافٌ بسبَبِ وضعِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ فحَكَّمُوا أَوَّلَ داخلٍ إلى المَسْجِدِ فكانَ هو صلى اللهُ عليهِ وسلم – فقالوا هذا الأَمينُ نَرْضَى حُكمهُ فأَزالَ بحِكْمَتِهِ الخِلافَ الذى كانَ بيْنَهُمْ وكانَتْ جَميعُ أَعمالِهِ وأَقوالِهِ مبْنِيَّةً على الأَمانَةِ والاستِقامَةِ حتى سُمّى

الأَمِينَ عليهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسْلِيمِ

(اسئلة) — (١) ما الذى دلنا على أمانته صلى الله عليه وسلم (٢) لماذا سمى الامين (٣) ماذا تعمل لتكون أمينا

﴿١٣ — تاريخُ انْتِقالِهِ منْ مكَّةَ الى المدينةِ وسَنَةُ وفاتِهِ﴾

لما بلَغَ سيِّدُنا مُحَمَّدٌ أَرْبَعِينَ سنَةً أَرْسَلَهُ اللهُ ليعلِّمَ الناسَ الدِّينَ فمَكَثَ فى مكَّةَ ثلاث عشْرَةَ سَنَةً يُرْشِدُهُمْ إِلى عِبادَةِ اللهِ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْها إِلى المَدِينَةِ (١٦ يوليه سنة ٦٢٢ ميلاديَّه) وأَقامَ بِها عشْرَ سَنَواتٍ. ثُمَّ تُوُفِّىَ وسِنُّهُ ثلاثٌ وستُّونَ سَنَه ودُفِنَ بِها ولا يَزالُ قَبْرُهُ الشَّرِيفُ هُنالِكَ يَزُورُهُ النَاسُ. والسَّنَةُ الَّتِى انْتَقل فِيها صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الى المدينةِ تُسمَّى سنة الْهِجْرة وهِىَ مبْدأُ التَّارِيخِ الهِجْرِىِّ

(اسئلة) — (١) فى أى بلد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فى أى سنة ميلادية انتقل من مكة الى المدينة (٣) كم سنة أقامها بالمدينة (٤) كم كانت سنه وقت وفاته (٥) فى أى بلد قبره الشريف (٦) كم كانت سنه وقت الرسالة (٧) كم سنة مضت من وقت وفاته الى الآن

﴿ ١٤ — العِباداتُ ﴾

العِبادَةُ هيَ الخُضُوعُ والانقيادُ للهِ تعالى وذَلكَ يكُونُ بفِعْلِ الأُمُورِ الَّتى أَمَرَنا اللهُ بفِعلِها ووعَدَنا عليْها الثَّوابَ فى الآخِرَةِ ، ومِنْها الصَّلاةُ والصَّوْمُ والحَجُّ والزَّكاةُ

﴿ الصَّلَوَاتُ المَفْرُوضَةُ ﴾

فَرَضَ اللهُ على سيِّدِنا مُحمدٍ وأُمَّتِهِ أَنْ يُصلُّوا كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ خَمْسَ صَلَواتٍ . وهِيَ صَلاةُ الصُّبْحِ وصَلاةُ الظُّهْرِ وصَلاةُ العَصْرِ وصَلاةُ المَغْرِبِ وصَلاةُ العِشاء

ويُؤْمَرُ الإِنْسانُ بالصَّلاةِ متَى بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ ، فإِذا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ ولَمْ يُصَلِّ يُضْرَبُ عليْها ليَفْعَلَها حتَّى تَكُونَ لهُ عادَةً ، فيَسْهُلَ عليهِ أَداؤُها متَى كَبِرَ .

ولابُد لِمَنْ أَرادَ الصَّلاةَ مِنَ الِاسْتِنْجاءِ والوُضُوءِ ، وهما مِنْ أَهَمِّ أَنْواعِ النَّظافَةِ

(أسئلة) — (١) متى يؤمر الانسان بالصلاة (٢) متى يضرب عليها (٣) ماهى الصلوات الخمس

النظافة

النَّظافةُ — هِيَ النَّقاءُ مِن الوَسَخِ والقَذَرِ

وهِيَ مِنَ الأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ لِلإِنْسانِ لأَنَّها تُورِثُ صاحِبَها سَلامَةً في جِسْمِهِ ، وقُوَّةً في أَعْضائِهِ ، وانْشِراحاً في صَدْرِهِ . فَتَسْهُلُ أَعْمالُهُ ، وتَتَيَسَّرُ أَحْوالُهُ ، فَعَلَى كُلِّ عاقِلٍ أَنْ يُلاحِظَها في جِسْمِهِ وثِيابِهِ ومكانِهِ وأَدَواتِهِ وما أَشْبَهَ ذَلِكَ لِيَكُونَ مَحْبُوباً مُحْتَرَما . ومِمَّا لاشَكَّ فيهِ أَنَّ بَعضَ الأَعْضاءِ إِذا لَمْ تَنَظَّفْ تَنْظِيفاً تاماً رُبَّما تَلِفَتْ وذَهَبَتْ فائِدَتُها . وكَثِيراً مانَرَى أَقْواماً يَنفِرُ النَّاسُ مِنْهُمْ ولايَخْتَلِطُونَ بِهِمْ لاِتِّساخِ أَجْسامِهِمْ وثِيابِهِمْ وكَرَاهَةِ رَائِحَتِهِمْ . فَتَتَعَطَّلُ أَعمالُهُمْ وتَنْقَبِضُ صُدُورُهُمْ وتُصِيبُهُمْ الأَمْرَاضُ . نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ

١٥ — الاستِنجاءُ

إِذا قَضَى الإِنْسانُ حاجَتَهُ وطَهَّرَ مَوْضِعَ النَّجاسَةِ

بالمـاء أَو بالأَحجارِ أَو ما يَقُومُ مَقامَها فهـذهِ الطَّهارَةُ يُقالُ لهـا الاستِنْجاء

﴿ ١٦ — كَيفيَّةُ الوُضوء ﴾

اذا أَرادَ الإِنسانُ أَنْ يَتَوَضَّأَ يَعمَلُ مايأْتي — يَنوى الوُضوءَ ويَقُولُ بسم الله الرحمن الرحيم — ويَغسِلُ يدَيهِ الى رُسغَيْهِ . ويُنَظِّفُ ماتَحْتَ الأَظْفارِ منَ الوَسَخِ — ويَتَمَضْمَضُ ثلاثَ مرَّاتٍ . ويَستاكُ ولَوْ بإِصبَعِهِ — ويَستَنْشِقُ ثلاثَ مرَّات — ويَغسِلُ وجهَهُ كلَّهُ ثلاثَ مرَّاتٍ — ويَغسِلُ يدَيهِ اليُمنَى واليُسرَى ثلاثَ مرَّاتٍ معَ المِرفَقَينِ — ويَمسَحُ رأْسَهُ — ويَمسَحُ أُذنَيهِ منَ الظَّاهِرِ بإِبهامَيهِ ومنَ الباطِنِ بسَبَّابتَيهِ — ويَغسِلُ رجلَيهِ الى كَعبَيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ — ويَقولُ: أَشهَدُ أَنْ لاإِلَهَ إِلا اللهُ وحدَهُ لاشَريكَ لهُ وأَشهَدُ أَنَّ محمدا عَبْدُهُ ورَسولُهُ اللهمَّ اجعَلْني منْ عبادِكَ التوَّابِينَ واجعَلْني منَ المُتَطَهِّرِين

(اسئلة) ـ (١) ماذا تعمل بعد ان تمضمض (٢) كم مرة تستنشق (٣) أين مرفقاك (٤) أين رسغاك (٥) كيف تتوضأ

﴿ ١٧ — مُبْطِلاتُ الوُضُوءِ ﴾

اذا تَوَضَّأْتَ يَجُوزُ لكَ أَنْ تُصَلِّيَ صَلاةً أَو صَلاتَيْنِ أَو أَكْثَرَ بالوُضوءِ الوَاحِدِ ما لَمْ يَبْطُلِ الوُضوءُ . والذى يُبْطِلُ الوُضُوءَ أَشْياءُ : مِنْها خُرُوجُ شَيْءٍ مِنَ السَّبِيلَيْنِ والنَّوْمُ . وزَوالُ العَقْلِ . فإِذا حَصَلَ شَيْءٌ مِنْ هـذِهِ الأَشْياءِ بَطَلَ الوُضوءُ ووجَبَ عليكَ إِذا أَرَدْتَ الصَّلاةَ أَنْ تَتَوَضأَ مَرَّةً ثانيةً

(اسئلة) ـ (١) كم صلاة يصليها الانسان بالوضوء الواحد (٢) بأى شيء يبطل الوضوء

﴿ ١٨ — الأَشْياءُ التى تَلْزَمُ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ ﴾

اذا جاءَ وقْتُ الصَّلاةِ وأَرَادَ الإِنْسان أَنْ يُصَلِّيَ فَلابُدَّ أَنْ يكُونَ مُتَوَضِّئًا . وجِسْمُهُ طاهِرا . وثَوْبُهُ الذى يَسْتُرُ جِسْمَهُ طاهرا . والمكان الذى يُصَلِّي فيهِ

طاهراً (أَىْ خاليا منَ النَّجاسةِ مِثْل البوْلِ والدَّمِ) . وأَنْ يُوَجِّهَ وجْهَهُ الى القبْلَةِ . وأَنْ يَنْوِىَ الصَّلاةَ — والسَّبَبُ فى ذَلكَ أَنَّ المُصلِّيَ واقِفٌ بيْنَ يَدَىِ اللهِ سبْحانهُ وتعالى فيَجبُ أَنْ يكُونَ جِسْمُهُ وملْبَسُهُ ومكانُهُ على أَحْسَنِ حال . وأَنْ يكُونَ متَوَجِّهًا حيْثُ أَمَرَهُ اللهُ

(اسئلة) — (١) ماهى الاشياء اللازمة قبل كل صلاة (٢) ماسبب وجوب الطهارة على المصلى (٣) الى اى جهة يوجه المصلى وجهه

﴿ ١٩ — التَّشهُّدُ ﴾

(يجبُ حفظُهُ)

التَّحيَّاتُ للهِ والصَّلَوَاتُ والطَّيِّباتُ ، السَّلامُ علَيْكَ أَيُّهاالنَّبِيُّ ورَحْمَةُاللهِ وبرَكاتُهُ ، السَّلامُ علَيْنا وعلَى عبادِاللهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاإِلهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورَسُولُهُ . اللَّهُمَّ صَلِّ علَى محمدٍ وعَلَى آلِ محمدٍ كما صلَّيْتَ على إِبْرَاهيم وعلَى آلِ إِبْرَاهيم ، وبارِكْ علَى مُحَمدٍ وعلى آلِ محمد كما باركْتَ علَى إِبْرَاهيمَ وعلَى آلِ ابْرَاهيمَ فى العالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ م؟

﴿ ٢٠ — كَيْفِيَّةُ صَلاةِ الصُّبْحِ ﴾

إِذا أَرَدتُ أَنْ أُصَلِّيَ الصُّبْحَ — أَقِفُ وأَرْفعُ يَدَيَّ بِجانِبِ أُذُنَيَّ وأَقُولُ نَوَيْتُ أَنْ أُصلِّيَ الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ فَرْضاً لِلّهِ العَظِيمِ اللهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ أَضَعُ يَدِي اليُمْنىٰ علىٰ اليُسْرَى تَحْتَ السُّرَّةِ — وأَقْرَأُ جَهْراً الفاتِحَةَ وبَعْضَ آياتٍ مِنَ القُرْءَانِ الكَرِيمِ وأَقُولُ اللهُ أَكْبَرُ، وأَرْكَعُ (أَيْ أَحْنِي ظَهْرِي وأَنا قائِمٌ وأَضَعُ كَفَّيَّ علَى رُكْبَتَيَّ) وأَقولُ وأَنا رَاكِعٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ سُبْحانَ رَبِّيَ العَظِيمِ ثُمَّ أَرْفَعُ رَأْسِي مِنَ الرُّكُوعِ وأَقولُ (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) وأُكَبِّرُ وأَسْجُدُ (أَيْ أَضَعُ جَبْهَتِي وأَنْفِي ويَدَيَّ ورُكْبَتَيَّ وأَصابِعَ قَدَمَيَّ علَى الأَرْضِ) وأَقولُ وأَنا ساجِدٌ (سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعْلَى) ثَلاثَ مَرَّاتٍ — وأَرْفَعُ رَأْسِي مِنَ السُّجُودِ قائِلاً اللهُ أَكْبَرُ — وأَجْلِسُ قَلِيلاً وأُكَبِّرُ لِلسُّجُودِ مَرَّةً ثانِيَةً وأَقُولُ وأَنا ساجِدٌ (سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعْلَى) ثَلاثَ مَرَّاتٍ — وأَرْفعُ رَأْسِي من السَّجْدَةِ الثّانِيةِ

وأقومُ مُكبِّرًا (وكلُّ هذهِ الأعمالِ تُسمَّى رَكْعَةً) ثمَّ أقومُ للرَّكعةِ الثَّانيةِ وأقرأُ جهرًا الفاتحةَ وبعضَ آياتٍ منَ القرءانِ الكريمِ. ثمَّ أفعلُ كما فعلتُ في الرَّكعةِ الأولَى. وبعدَ السَّجدةِ الثَّانيةِ أجلِسُ على رِجلِي اليُسرَى وأنصِبُ قدَمِي اليُمنَى وأبسُطُ كفَّيَّ على فخِذَيَّ وأقرأُ التَّشهُّدَ — وألتفِتُ بوجهِي الى اليمينِ وأقولُ (السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ) ثمَّ إلى اليسارِ وأقولُ (السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ) وبذلكَ تنتهي صلاةُ الصُّبحِ

(اسئلة) — (١) ماذا تعمل بعد الركوع (٢) متى تقرأ التشهد (٣) ماذا تصنع بعد قراءة التشهد (٤) ما عدد ركعات الصبح (٥) بأي شيء تنتهي الصلاة

﴿ ٢١ — كيفيَّةُ صلاةِ الظُّهرِ ﴾

أقِفُ وأرفعُ يدَيَّ بجانبِ أُذُنَيَّ وأقولُ (نويْتُ أنْ أُصلِّيَ أربعَ ركعاتٍ فرضَ الظُّهرِ للهِ العظيمِ اللهُ أكبرُ) وأقرأُ الفاتحةَ وبعضَ آياتٍ منَ القرءانِ الكريمِ سِرًّا. ثمَّ أُكمِّلُ الرَّكعةَ الأولى مِثلَ الصُّبحِ — وأقومُ للرَّكعةِ

الثَّانيةِ وأُصليها كالرَّكعةِ الأولى — وبَعْدَ السَّجْدَةِ الثَّانيةِ أَجلِسُ وأَقرَأُ التَّشَهُّدَ إلى (وأَشهَدُ أَنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسُولُهُ) — وأَقومُ للرَّكعةِ الثَّالثةِ مُكبِّراً ثُمَّ أَقرَأُ الفاتحةَ فقَطْ سِرّاً، ثُمَّ أُكمِلُ الرَّكعةَ الثَّالثةَ كالأُولى — وأَقومُ للرَّكعةِ الرَّابعةِ وأُكمِلُها كالثَّانيةِ . وبَعْدَ السَّجْدَةِ الثَّانيةِ أَجلِسُ وأَقرَأُ التَّشَهُّدَ بتمامِهِ ثُمَّ أُسلِّمُ يميناً ويَساراً وبذلِكَ تنتَهي صلاةُ الظُّهْرِ

(اسئلة) — (١) ما عدد ركعات الظهر (٢) ماذا تقرأ فى الركعة الثالثة وأنت واقف (٣) متى تقرأ التشهد كله (٤) كيف تصلى الظهر (٥) فى اى الركعات تقرأ بعض آيات غير الفاتحة

﴿ ٢٢ — كيفيَّةُ صلاةِ العَصْرِ ﴾

إذا أَرَدْتُ أَنْ أُصلِّيَ العَصْرَ أَقِفُ وأَرفَعُ يَدَيَّ بجانِبِ أُذُنَيَّ وأَقولُ (نَوَيْتُ أَنْ أُصلِّيَ أَربَعَ رَكعاتٍ فرْضَ العَصْرِ للهِ العَظيمِ اللهُ أَكبَرُ) ثُمَّ أُصلِّيهِ كما صلَّيْتُ الظُّهْرَ

﴿ ٢٣ — كيفيَّةُ صلاةِ المغْرِبِ ﴾

إذا أَرَدْتُ أَنْ أُصلِّيَ المغْرِبَ أَقِفُ وأَرفَعُ يَدَيَّ

بجانب أُذُنَىَّ وأَقُولُ (نَوَيْتُ أَنْ أُصلِّىَ ثلاثَ رَكعاتٍ فرضَ المَغْرِبِ لِلّهِ العَظِيمِ اللّهُ أَكْبَر) ثُمَّ أُتَمِّمُ الرَّكْعة الأُولى والثَّانيةَ كما صلَّيْتُهُما فى الظُّهْرِ إِلَّا أَنَّ قِرَاءَة الفاتِحة والآيات تكُونُ جَهْرًا فى الرَّكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَجلِسُ وأَقْرَأُ التَّشَهُّدَ الى (عَبْدُهُ ورَسُولُهُ) ثُمَّ أَقُومُ لِلرَّكْعةِ الثَّالِثةِ وأُصلِّيها كما صَلَيْتُ الرَّابعة مِنَ الظُّهْرِ وأَقْرَأُ التَّشَهُّدَ بتمامهِ ثُمَّ أُسلِّم

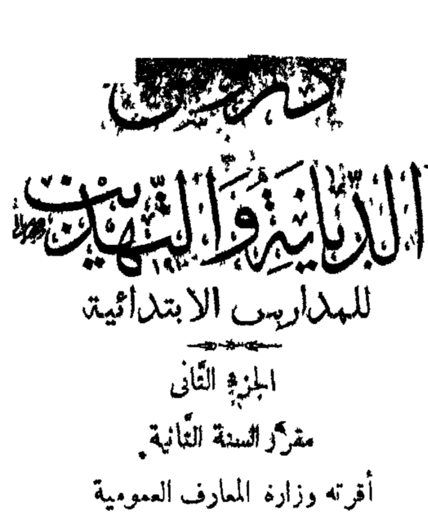
(اسـئلة) — (١) ماعدد ركعات المغرب (٢) ماالفرق بين القراءة فى الركعتين الاوليين من الظهر والمغرب (٣) كيف تصلى المغرب

﴿ ٢٤ — كَيْفِيَّةُ صلاةِ العِشاء ﴾

إِذا أَرَدْتَ أَنْ أُصَلِّىَ العِشاءَ أَقِفُ وأَرْفعُ يَدَىَّ بجانِبِ أُذُنَىَّ وأَقولُ (نَوَيْتُ أَنْ أُصلِّىَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فرضَ العِشاء لِلّهِ العَظِيمِ اللّهُ أَكْبَر) ثُمَّ أَقْرَأُ جَهْرًا الفاتِحة وبَعْضَ آياتٍ مِنَ القرْآنِ الكَرِيمِ فى الرَّكْعةِ الأُولى والرَّكْعةِ الثَّانية وأُتمِّمُ الصلاة كصلاةِ الظُّهْرِ

(اسـئله) — (١) ماعدد ركعات العشاء (٢) ماالفرق بين صلاة الظهر وصلاة العشاء (٣) كيف تصلى العشاء

﴿ تم بحمدالله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾



دروس الديانة والتهذيب

للمدارس الابتدائية

الجزء الثانى

مقرر السنة الثانية

أقرته وزارة المعارف العمومية

تأليف

عطية الاشقر	مصطفى عنانى
المدرس بالمدرسة	المدرس بمدرسة
السعيدية	دار العلوم

« يطلب من نجيب مترى صاحب مكتبة المعارف ومطبعتها »

أقر هذا الكتاب صاحب الفضيلة المرحوم الاستاذ الاكبر
شيخ الجامع الازهر الشيخ سليم البشرى

الطبعة التاسعة بمطبعة المعاهد بمصر فى رمضان

سنة ١٣٣٩ هـ مايو سنة ١٩٢١ م

(صورة ما [illegible]

شيخ الجامع الازهر [illegible] لكتاب

دروس الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أكرم أهل الديانة بتهذيب الأخلاق ، ومنحهم إقامة الدليل على أنه الواحد الأحد المحسن ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر الأسرار وأس الديانة وعلى آله وأصحابه الذين نشروا الأخلاق الفاضلة وأدوا الأمانة .

وبعد فقد اطلعت على كتاب الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية صنيع حضرتى الأستاذين الفاضلين الجليلين الشيخ مصطفى عنانى والشيخ عطية الأشقر فوجدته من أنفع التآليف ، وأحسن التصانيف : صحيح المبنى ، صادق المعنى جمع من المعارف ماتشتت مع سهولة العباره ، وحسن الاشاره . فلله در مؤلفيه ! كم أبدعا فيه : رزقه الله الاقبال والقبول ! انه أكرم مسئول

٤ محرم سنة ١٣٢٩	شيخ الجامع الازهر
٥ يناير سنة ١٩١١	الختم



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ وبعد ﴾ فهذا هو الجزء الثانى من كتاب (دروس الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية) يشمل مقرر السنة الثانية ؛ على حسب آخر منهاج سنته وزارة المعارف العمومية ، نسأل الله تعالى أن ينفع به آمين ؟

مصطفى عنانى ـ عطية الأشقر

امتثال لأوامر
الله تعالى ، ... الصلاة ،
والصوم ، والزكاة ، والحج
قواعد الإسلام

﴿ ١ — قواعد الإسلام ﴾

تَعرِفُ يا بُنَيَّ أنَّ البَيْتَ لا يُوجَدُ بدُون حيطانِه ، وأنَّ كلَّ حائطٍ لابُدَّ له من أساس . وهوَ البناء الذي يُوضَعُ أولاً ليقومَ عليه الحائطُ ، وهذا الأساسُ يسمّى قاعِدَةَ البَيْتِ ، ولا يتأتّى أن يَبقَى ذلكَ البناء إلا إذا وُجِدَت تلكَ القواعِدُ ـ كذلكَ الدِّينُ الإسلاميُّ له قَواعِدُ لا يُوجَدُ إلا بوجُودِها (وهي خَمسٌ) أولُها شهادَةُ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ سيّدَنا محمّدًا رَسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم . وثانيها الصلاةُ ، وثالثُها الزَّكاةُ . ورابعُها الصَّومُ

[illegible] في كلٍّ واحدٍ منها إن شاء [illegible]

أسئلة [illegible] (١) ماقواعد الاسلام (٢) [illegible]

مامعنى قاعدة الشيء ؟

١ ـ الش[illegible]

[illegible]ـهادتانِ هما (أشهدُ [illegible] إلاّ اللهُ ، وأشهدُ أنّ [illegible]ـداً رسولُ اللهِ)

ومعنى أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ أعتقِدُ وأعترفُ بأنّ الإلهَ المعبودَ بحقٍّ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجميعَ العالَمِ واحدٌ، وهوَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى

ومعنى أشهدُ أنّ محمّداً رسولُ اللهِ أعتقِدُ وأعترفُ أنّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى أرسلَ سيّدَنا محمّداً إلى النّاسِ كافّةً ليعلّمهم الدّينَ الإسلاميَّ ـ والنّطقُ بالشّهادتيْنِ هُوَ الرُّكنُ الأوّلُ مِنْ أركانِ الإسلامِ ، فلا يُعدُّ إنسانٌ مُسلِماً إلاّ إذا نطقَ بالشّهادتيْنِ

أسئلة ـ (١) ما معنى أشهد أن لا إله إلا الله ٢ ما معنى أشهد أن محمدا رسول الله ٣ انطق بالشهادتين

﴿ ٣ ـ الصلاة ﴾

قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ الصَّلاةَ يَلْزَمُكَ أَنْ تَعْرِفَ مايأتِي

(فُرُوضُ الوُضُوءِ)

فُرُوضُ[1] الوُضُوءِ أَرْبَعَةٌ[2] (١) غَسلُ الوَجْهِ وحَدُّهُ طُولاً مِنْ أَعْلَى الجَبْهَةِ إلى أَسْفَلِ الذَّقَنِ . وعَرْضاً ما بَيْنَ شَحْمَتَيِ الأُذُنَيْنِ (٢) وغَسْلُ اليَدَيْنِ معَ المِرْفَقَيْنِ (٣) ومَسْحُ رُبْعِ[3] الرَّأْسِ (٤) وغَسْلُ الرِّجْلَيْنِ معَ الكَعْبَيْنِ

(سُنَنُ الوُضُوءِ ومُسْتَحَبَّاتُهُ)

مِنْ سُنَنِ الوُضُوءِ ومُسْتَحَبَّاتِهِ النِّيَّةُ ، والتَّسْمِيَةُ ،

---

(١) الفرض ما لا تصح العبادة بدونه ، والسنة ما يثاب على فعله ويعاتب على تركه ، والمستحب ما يثاب على فعله ولا عتاب على تركه ٢ عند مالك سبعة بزيادة النية والفور والتدليك . وعند الشافعي ستة بزيادة النية والترتيب

(٣) عند مالك مسح جميع الرأس وعند الشافعي مسح البعض ولو شعرة

والاستياكُ ، والمضمضةُ ثلاثاً ، والاستنشاقُ ثلاثاً ، وتخليلُ اللحيةِ ، وتخليلُ الأصابعِ ، ومسحُ جميعِ الرأسِ ، ومسحُ الأذنينِ ، وتثليثُ الغسلِ ، وترتيبُ أعمالِه ، والبدءُ باليمنى في اليدينِ والرجلينِ ، والإتيانُ بالشهادتينِ بعدَ الفراغِ منهُ

مُبطِلاتُ الوضوءِ ومكروهاتُهُ

مِنْ مُبطِلاتِ الوضوءِ خروجُ شيءٍ من أحدِ السبيلينِ وسيلانُ[1] نجاسةٍ من غيرِهما : كدمٍ وقيحٍ . وقيءٌ ملأَ الفمَ . ونومُ الإنسانِ مضطجعاً ، أو متكئاً ، أو مستنداً إلى شيءٍ لو أُزيلَ عنهُ لسقطَ ، وإغماءٌ ، وجنونٌ ، وسكرٌ ، وقهقهةُ بالغٍ في صلاةٍ ذاتِ ركوعٍ وسجودٍ

---

١ عند مالك والشافعي لا يبطل الوضوء سيلان شيء من غير السبيلين ولا بالقيء ولا بالقهقهة ، وعند الشافعي يبطل الوضوء بلمس المرأة الاجنبية من غير حائل

وَمِنْ مَكْرُوهَاتِ الوُضُوءِ الإِسْرَافُ فِى المَاءِ ، والتَّقْلِيلُ مِنه حَتّى يَصِيرَ الغَسلُ كَالمَسْحِ ، وضَرْبُ الوَجْهِ بِهِ ، والاسْتِعَانَةُ فِيهِ بِلا عُذْرٍ

أسئلة ـ (١) مافروص الوضوء (٢) مامبطلاته (٣) مامكروهاته

فَوَائِدُ الوُضُوءِ

إِذَا تَأَمَّلْتَ يَا بُنَيَّ مَافَعَلْتَهُ فِى الوُضُوءِ ، وَجَدْتَ أَنَّكَ قَدْ نَظَّفْتَ يَدَيْكَ اللَّتَيْنِ تَتَنَاوَلُ بِهِمَا الأَشْيَاءَ ، وأَسْنَانَكَ الَّتِى تَأْكُلُ بِهَا ، وأَنْفَكَ الَّذِى تَتَنَفَّسُ مِنْهُ ، ووَجْهَكَ الَّذِى تُقَابِلُ بِهِ النَّاسَ ، وعَيْنَيْكَ اللَّتَيْنِ تَقْرَأُ بِهِمَا وتَنْظُرُ بِهِمَا الأَشْيَاءَ المُحِيطَةَ بِكَ ، وذِرَاعَيْكَ اللَّتَيْنِ كَثِيراً مَاتَكُونَانِ مُعَرَّضَتَيْنِ لِلْهَوَاءِ والغُبَارِ ، ورَأْسَكَ الَّذِى قد يَكُونُ مَغْمُوراً بِالعَرَقِ ، وأُذُنَيْكَ اللَّتَيْنِ قَدْ تَمْتَلِئَانِ غُبَاراً ورِجْلَيْكَ اللَّتَيْنِ قَدْ تُنْتِنَانِ مِنَ العَرَقِ

وَلاشَكَّ أَنَّ هذِهِ النَّظَافَةَ تُنَشِّطُكَ وتُقَوِّى أَعْضَاءَكَ وتَشْرَحُ صَدْرَكَ ، وأَظُنُّكَ تُحِسُّ بِذَلِكَ حِينَمَا تَتَوَضَّأُ

٤ — أوقاتُ الصَّلواتِ المفروضة

لِكُلِّ عَمَلٍ منَ الأَعمالِ وقتٌ مُعَيَّنٌ يَنبغي أنْ يُعمَلَ فِيه . ولِلصلاةِ أوقاتٌ مُعَيَّنةٌ يلزَمُ الإِنسانَ أنْ يُؤَدِّيها فِيها

وَوَقْتُ صَلاةِ الصُّبْحِ منْ طُلُوعِ الفَجْرِ الصَّادِق إلى قُبَيْلِ طُلوعِ الشَّمْس

ووَقْتُ صلاةِ الظُّهْرِ منْ وقتِ زَوَالِ الشَّمْسِ إلى أنْ يَصيرَ ظِلُّ كلِّ شيءٍ مِثْلَهُ

وَوقتُ صلاةِ العَصْرِ مِنْ وَقْتِ أنْ يَصيرَ ظِلُّ كلِّ شيْءٍ مِثْلَهُ إلى قُبَيْلِ غُرُوبِ الشَّمْسِ

ووَقْتُ صَلاةِ المغْرِبِ منْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إلى مغيبِ الشَّفَقِ الأَحْمَرِ

وَوقتُ صلاةِ العِشاءِ مِنْ مَغيبِ الشَّفَقِ الأَحمَرِ إلى قُبَيْلِ طُلوعِ الفَجْرِ الصَّادِقِ

فَيَجِبُ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى تَأْدِيَتِهِ لِكُلِّ صَلَاةٍ فِي وَقْتِهَا لِتَفُوزَ بِرِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى

أسئلة — (١) ماوقت صلاة الصبح ؟ (٢) ماوقت صلاة العصر ؟ (٢) ماوقت صلاة العشاء ؟

﴿ ٥ — الأَذانُ والإِقامةُ ﴾

لِكُلِّ صَلاةٍ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ لا تَصِحُّ تأْدِيَتُها قَبْلَهُ، ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُمْكِنُهُمْ مَعْرِفَةُ الأَوْقَاتِ بالشَّمْسِ والشَّفَقِ أوالسَّاعاتِ ، أوغيرها ؛ ومِنْهُمْ مَنْ لا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ ذَلِكَ فَلِهَذَا كانَ الأَذانُ سُنَّةً مُؤَكَّدَةً لِكُلِّ صَلاةٍ فَرْضٍ : لإِعلامِ النَّاسِ بِدُخُولِ وقتها ، ولِيَجْتَمِعُوا لِتأْدِيَةِ الصَّلاةِ مَعًا . فإِنَّ صَلاةَ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صلاةِ الإِنسانِ وَحْدَهُ قالَ عليه أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَزْكَى السَّلامِ (إِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ) . ولَفْظُ الأَذانِ (اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَر . اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ [1] أَشْهَدُ أَنْ

(١) عندمالك الله أكبر مرتين فقط

لا إلهَ إلّا اللهُ. أشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ، أشهدُ أنّ محمّداً رسولُ اللهِ، أشهدُ أنّ محمّداً رسولُ اللهِ. حيّ على الصّلاةِ، حيّ على الصّلاةِ. حيّ على الفلاحِ، حيّ على الفلاحِ. اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إلهَ إلّا اللهُ) ويُزادُ في أذانِ الصبحِ بعدَ حيّ على الفلاحِ (الصّلاةُ خيرٌ مِنَ النّومِ، الصّلاةُ خيرٌ مِنَ النّومِ)، ولمّا كانَ المصلّونَ قدْ يكثُرُ عددُهمْ شُرِعَتِ الإقامةُ لتنبيهِهمْ كما شُرِعَتْ أيضاً للمنفردِ ليستعِدَّ للصّلاةِ

وإقامةُ الصّلاةِ سنّةٌ مؤكّدةٌ أيضاً تُقالُ عِندَ القِيامِ إلى الصلاة — ولفظُها كلفظِ الأذانِ [١] غيرَ أنّهُ يُزادُ فيها بعدَ حيّ على الفلاحِ (قدْ قامتِ الصلاةُ) مرّتينِ

ويُستحبُّ أن يتمهّلَ المؤذّنُ في الأذانِ وأن يسرِعَ المقيمُ في الإقامةِ

أسئلة — (١) ما لفظ الأذان؟ (٢) ما لفظ الاقامه (٣) ما حكم الاذان والاقامة؟

---

(١) عند مالك كلها مفردة الا التكبير فمثنى وعند الشافعى كلها مفردة الا التكبير وقد قامت الصلاة فمثنيان

٦ — شُرُوطُ صِحَّةِ الصَّلاةِ

إذا أرادَ الإنسانُ أنْ يُقابِلَ أحَدَ الحُكَّامِ فإنَّهُ يَجْتَهِدُ فى تَنْظيفِ جِسْمِهِ وثيابِهِ ، وفى مُقابلَتِهِ فى الوَقْتِ المُعيَّنِ لهُ ، وعِنْدَ المُقابلَةِ يُوَجِّهُ وجْهَهُ إليْهِ ويُفَرِّغُ قَلْبَهُ لهُ

هٰذِهِ حالةُ الإنسانِ مَعَ الحاكِمِ الذى هُوَ إنْسانٌ مِثْلُهُ ، والإنْسانُ فى الصَّلاةِ واقِفٌ أمامَ أحْكَمِ الحاكِمِينَ القادِرِ على كلِّ شَيْءٍ وهو اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ، فيَلْزَمُهُ قَبْلَ الدُّخولِ فيها أنْ يكُونَ على أحْسَنِ حالٍ فى جِسْمِهِ وثِيابِهِ ومكانِهِ وتَوَجُّهِهِ حَيثُ أمَرَهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى معَ المُحافَظَةِ على الوقْتِ المَحْدُودِ لِلوُقُوفِ بيْنَ يَدَيْهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، ولِهذا يَجِبُ عليهِ أنْ يكون

(١) مُتَوَضِّئًا طاهِرَ الجِسْمِ والثَّوْبِ والمكان

(٢) مَسْتُورَ العَوْرَةِ : وهِيَ مِنَ الرَّجُلِ ما بيْنَ سُرَّتِهِ ورُكْبَتِهِ ، ومِنَ المَرْأَةِ الحُرَّةِ كلُّ بدَنِها ما عَدا وجْهَها وكَفَّيْها وقَدَمَيْها) والأَمَةُ كالرَّجُلِ و تَزيدُ عليْهِ

الظَّهْرَ والبَطْنَ

(٣) مُسْتَقْبِلَ القِبلَةِ

(٤) نَاوِيًا الصَّلاةَ عِنْدَ التَّكْبِيرَةِ الأُولى

(٥) مُؤَدِّيًا كلَّ صلاةٍ في وَقْتِها المعَيَّنِ لهَا لا قَبْلَهُ

(٦) آتِيًا بالتَّحرِيمَةِ قائِمًا أوإلى القِيامِ أقْرَبُ

فإذا فُقِدَ شَرْطٌ مِن هٰذِهِ الشُّرُوطِ فلا تَصحُّ صلاتُهُ

أسئلة — (١) ما الشروط التي تصح بها الصلاة؟ (٢) هل تصح صلاة الرجل الذي لم يستقبل القبلة ؟ (٣) هل تصح الصلاة قبل مجيء وقتها ؟

﴿ ٧ — الصَّلوَاتُ المفْرُوضَةُ ﴾

(وصلاةُ الوِترِ والنَّفْلِ ﴾

الصَّلوَاتُ المَفْرُوضَةُ على كلِّ إنسَانٍ بالغ . ذَكراً أوْ أُنْثَى هِيَ الصَّلوَاتُ الخَمسُ : الصُّبحُ ، والظُّهْرُ ، والعَصْرُ ، والمَغْرِبُ ، والعِشاءُ

أمَّا صلاةُ الوِترِ فوَاجِبَةٌ وهِيَ ثَلاثُ [1] رَكَعاتٍ

(١) الوتر سنة مؤكدة عند مالك والشافعي وهو ركعة عند مالك وأقله عند الشافعي ركعة وأكثره احدى عشرة ركعة

بَعدَ صلاةِ العِشاءِ بِتَسْلِيمَةٍ واحِدةٍ

والنَّفْلُ هُوَ الزَّائِدُ على الفَرْضِ ، ومِنْهُ رَكْعَتانِ بَعدَ كلِّ فَرْضٍ إلاّ الصُّبْحَ والعَصْرَ فلا شَيْءَ بَعدَهُما ، وأربَعٌ قَبْلَ كلِّ فَرْضٍ إلّا الصُّبْحَ فقَبْلَهُ رَكْعَتانِ وإلّا المَغْرِبَ فلا شيءَ قَبْلَهُ

أسئلة ـ (١) ماالصلوات المفروضة؟ (٢) مامعنى النفل؟ (٣) اذكر النفل الذى يصلى فى الظهر

﴿ ٨ — أرْكانُ الصَّلاةِ ﴾

فُرُوضُ(١) الصَّلاةِ : القِيامُ فى صلاةِ الفَرْضِ لِلقادِرِ

---

(١) الفروض عند مالك ثلاثة عشر وهى النية وتكبيرة الاحرام والقيام لها وقراءة الفاتحة والقيام لها والركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والجلوس بعد السجدة الاخيرة بقدر السلام والسلام المعرف بالالف واللام والطمأنينة والاعتدال

وعند الشافعى ثلاثة عشر أيضاً وهى النية والقيام مع القدرة وتكبيرة الاحرام وقراءة الفاتحة (وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها) والركوع مع الطمأنينة فيه والرفع منه مع الطمأنينة فيه والسجود مرتين فى كل ركعة مع الطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين مع الطمأنينة فيه والجلوس الاخير والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليمة الاولى وترتيب فروضها على ما ذكر

عليهِ . وقِرَاءةُ قُرْآنٍ لِغَيْرِ المُقْتَدِي . والرُّكُوعُ . والسُّجُودُ مرَّتيْنِ في كُلِّ رَكْعَةٍ ، والجُلوسُ الأَخِيرُ بِقَدْرِ قِرَاءَةِ التَّشهُّدِ ، والتَّرْتِيبُ بَيْنَ هذهِ الأَرْكانِ ، واليَقَظَةُ عِنْدَ أَدائِها

﴿ ٩ ـ صِفةُ تأْدِيَةِ الصَّلاةِ ﴾

إذا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ في الصلاةِ فارْفَعْ كَفَّيْكَ مُحَاذِيًا بإِبْهامَيْكَ شَحْمَتَيْ أُذُنَيْكَ ، ثُمَّ انْوِ الصَّلاةَ سِرًّا قائِلًا اللهُ أَكْبَرُ ، ثمَّ ضَعْ يَمِينَكَ على يَسارِكَ تحتَ (١) سُرَّتِكَ ، ثمَّ اقْرَإِ (٢) الثَّناءَ ، وهُوَ (سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ وتَبارَكَ اسْمُكَ وتَعالَى جَدُّكَ ولا إِلٰهَ غيرُكَ) ثمَّ تَعَوَّذْ سِرًّا واقْرَإِ البَسْمَلَةَ سِرًّا . ثمَّ اقْرَإِ الفاتِحَةَ وأَمِّنْ سِرًّا (٣) وضُمَّ إِلَيْها ماتَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ ، ثمَّ ارْكَعْ مُكَبِّرًا

---

(١) عند الشافعي تحت الصدر . وعند مالك ترسل اليدان

(٢) يكره عند مالك الثناء والتعوذ والتسمية (٣) عند الشافعي التسمية والتأمين يكونان جهراً في الجهرية وسراً في السرية

مُسَوِّيًا رَأْسَكَ بِعَجُزِكَ ، آخِذاً رُكْبَتَيْكَ بِيَدَيْكَ ، قائِلاً وأَنْتَ راكِعٌ سُبْحانَ رَبِّيَ العَظِيمِ ثلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ ارْفَعْ رأْسكَ لِلْقِيامِ قائلاً سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . ثمَّ كَبِّرْ لِلسُّجُودِ. وضَعْ رُكْبَتَيكَ على الأَرضِ قَبلَ (١) يَدَيْكَ ، واسْجُدْ بأَنفِكَ وجَبْهَتِكَ ، مُطْمَئِنًّا مُباعِداً بَطْنَكَ عَنْ فَخِذَيكَ وعَضُدَيكَ عنْ إبطَيْكَ . مُوَجِّهاً أصابِعَ يَدَيكَ ورِجْلَيكَ نَحْوَ القِبلَةِ ، وقُلْ وأَنتَ ساجِدٌ : سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعلى ثلاثَ مَرَّاتٍ ، ثمَّ ارْفَعْ رَأْسكَ مُكَبِّراً واطْمَئِنَّ جالِساً ، ثمَّ اسْجُدْ مُكَبِّراً لِلسَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ مُطْمَئِنًّا مُسَبِّحاً فِيها ثلاثاً كالأُولى ، ثمَّ ارْفَعْ رأْسكَ مُكَبِّراً لِلقِيامِ لِلرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بلا اعتِمادٍ على الأَرضِ بيدَيْكَ ، وافْعَلْ في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مافَعَلْتَ في الرَّكْعَةِ الأُولى إلَّا أَنَّكَ لا تُثْنِي فِيها ولا تَتَعَوَّذُ ، وبَعدَ فَراغِكَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ افْتَرِشْ رِجْلَكَ اليُسْرَى واجْلِسْ عليها وانْصِبْ يُمْناكَ

---

(١) عند مالك يضع يديه قبل ركبتيه

مُوَجِّهًا أصابِعَها إلى القِبْلَةِ ، وضَعْ يَدَيْكَ على فَخِذَيْكَ باسِطًا أصابِعَكَ ، واقرَإِ التَّشَهُّدَ ، ثمَّ كَبِّرْ قائمًا لِلرَّكعة الثَّالِثَةِ إن كانَتِ الصلاةُ رُباعِيَّةً أو ثُلاثِيَّةً ، وافعَلْ في الرَّكعَتَيْنِ الأُخرَيَيْنِ أوِ الرَّكعةِ الثَّالثَـةِ كما فَعَلْتَ في الأَولَيَيْنِ، غيرَ أنَّكَ لاتَقرَأُ إلاَّ الفاتِحَةَ فقطْ . وبَعدَ أن تَقرَأَ التَّشَهُّدَ تَضُمُّ إليهِ الصلاةَ على النَّبيِّ ثمَّ تُسَلِّمُ يمينًا ويَسارًا قائِلاً : (السَّلامُ عليكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ). فإنْ كانَتِ الصلاةُ ثُنائِيَّةً ، فأضِفْ إلى التَّشَهُّدِ بعدَ الرَّكعَةِ الثَّانيةِ الصلاة على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم ؛ ثمَّ سلِّمْ كما تَقَدَّمَ

أسئلة — (١) ماالشيء الذى تقرؤه بعد تكبيرة الافتتاح ؟ (٢) ماذا تقول وأنت راكع ؟ (٣) ماتقول وأنت ساجد ؟ (٤) فى أى الركعات تقرأ مع الفاتحة شيئا من القرآن الكريم (٥) فى أى الركعات تقتصر على الفاتحه

﴿ ١٠ مبطلات الصلاة ﴾

أنتَ فى الصلاةِ أمامَ اللهِ سبحانَه وتعالىٰ فيجبُ عليكَ أنْ تكُونَ فى غايةِ الأدبِ والخُشُوعِ ، وإذا حصلَ منكَ شىءٌ منَ المخالفاتِ الشرعيَّةِ بَطلتْ صلاتُكَ

ومنَ الأشياءِ التى تُبْطلُ الصلاةَ التَّكلُّمُ عمْداً أو سهْواً ، والبُكاءُ بصوْتٍ فيهِ حرُوفٌ ولو لوَجعٍ أو مُصيبةٍ ، وكذا التَّأفُّفُ والأَنِينُ ، والتَّأوُّهُ والتنحْنُحُ بِلا عُذْرٍ ، والضَّحِكُ والأكلُ ، والشُّرْبُ ، والعمَلُ الكثيرُ ، وكلُّ مُبْطِلاتِ الوُضُوءِ . فإذا حصلَ منْكَ أحَدُ هذهِ الأشْياء وأنْتَ فى الصلاةِ ، بَطَلَتْ صلاتُكَ ، ولزِمَكَ أنْ تُعيدَها

أسئلة — (١) ماالاشياء التى تبطل الصلاة ؟ (٢) هل تبطل الصلاة بالأكل ؟ (٣) ماذا تعمل اذا بطلت صلاتك ؟

﴿ فوائدُ الصلاةِ ﴾

إذا وقفَ الولدُ أمامَ مُعلِّمِه أو ناظِرِه أووالدِهِ فإنّه يجتهدُ أنْ يكونَ نظيفَ الثّيابِ والبدنِ ، حسَنَ الأَخلاقِ ، بعيداً عنِ الأَذَى

ولاشكَّ أنَّ الولدَ يعتقدُ أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليهِ ، يَرَاهُ ويَرَى أعمالَه : فإذا وقفَ فى الصلاةِ فإنّهُ يتذكّرُ عظَمةَ اللهِ تَعالىٰ ونعمَهُ التى أنعمَها عليهِ . حيثُ جعلَ لهُ عينَيْنِ يُبْصِرُ بهما ، ويدَيْنِ يَعْمَلُ بهما الأَشياءَ ، وعقْلاً يُفكّرُ بهِ ، ولِسانًا يتكلّمُ بهِ ، وأُذُنَيْنِ يَسْمَعُ بهما إلى غيرِ ذلكَ منَ النِّعَمِ الجليلةِ ، إذا تذكّرَ ذلكَ خشعَ قلبُهُ للهِ تعالىٰ ورأى أنَّ منَ الواجبِ عليهِ أنْ يُعظِّمَه ويحترِمَه . وذلكَ يكونُ باتِّباعِ أوامرِه واجتِنابِ منْهيَّاتِه ، وعدَمِ أذى النَّاسِ

وكُلَّما تكرّرَتِ الصلاةُ رَسختْ تلكَ العادةُ فى نفوسِ الأَولادِ وهمْ صِغارٌ فينشئونَ مُحبِّينَ لِلخيرِ فيرضَى اللهُ والنَّاسُ عنهُمْ ، وذلِكَ بسبَبِ الصلاةِ

﴿ ١١ — الصوم ﴾

الصومُ هُوَ الإمساكُ عَنِ المُفطِّراتِ : كالأكلِ والشُّرْبِ من طلوعِ الفجرِ إلى المغربِ . وقد فرَضَ اللهُ علينا أنْ نصومَ شهرَ رمضانَ من كلِّ سنةٍ ، ولا يكونُ الصَّوْمُ صحيحاً إلَّا بالنيَّةِ ، والخُلُوِّ مِنَ الحَيْضِ والنِّفاسِ . ويثبتُ رمضانُ برؤيةِ هلالِهِ أو بإكمالِ شعبانَ ثلاثين يوماً إنْ لمْ يظهرِ الهلالُ . قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم (صوموا لِرُؤيَتِهِ وأفطِروا لِرُؤيَتِهِ فإنْ غُمَّ (١) عَلَيْكُمْ فأكمِلُوا عِدَّةَ شعبانَ ثلاثينَ يوماً) . وتجبُ نِيَّةُ الصَّوْمِ لِكلِّ يومٍ (٢)

ويَنبغي لِلصَّائِمِ تَعجيلُ الفِطْرِ وتأخيرُ السُّحُورِ ، وأنْ يَحْفَظَ لِسانَهُ وجوارِحَهُ مِمَّا يُغضِبُ اللهَ تَعالى ، وأنْ يُحْسِنَ إلى الفقراءِ ، وأنْ يترُكَ الغَضَبَ والسَّبَّ والشَّتْمَ

(١) أي اشتبه (٢) عند الشافعي لا بد من تبييت نية الصوم كل ليلة وعند مالك تكفي نية صوم الشهر في أول ليلة منه

الذى اعتَادَهُ سِفْلةُ النّاسِ فى أيّامِ رمضانَ

﴿ مُبطلاتُ الصَّومِ ﴾

من مُبْطلاتِ الصوْمِ الأَكلُ ،والشُّرْبُ ، والحَيْضُ والنِّفاسُ . ولاينْبغِى لِلصّائِمِ أنْ يذُوقَ شيْئًا أو تمضغهُ .

﴿ فوائد الصَّوْمِ ﴾

منْ فَوائِدِ الصَّوْمِ تمْرِينُ الإِنسانِ على الصَّبْرِ واحتِمالِ الآلامِ ،وتَعْوِيدُهُ مُراقَبةَ نَفْسِهِ ومُراقَبةَ اللهِ تعالى فى أعمالِه ، وتهْذِيبُ النفُوسِ ، وترْبِيةُ العَطْفِ والشَّفقةِ على الفقَراء فى قُلوبِ الأَغْنياء : فإِنّهُمْ إذا ذاقُوا ألمَ الجُوعِ عرَفُوا ماتُناسِيهِ الفُقَراءُ الذينَ لايَجِدُونَ مايقْتاتُونَ بهِ فَيُحْسِنُونَ إليْهِمْ وينْقِذُونهُمْ من حَرارَةِ الجُوعِ ، فتُوجَدُ المَحبّةُ بيْنَ الفُقَراءِوالأَغْنياء

أسئلة ـ (١) ما هو الصوم ، (٢) مافوائد الصوم ؟ (٣)ماالذى ينبغى للصائم؟ (٤) بأى شىء ثبت رمضان ؟

١٢ — وِلادَتُه وتَرْبِيَتُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم

وُلِدَ صلى اللهُ عليهِ وسلم بمكةَ عامَ الفِيلِ يَوْمَ الاثْنَيْن التَّاسِعِ من شَهرِ رَبيعٍ الأَوَّلِ (المُوَافِق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ مِيلادِيَّة) أى من مِيلادِ سَيِّدِنا عيسى عليه السلامُ،

وتُوُفِّىَ وَالِدُهُ وهُوَ فى بَطْنِ أُمِّه فوُلِدَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يتيماً

وقامَتْ وَالِدَتُه بتَرْبِيَتِه إلى أنْ بلَغَ سِتَّ سَنَوَاتٍ فَمَاتَتْ واختَصَّ بكَفَالَتِهِ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِب، وكان يُحِبُّه ويُكْرِمُهُ غايَةَ الإكْرامِ. ولما ماتَ جَدُّهُ وسِنُّهُ عليه السلامُ ثمانُ سَنَواتٍ، كَفَلَهُ عَمُّهُ أبُو طالِبٍ؛ وكانَ مالُه قليلا فَبارَكَ اللهُ لهُ فيه؛ وكانَ صلَّى اللهُ عليه وسلم فى صِغَرِهِ قانِعاً كريمَ الأَخلاقِ مُؤَدَّباً لا يَفعَلُ ما يَفعَلُ الأَطفالُ

فى صِغَرِهِمْ ، بل كانَ يرضَى باليسير ، وهذا خلُقٌ عَظيمٌ يجبُ علينا أنْ نَتّصِفَ به

أسئلة — (١) فى أى سنة ولد صلى الله عليه وسلم ؟ (٢) من قام بتربيته؟ (٣) كم كانت سنه عند وفاة أمه؟ (٤) كيف كان فى صغره ؟

﴿ ٢٣ — أخلاقه قبل الرسالة ﴾

اشتَهَرَ صلّى اللهُ عليه وسلم بينَ قَوْمِهِ من صِغَرِهِ بالتّواضُعِ والحِلمِ والهِمّةِ وعُلُوّ النّفْسِ وغيرِ ذَلِك : مِنَ الصّفَاتِ الكامِلةِ التى لا تُوجَدُ عادةً فى الذينَ هُمْ فى سِنّه فكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حَلِيماً ، عادِلاً ، مُتَواضِعاً ، جَوَاداً ، شُجاعاً ، كَثِيرَ الحَياء ، صادقاً ، أميناً ، مَعصُوماً من كلّ دَنَسٍ وعَيْبٍ

كانَ أهلُ مكّةَ يَعْبُدونَ الأَصْنامَ تَحفَظَهُ اللهُ من عِبادتِها ، وكانَ الشُّبّانُ يَقضُونَ بَعْضَ لَيالِيهِمْ فى السَّمَرِ وسَماعِ الطُّبُولِ والمَزامير ، فهَمّ صلّى الله عليهِ وسلم بذلك مَرّتينِ فقالَ لِغلامٍ كانَ يَرْعَى معهُ : لو أبْصَرْتَ لى غَنَمى

حتّى أدخلَ مكّةَ فأسمُرَ كما يَسمُرُ الشُّبّانُ ، ثمّ جاءَ مكّةَ ودَخلَ أوّلَ دارٍ ليَسمَعَ عزفَ الدُّفوفِ والمزاميرِ في عُرسٍ ، وضَرَبَ اللهُ على أذُنِهِ فنامَ حتّى أيقظَهُ حَرُّ الشّمسِ * وفعلَ ذلكَ مرّةً أخرى فحصلَ لهُ مثلُ ما حصلَ في المرّةِ الأولى : وذلك لأنّ اللهَ حافظُه وحارسُه قبلَ الرّسالةِ وبعدَها ، وهذا شأنُ جميعِ الرُّسُلِ يحفظُهُمُ اللهُ منَ الأدناسِ ليَستعدّوا للأمرِ العظيمِ الذي سيُلقَى عليهِمْ ، وهو إرسالُهُمْ إلى الخلائقِ : لإرشادِهِمْ إلى طَريقِ السّعادةِ

أسئلة ـ (١) كيف كانت أخلاقه عليه السلام قبل الرساله؟ (٢) هل عبد الأصنام ؟ (٣) ماذا حصل له لما ذهب ليسمر في بعض الاعراس ؟

﴿ ١٤ — الصّدق ﴾

(فائدةُ الكلام)

يَتكلّمُ الإنسانُ ليَصِفَ الأشياءَ التي رآها وليَشرحَ المعانيَ التي في فكرِهِ ، وإذا لم يَتكلّمْ يكونُ كالأخرَسِ

خُلِقَ اللسانُ لِنُطْقِهِ وبَيَانِه
لا للسُّكُوتِ وذاكَ حَظُّ الأَخْرَسِ

ولا يكونُ مُفيداً إلَّا إذا كانَ صِدقاً ولا يكونُ صِدْقاً إلَّا إذا كانَ مُطابِقاً للشَّيْءِ الذي نَصِفُه أو للمَعانِي الـتي في أفكارِنا ، فإذا أخبرْنا إنْساناً بأننا لم نَعْمَلْ شيْئاً ونحنُ قدْ عمِلْناهُ ، لا يكونُ كلامُنا صِدْقاً بلْ يكونُ كَذِباً وحينَئذٍ تذْهَبُ فائِدتُهُ ، وقدْ يكونُ ضارًّا

﴿ أنواعُ الكَذِبِ ﴾

مِنْ أنواعِ الكَذِبِ (١) أنْ تقُولَ مالا تَعْلَمُ (٢) وأنْ تَقُولَ أكْثَرَ مِمَّا تَعْلَمُ (٣) وأنْ تَصِفَ شَيْئاً وصفاً زائِداً على حقيقَتِه (٤) وأنْ تَسْكُتَ على كذبِ غيْرِكَ وأنْتَ تَعلمُ أنَّه كاذبٌ (٥) وأنْ تُخْبِرَ ببَعْضِ الحَقِّ وتَسكُتَ عَنْ بَعضِه الآخَرِ (٦) وأنْ تُشيرَ أَىَّ إشارَةٍ مُخالِفَةٍ لِلحَقيقَةِ كَهَزِّ الرَّأْسِ والإشارَةِ باليَدِ

ومِنْ أعظَمِ أنْواعِ الكَذِبِ ضَرَرًا كذِبُ الشّاهِدِ فى شَهادَتِه فإنَّ بَرَاءَةَ المشْهُودِ عليهِ وحَياتَه قد تكُونُ مَوْقُوفَةً على شَهادةِ الشّاهدِ

﴿ مَضارُّ الكَذِبِ ﴾

(١) الكَذْبَةُ الواحدَةُ قَدْ تجُرُّ إلى كَذَباتٍ كثيرةٍ فالطِّفْلُ الذى يَلْعَبُ فى الشّارِعِ وَقتَ الدّراسةِ ويُخبِرُ والِدَهُ بأنّه كانَ فى المَدْرَسةِ يُضْطَرُّ إلى أن يكذِبَ كَثِيرًا لِيستُرَ الكَذْبَةَ الأُولى ، فإذا سألهُ والِدُهُ ماذا تعلَّمْتَ فى هذا اليَومِ ؟ اضْطُرَّ إلى أنْ يَقولَ تَعلَّمْتُ فى الحِسابِ كذا وفى التّاريخِ كذا وفى الدِّينِ كذا . وإذا سألَهُ عمّا حَصَلَ فى المَدْرَسةِ فى ذلك اليَومِ اضْطُرَّ إلى الكذِبِ فى الإجابَةِ عنهُ وهكَذا . ولا بُدَّ أنْ يَنكَشِفَ أمْرُهُ ويُعرَفَ بالكَذبِ ويُعاقَبَ عليه

(٢) الكَذْبَةَ الصّغيرَةُ تُسبِّبُ ضَرَرًا كبيرًا : كَشَرارَةِ النّارِ إذا أصابَتْ كَوْمَةً عظِيمةً منَ الحَطَبِ

أحرقتها ، وفى المَثلِ (ومُعْظَمُ النَّارِ من مُسْتَصغَرِ الشَّرَرِ)

(٣) ضَياعُ ثِقَةِ النَّاسِ بالكاذِبِ وعَدَمُ تَصْدِيقِه ولو صَدَق فتسوءُ حالُهُ

اعتَادَ راعٍ من رُعاةِ الغَنَمِ أنْ يَصْعَدَ قِمَّةَ جَبَلٍ ويُنادِيَ (الذِّئْبَ الذِّئْبَ) وكانَ النَّاسُ يأتُونَ لإغاثَتِه فلا يَجِدُونَ ذِئباً فاعتَقَدُوا كَذِبَهُ . وفى يَوْمٍ من الأيَّامِ هَجَمَ علَيهِ الذِّئبُ فاستَغاثَ كَعادَتِهِ فلمْ يُغِثْهُ أحَدٌ وافتَرَسَ الذِّئبُ بَعضَ غَنَمِه ، فنَدِمَ على كَذِبِهِ حيْثُ لا يَنفَعُ النَّدَمُ

إذا عُرِفَ الإنسانُ بالكِذْبِ لمْ يَزَلْ
لَدَى النَّاسِ كَذَّاباً وإنْ كانَ صادِقا

(٤) الحُزْنُ الدَّائِمُ : فإنَّ الكَذُوبَ دائما حَزِينٌ خائِفٌ منْ وُقُوفِ النَّاسِ على كَذِبِهِ فيَفْتَضِحُ ويُصيبُه الخِزْيُ والعارُ

﴿ فَوائِدُ الصِّدْقِ ﴾

منْ فَوائِدِ الصِّدْقِ (١) النَّجاحُ فى الأعمالِ واكتِسابُ ثِقَةِ

النَّاسِ : فإنَّ الإنسانَ الصَّادِقَ يَستخدِمُه النَّاسُ في أعمالِهِم ويأتمنه التجَّارُ على أموالِهِمْ ، والمعلِّمُ والطَّبيبُ والتَّاجِرُ والصَّانِعُ إذا صدَقوا وَثِقَ النَّاسُ بِهِمْ ، وأقبلُوا عليهِمْ فَيَرْبَحُونَ و يَسعَدُونَ (٢) مَعرفةُ حقَائِقِ الأشياء كما هيَ فإنَّ أكثَرَ الأشياء التي نَعرِفُها إنَّما عرَفناها بسبَبِ صِدْقِ النَّاسِ الَّذينَ شاهَدُوها بأنفُسِهِمْ * وإنَّا لَنَعرِفُ أقسامَ الدُّنيا الخَمْسَةَ ، ونَعرِفُ كَثيراً من أخبارِ سُكَّانِها وأعمالِهِمْ منَ الذينَ سافَرُوا إليها وعاينُوها ، ولولا صِدْقُهُمْ ما عرَفنا شيئاً منْ ذَلكَ إلَّا إذا سافرْنا اليها ورأيناها بأنفُسِنا ، وهذا لا يَتَيَسَّرَ طَبعاً إلَّا لِلقَليلِ منَ النَّاسِ * والصِّدْقُ في ذَاتِهِ لهُ قِيمةٌ كبيرَةٌ لأنَّه علامَةُ الاستِقامَةِ والإخلاصِ وحُسْنِ التَّربيَةِ والأَدَبِ . وإنَّ التَّلامِيذَ المُؤَدَّبينَ يَكرَهُونَ الكذِبَ ولا يَكذِبُونَ أبَداً ، بَلْ يَصدُقونَ في جميعِ أقوالِهِمْ وأفعالِهِمْ : لِيَسلَمُوا منْ ضَرَرِ الكذِبِ ولِيُعرَفُوا بالصِّدْقِ ولِيَكونُوا مُقتَدِينَ

بالصادِقِ الأمينِ سيّدِنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان أصْدَقَ النَّاسِ وأحَبَّهُمْ إلى الخَلْقِ

أسئلة — (١) مافائدة الكلام ؟ (٢) مافائدة الصدق ؟ (٣) ماضرر الكذب ؟

﴿ ١٥ — الأَمانَةَ ﴾

نَحْنُ نَعْتَنِى بِحِراسةِ بُيُوتِنا ، وزِراعاتِنا وكُتُبِنا ، وأدَواتِنا وجميعِ الأَشْياءِ التى نَمْلِكُها ، ونُحافِظُ أشَدَّ المُحافَظَةِ على النُّقُودِ التى تَكُونُ مَعَنا ، خُصُوصاً إذا كُنَّا فى مَدينَةٍ مِنَ المُدُنِ الكَبيرَةِ ، أوْ فى الأَسْواقِ ، أوفى أىِّ مكانٍ يَزْدَحِمُ فيهِ النَّاسُ نَعْمَلُ ذلكَ كُلَّهُ خَوْفاً مِنَ الخائِنينَ الَّذِينَ لا يُراعُونَ الأَمانةَ : وهى المُحافَظَةُ على ما لِغيْرِكَ وعَدَمَ التَّعَرُّضِ لهُ بأَذًى أوضَرَرٍ

والأَشْياءُ التى لِغيْرِكَ كَثيرَةٌ مِنْها النُّقُودُ والأَمْتِعةُ والوقْتُ والعَمَلُ

﴿ النقودُ ﴾

مَنْ يسرقُ نقوداً من دُكانٍ أو بيتٍ أو منْ أىِّ مكانٍ يُعَدُّ خائناً ، ومِثلُهُ مَنْ يقترضُ نقوداً من غيرِهِ ولا يَرُدُّها إليهِ ، أو يَشترى شيئاً ولا يَدفعُ ثمنَهُ أبداً ، أوْ يكونُ عليهِ دَيْنٌ لِآخَرَ ولا يَدْفعُهُ إليهِ معَ يسارِهِ وغِناهُ

﴿ الأَمْتِعةُ ﴾

مَنْ يأخذُ كِتابَ جارِهِ أوْ قلمَهُ أو مِبرَاتَهُ أو أىَّ شيءٍ من أدَواتِهِ وكتبِهِ منْ غيرِ إذنِهِ يكونُ خائناً ، ومِثلُهُ مَنْ يأخذُ ساعةَ أبيهِ أو دَوَاتَهُ أو كِتابَهُ أو أىَّ شيْءٍ مُختَصٍّ بِهِ أو بِغيْرِهِ بدُونِ علمِهِ

﴿ الوقتُ ﴾

الوقتُ عَزيزٌ وغالٍ جِدًّا : لِأنَّهُ يَحْصُلُ فيهِ العَمَلُ الذى بهِ يكسِبُ الإنسانُ المالَ ، فالتلاميذُ مثلاً يتعلمُونَ فى أوقاتِ دِراستِهمُ العلُومَ التى بها يُمكِنُهُمْ أنْ يكونُوا تُجَّاراً أو صُنَّاعاً أو أطِبَّاءَ أو مُهَندِسينَ أو قُضاه

فيكسبون المال الذى يعيشون به ، فالتلميذ الذى يعطل إخوانه عن العمل يعد سارقا لوقتهم ، ومثله من يعطل المدرس عن التدريس بسبب سوء أخلاقه أو تأخره عن إخوانه ، وكذلك الإنسان الذى يزور مستخدما ، أو تاجرا ، أو مدرسا ، أو صانعا فى وقت عمله ويعطله عنه

بعض التلاميذ يكلفون ببعض الأعمال فى بيوتهم فيكسلون عن القيام به بأنفسهم ويعمله لهم غيرهم وبعضهم يهمل تذكر دروسه أو لا يلتفت إلى المعلمين وقت الدرس ، وإذا جاء وقت الامتحان نقل من ورقة جاره وكل هؤلاء يقال لهم خائنون : لأنهم سرقوا عمل غيرهم ونسبوه إلى أنفسهم

أنا لا أظن أن أحدا منكم تقبل الاتصاف بصفة الخيانة والسرقة ، وإنى متحقق أنكم تودون الأمناء كثيرا وتحبون أن تكونوا مثلهم : فتحافظوا على

أَمْوالِ غيرِكُمْ وعلى أوقاتِهِمْ وأعمالِهِمْ فتحفظوا أنفُسَكُمْ من العُقُوباتِ ويُحِبُّكُمُ النَّاسُ ويُساعِدُكُمْ في أعمالِكُمْ فَتَنْجَحوا وتَسْعَدُوا

أسئلة — (١) كيف يسرق الوقت؟ (٢) كيف تكون أمانة التلميذ فى عمله (٣) هل اذا أخذ الانسان شيئا من البيت بغير اذن أبيه يعد خائنا ؟ (٤) ماذا يسمى الانسان الذى يقترض شيئا ولا يرده ؟

﴿ ١٦ — صِدْقُهُ وأمانَتُهُ صلى الله عليه وسلم ﴾

اشتَهَرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بيْنَ قَوْمِهِ بجَوْدَةِ الرَّأْيِ وبالصِّدْقِ والأَمانَةِ حتَّى كانُوا يُسَمُّونَهُ الأَمِينَ ، وصادفَ أنَّ أشرافَ مكَّةَ كانُوا يَبْنُونَ الكَعْبَةَ، واختلفوا فى وضعِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ فكلُّ قَبيلةٍ تقولُ : أنا أحَقُّ بِوَضْعِهِ وكادَ الخِلافُ يُؤَدِّى إلى الحَرْبِ . فاتَّفقوا على أن يَحْكُمَ بينَهُمْ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الحَرَمَ فكانَ أوَّلَ داخِلٍ سيِّدُنا مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فاطْمَأَنَّ الجَمِيعُ لهُ لِمَا يَعْرِفُونَ فيهِ منَ الأمانَةِ وجَوْدَةِ الرأْيِ * فبَسَطَ ثَوْباً ووضع عليه

الحَجَرَ الأَسْوَدَ وقالَ : كلُّ قَبِيلَةٍ تَرْفَعُ منْ طَرَفٍ ، فرَفعُوه جَمِيعاً حتَّى بلَغَ مَوْضِعَهُ . فوَضَعَهُ بيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ، وزَالَ الخلافُ بِحُسْنِ رَأيِهِ وقُوَّةِ فِكْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

أسئلة — (١) عماذا اشتهر صلى الله عليه وسلم بين قومه ؟ (٢) ماذا حصل بين أشراف مكة وقت بناء الكعبة ؟ (٣) من حكم بينهم ؟ (٤) ماذا عمل صلى الله عليه وسلم لازالة الخلاف ؟

﴿ أعمالُهُ قَبْلَ الرِّسالة ﴾

لَمَّا شَبَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقَوِيَ عَلى العَمَلِ ، اشْتَغَلَ برَعْيِ الغَنَمِ كَجَمِيعِ الرُّسُلِ : لِتَعْتَادَ نَفْسُهُ الشَّفَقَةَ والرَّحْمَةَ والتَّواضُعَ والمُحافَظَةَ على النَّاسِ ثمَّ اشْتَغَلَ بالتِّجارَةِ معَ عَمِّهِ ، واشْتَهَرَ بالصِّدْقِ والأَمانَةِ والحِلْمِ والبركَةِ وحُسْنِ المُعامَلَةِ . فدَعَتْهُ السَّيِّدةُ خَدِيجَةُ لِلتِّجارَةِ في مالِها ، وكانَتْ عفيفةً شَرِيفَةً فقَبلَ ، وسافَرَ إلى الشَّامِ في تِجارَةٍ لها فرَبِحَتْ رِبْحاً عظِيما * وكانَ مَعَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَيْسَرَةُ خادِمُ السيِّدة

خَدِيجَةَ فَرأى مِنْهُ علاماتٍ كثيرةً تدُلُّ على أنَّه سَيكُونُ له شأنٌ عظيمٌ، فأخبرَ بذلكَ سيِّدتَهُ ، فعَرَضَتْ نفسَها على رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فتزوَّجَها ، وكانَ منْها أولادُه : القاسِمُ ، وعَبْدُ اللهِ ، وزَيْنَبُ ، وفاطِمَةُ وأُمُّ كُلْثُومٍ ، ورُقَيَّةُ

أسئلة — (١) ما السر فى رعيه صلى الله عليه وسلم للغنم ؟ (٢) بم اشتهر صلى الله عليه وسلم ؟ (٣) من كان معه فى سفره الى الشام ؟ (٤) ماعدد أولاده من السيدة خديجة ؟

﴿ ١٨ — رِسالةُ سيِّدنا محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم ﴾
(ودعوتُه إلى الدِّينِ)

اختارَ اللهُ سيِّدَنا محمدًا رسُولاً ، وعُمْرُه أربعُونَ سَنَةً فأرسَلَ إليهِ سيِّدَنا جِبْرِيلَ فأخبرَهُ أنَّهُ رَسُولُ اللهِ إلى النَّاسِ كافةً لِيَعْبُدُوهُ ويُوَحِّدُوهُ سُبْحانَهُ وتعالى ؛ فدَعا صلى الله عليه وسلم أهلَ مكَّةَ إلى عِبادَتِه تعالى وتوْحيدِه فأَجابَ دَعْوَتَه أوَّلاً سيِّدُنا أبُو بكرٍ ، وسيِّدُنا عليٌّ ، والسيِّدَةُ

خَدِيجَةُ * وكانَ أهلُ مَكَّةَ فى ذلكَ الوقتِ يَعْبُدُونَ الأحْجارَ ويُحارِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً لِأصْغَرِ سَبَبٍ ، فَدعاهُمْ صلى الله عليه وسلم إلى عِبادَةِ اللهِ ، وإلى الرَّأفةِ بالنَّاسِ ، وإلى الإئْتلافِ والِاتِّحادِ ، وإلى الأخلاقِ الفاضِلَةِ ، فعانَدُوه وصارُوا يُنَفِّرُونَ النَّاسَ منهُ ويُؤْذُونَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وهُوَ يُقابِلُهُمْ بالصَّبْرِ ، ويَدْعُوهُمْ إلى مافيهِ سَعادَتُهُمْ ، وهذا مِنْ أعظَمِ الأخلاقِ وأكْرَمِ الشَّمائِلِ ، لا يُمْكِنُ أنْ يَتَّصِفَ بهِ إلَّا مَنْ وفَّقَهُ اللهُ واخْتارهُ لِهِدايةِ النَّاسِ

أسئلة ـ (١) كم كان عمر سيدنا محمد وقت الرسالة؟ (٢) من أول من أجاب دعوته ؟ (٣) كيف كانت حالة أهل مكة وقت الرسالة؟ (٤) ماذا عمل أهل مكة لما دعاهم الى عبادة الله ؟

* ١٩ — الغَرَضُ من رِسالَتِه صلى الله عليه وسلم *

قَبْلَ إرسالِ سيِّدِنا محمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ النَّاسُ فى حاجةٍ شَدِيدَةٍ إلى دِينٍ يَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ ويَضْمَنُ سَعادَتَهُمْ ، فأرسَلَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كافَّةً ، وأنْزَلَ عليهِ القُرآنَ

الكَرِيمَ * فَدعاهمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وحْدَهُ ، وإلى الاتّحادِ وبرّ الوالِدَيْنِ . وصِلَةِ الرَّحِمِ ، والتّعاوُنِ على البِرّ والتّقوى وأداءِ الأمانَةِ ، والصّدْقِ ، والوَفاءِ بالعَهْدِ ، وجَميعِ الصّفاتِ الحَميدَةِ * ونَهاهمْ عنِ الشّرْكِ ، والحَسَدِ ، والكِبْرِ ، والغيبَة وقَتْلِ النّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وشُرْبِ الخَمْرِ والكَذِبِ ، والخِيانَة وعَنْ جميعِ الصّفاتِ الذّميمةِ ، وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ حَقّ جِهادِهِ حتّى انْتَشَرَ الدّينُ انْتِشاراً عظيماً وأصْبَحَ المُسلِمونَ بنِعْمَةِ اللهِ إخْواناً فكانَتْ رِسالَتُه صلّى اللهُ عليهِ وسلم سببَ حِفْظِ الأرْواحِ والأمْوالِ والأعْراضِ ونَشْرِ الأخلاقِ الفاضِلَةِ * وقدِ امْتازَ منْ بيْن سائِرِ الأنبياءِ عليه وعلَيهمُ الصلاةُ والسلامُ بأنّهُ خاتَمُهُمْ ، وأنّهُ أفْضَلُهُمْ . وأنّه أُرْسِلَ إلى النّاسِ كافّةً

أسئلة — (١) ما الذى أمر الناس به سيدنا محمد ؟ (٢) ما الذى نهى عنه سيدنا محمد ؟ (٣) كيف كان حال الناس بعد الرسالة ؟ (٤) ما الذى امتاز به سيدنا محمد ؟

٢٠ — الصَّبر

زُرْتُ يوماً أحدَ الأطبَّاء فوجدْتُ في محلِّ عِيادَتِه لِلمَرْضَى كثيراً منَ النَّاسِ يَنْتَظِرُونَه ، وبعضُهُمْ كانَ يَتأوَّهُ ويتألَّمُ، وبعضُهُمُ الآخَرُ لا يُبْدِي تألُّماً ولا توجُّعاً وعنْدَ ما حضَرَ الطَّبيبُ وعرَفَ داءَ كلِّ واحِدٍ ووصفَ لهُ دواءَهُ سألْتُه عن سببِ هُدوءِ بعْضِ المَرْضَى وهِياجِ الآخَرِينَ — فقال : إنَّ مَرَضَ هؤلاءِ الهادِئينَ أشدُّ منْ مَرَضِ الذينَ كانُوا يتأوَّهُونَ ويتألَّمُونَ ، ولكنَّهُمْ صابِرُونَ يتحمَّلُونَ الآلامَ بِهُدوءٍ وسكِينَةٍ، وصبْرُهُمْ دليل على قوَّةِ قُلُوبِهِمْ وشَجاعَتِهِمْ وكمالِ عُقُولِهِمْ — ورأيْتُ تِلْميذاً يَبْرِي قلماً فجَرَحَتِ المِبْرَاةُ إصبَعَهُ جرْحاً صغيراً فصار يَصيحُ ويَبكِي ، وإخوانُهُ يَنْتَقِدُون صِياحَهُ وبكاءَهَ وعدمَ صبْرِهِ على تحمُّلِ الأذى اليَسيرِ الذي أصابَ إصبَعَهُ وحضَرْتُ حفْلَةً من حفَلاتِ لَعِبِ الكُرةِ ، فشاهَدْتُ تِلْميذَيْنِ تَصادَمَا تَصادُماً قويًّا فسقَطَ أحدُهما طَريحاً على

الأَرض واجتمعَ حولَه بعضُ إخوانِه ، وأخذوا يدلُكُونَ جِسمَهُ ، وبعدَ زمنٍ طويلٍ نهضَ إلى اللعبِ مع إخوانِه ، وعليهِ علاماتُ التألُّم لكِنَّهُ لم يصِحْ ولم يتأوَّهْ بل كانَ قويَّ القلبِ صبورًا على ما أصابَهُ . وأنتمْ ترَونَ كثيرًا منَ التلاميذِ اعتادُوا الصبرَ (وهو تحمُّلُ المشقاتِ والآلامِ بلا شكوَى ولا ضجرٍ) وهؤلاء همْ أحسنُ التلاميذِ لأنَّهمْ يصبِرُونَ على المشقَّاتِ التي يُلاقُونَها في تأديةِ أعمالِهمْ فيتقِنُونَها ، ومتى كَبِرُوا وصارُوا رجالًا ، صبرُوا على أذى غيرِهمْ إذا عجزُوا عن دفعِه بالقوَّةِ ، وتحمَّلُوا ما يُصيبُهمْ منَ الحوادثِ التي لا يسلَمُ منها إنسانٌ . فإذا تعوَّدتُمُ الصبرَ نجحتمْ في أعمالِكُمْ ، واستعدَّتْ نفوسُكمْ للتغلُّبِ على المصاعِبِ ، وإنَّ عُظماءَ الرجالِ وكبارَ الأُممِ همُ الذينَ جعلُوا الصبرَ عادتَهمْ فتغلَّبُوا على غيرِهمْ ونفعُوا أنفسَهمْ وأُممَهمْ

أسئلة — (١) مامعنى الصبر (٢) ما فائدة الصبر (٣) قل حكاية لعب الكرة (٤) ماذا تعمل اذا جرحت اصبعك أو حصل لك حادث

﴿ ٢١ — إيذاءُ قُرَيْشٍ للرَّسُولِ وصبْرُهُ على ذَلكَ ﴾

رأى رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم من كُفَّارِ قُرَيش أذًى كَثِيراً ، كانُوا يَقصِدُونَ إهانَتَهُ ويُعارِضُونَهُ في أعماله ويُؤْذُونَ المُسلِمِينَ الذينَ اتَّبَعُوهُ ، ويَجتَهِدُونَ في تَنفيرِ النَّاس منه ، وهو تَقابلُ كلَّ ذَلكَ بالصَّبرِ والحِلم ، وكانَ منْ أشَدِّهمْ إيذاءً لهُ وأعظَمِهمْ إضراراً بهِ أبُو جَهلٍ وأبُو لهَبٍ

﴿ ٢٢ — أبُو جَهْل ﴾

أخبَرَ أبُو جَهل جَماعَةً منْ قُرَيْشٍ بأنهُ عزمَ على أنْ يأخُذَ حَجَراً ثقيلاً ويَضْربَ بِه رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم في رأسهِ وهو ساجِدٌ في صلاته لِيَقتُلَهُ ، ثمَّ أخَذَ الحَجَرَ وجلَسَ يَنتَظِرُهُ ، وقُرَيْشٌ جالِسُونَ في مَجالِسِهمْ يَنتَظِرُونَ ما سَيَفعَلُ ، فجاءَ رسُولُ اللهِ وقامَ إلى الصلاةِ كعادَتِه

ولمّا سَجَدَ حَمَلَ أبُوجَهلٍ الحَجَرَ وأقبَلَ عليه ، وعِندَ ما دَنَا منه رأى كأنَّ جَمَلاً كَبِيرًا هجَمَ عليهِ فخَافَ خَوْفًا شَديدًا وتَغَيَّرَ لَوْنُه ورَجعَ إلى قَوْمِهِ خائِباً — فقَالُوا له : ما لَكَ ؟ فأخبَرَهمْ بما رأى

وكانَ رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم يُصلِّى ذاتَ مَرَّةٍ فى المَسْجِدِ فحَضَّ أبُوجَهلٍ بعْضَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ على أنْ يأتِيَ بِسَلَى جَزُورٍ كانَ مُلْقًى فى قُمامَةٍ بالطَّرِيقِ ويُلقِيَهُ على رسُولِ اللهِ وهُوَ ساجِدٌ ففَعلَ ، ولم يَقْدِرْ أحَدٌ منَ المُسلِمينَ الذينَ كانُوا معَ الرَّسُولِ على إزَالَةِ ذَلِكَ القَذَرِ عنْهُ لِخوْفِهِمْ منْ عَدُوِّهِمْ ، واستَمَرَّ عليه السلامُ ساجدًا ، والقَذَرُ عَلَيْهِ حتَّى عَلِمَتْ فاطِمَةُ بِنْتُهُ فجاءَتْ ورَفَعَتْهُ عنْهُ ، فلَمَّا أتَمَّ صلاتَه دَعا على مَنْ فَعَلوا هذا الفِعلَ القَبِيحَ فقُتِلُوا بعدَ ذلكَ فى وَقْعَةِ بَدْرٍ المَشهُورةِ

أسئلة — (١) ماذا كان يعمل كفار قريش مع الرسول ؟ (٢) ماذا حصل لأبى جهل لما أراد ضرب الرسول بالحجر ؟ (٣) بماذا كان يقابل الرسول أذى المشركين ؟

٢٣ — أبو لهب

كانَ أبو لهَبٍ جارَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأحَدَ أعمامِهِ * وكانَ يُؤْذِيهِ ، ويُعانِدُهُ ، ويَجْتَهِدُ في تَعْطِيلِ أعمالِه أكْثَرَ من الأباعِدِ كان رَسولُ اللهِ يَذْهَبُ إلى القَبائِلِ لِيَدْعُوَها إلى الإسلامِ فكانَ أبولهَبٍ يَتْبَعُه أحيانًا ، فإذا قالَ الرَّسُولُ (إني رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ) يُكَذِّبُه أبولهَبٍ وينْهَى النَّاسَ عَنْ تَصْدِيقِهِ * وكانَ يَرْمِي القَذَرَ على بابِه فيَطْرَحُه الرَّسُولُ ويقُولُ : يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ أيُّ جِوارٍ هذا ؟ وكانَتِ امْرَأةُ أبي لهَبٍ تَسُبُّ الرَّسُولَ وتَذُمُّهُ أمامَ النَّاسِ لِتُنَفِّرَهُمْ عَنْه * وقَدْ ذَمَّهُما اللهُ أشْنَعَ ذَمٍّ في سُورَة (تَبَّتْ يَدا أبي لهَبٍ) وأعَدَّ لهُما عذابَ النَّارِ وبِئْسَ المصيرُ

أسئلة ـ (١) ما نوع قرابة أبي لهب للرسول ؟ (٢) ماذا كان يعمل معه أبو لهب ؟ (٣) ماذا كانت تعمل امرأة أبي لهب (٤) في أي سورة ذم الله أبا لهب وامرأته ؟

﴿ ٢٤ — إيذاء قُرَيْشٍ لِأتْباعِ الرَّسُولِ ﴾
(وصبرُ الأتْباعِ على ذلكَ ﴾

لَمّا ظَهَرَ أمْرُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلم وأخذَ أتْباعه في الازْدِيادِ ، صار كُفّارُ قُرَيْش يعَذّبُونَهُمْ أشَدَّ العذابِ ويُؤْذُونَهُمْ : لِيَرْجِعُوا عن دِينِهِمْ ويعْبُدُوا معَهُمُ الأصْنامَ التي لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ . ومنَ المُسلِمينَ الذينَ عُذِّبُوا بلالُ ابْنُ رَباحٍ . كانَ سيِّدُهُ يَربِطُ حَبْلاً في عُنُقِه ويَدْفَعُهُ إلى الصِّبْيانِ يلْعَبُونَ بهِ وهُوَ يقُولُ (أحَدٌ أحَدٌ) وكانَ يَخْرُجُ بهِ في الحَرِّ الشَّديدِ ويَضَعُ على صَدْرِهِ الصَّخْرَةَ العَظيمةَ ويَقولُ له : لا تَزالُ هكذا حتَّى تَمُوتَ أو تَكْفُرَ بِمحمَّدٍ وتَعبُدَ الأصْنامَ فيَقُولُ (أحَدٌ أحَدٌ) ولمْ يَرْجِعْ عن دِينِه ثمَّ اشتَراه سيِّدُنا أبو بَكْرٍ وأعتَقَه . ومِنْهُمْ عمّارُ بْنُ يَاسِرٍ وأخُوهُ وأبُوهُ وأُمُّه : كانُوا يُعَذَّبُونَ بالنّارِ فمَرَّ بِهِمُ الرَّسولُ علَيه السلام وقال (صبراً آلَ ياسِرٍ) وبَشَّرَهُمْ بالجَنَّةِ * وقَد عُذِّبَ كَثيرُونَ غيرُ هؤُلاءِ بأنْواعِ العذابِ

ولٰكنهم صبروا وثبتوا على دينهم لاعتقادهم صحته وفائدته ، فنصرهم الله نصراً عزيزاً وأسعدهم فى الدنيا والآخرة

أسئله — (١) مادا عمل كفار قريش لما كثر عدد المسلمين ؟ (٢) مادا حصل لبلال ؟ (٣) من الدى اشتراه وأعتقه ؟ (٤) عمادا قابل المسلمون ايذاء قريش ؟

﴿ ٢٥ — هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

لما اشتد إيذاء الكفار لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرهم بالهجرة الى المدينة عند إخوانهم المسلمين فهاجروا ، ولذلك يسمون المهاجرين * وبسفرهم هذا كثر عدد المسلمين هناك * ولما رأى كفار مكة ذلك وخافوا أن يلحق بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر الدين وتكثر أتباعه اتفقوا على أن يرسلوا جماعة منهم يقفون حول داره ليلاً حتى اذا نام قتلوه فأخبر الله رسوله بذلك . وأمره بالهجرة إلى المدينة

وفى اللَّيلَةِ التى عزمَ فيها على السَّفَرِ اجْتَمَعُوا حَوْلَ دارِهِ وانْتَظَرُوا حتّى ينامَ لِيقْتُلوهُ وهو نائِمٌ ، فَخَرَجَ عليهِم رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأعْمَى اللهُ أبصارَهُم فلم يَرَوْهُ . وقابَلَ سيِّدَنا أبا بكرٍ خارِجَ مكَّةَ ، وكانا قدِ اتَّفقا على ذَلكَ من قبلُ ، وسارَ الى المَدِينَةِ بعْدَ أنِ اختَبَآ فى الغارِ ثلاثَ ليالٍ ، ووَصلاَ اليْها بعْدَ أيّامٍ ، فقابلَهُمَا المُسلِمُونَ هُنَاكَ بالسُّرُورِ والانْشِراحِ ، وقَوِىَ الدِّينُ وكَثُرَ أهلُهُ ومن هذا العامِ يَبْتَدِىءُ التارِيخُ الاسْلامِىُّ المُسَمَّى بالهِجْرِىّ

أسئله — (١) ما السبب فى هجرة أصحاب النبى الى المدينة ؟ (٢) ماالسبب فى هجرته صلى الله عليه وسلم اليها ؟ (٣) من الذى سافر معه الى المدينة ؟ (٤) كيف قابله المسلمون هناك ؟ (٥) مامبدأ التاريخ الهجرى ؟

﴿ ٢٦ — مُقابلَةُ أهْلِ المَدِينَةِ لِرَسُولِ الله ﴾

كانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ الثَّامنُ من رَبيعٍ الأوَّلِ المُوافِق (٢ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) اليَومَ الذِى وصلَ فيه رسُولُ الله إلى قُباءَ فى ظاهِرِ المَدينَةِ ، ثمَّ تحوَّلَ منها إلى المَدينَةِ

والأَنْصارُ حَوْلَهُ فَرِحينَ مَسْرُورِينَ مُهَلِّلِينَ مُكَبِّرِينَ ونِساؤُهُمْ وصِبْيانُهُمْ وولائِدُهُمْ يُنْشِدُونَ :

طَلَعَ البَدْرُ علَيْنا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَداعِ !
وَجَبَ الشُّكْرُ علَينا ما دَعَا لِلّهِ داعِ !
أيُّها المَبْعُوثُ فِينا جِئْتَ بالأَمْرِ المُطاعِ !

وأَكْرَمُوهُ ونَصَرُوهُ ولِذَلِكَ يُسَمَّوْنَ الأَنْصارَ . ثُمَّ آخَى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ المُهاجِرِينَ فأَحْسَنُوا عِشْرَتَهُمْ وجَعَلُوهُمْ في مَنْزِلَةِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى نَسُوا بَلَدَهُمْ مَكَّةَ وأَحَبُّوا المَدينَةَ أَكْثَرَ منْها ، وصاروا يَداً واحِدَةً على حِمايَةِ الدِّينِ وفِداء رَسُولِ اللهِ بأَنْفُسِهِمْ وأَوْلادِهِمْ وأَمْوالِهِمْ ، فأَعَزَّ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ ونَصَرَ بِهِمْ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم

أسئلة - (١) كيف قابل أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (٢) كيف عامل الانصار المهاجرين ؟ (٣) على أى شيء اتفق المهاجرون والأنصار ؟ (٤) من هم الأنصار ؟ (٥) من هم المهاجرون؟

﴿ ٢٧ — المُرُوءَةُ ﴾

(مُحادَثَةٌ بَيْنَ أُسْتاذٍ وتَلامِيذِهِ)

قالَ أُسْتاذٌ لتَلامِيذِهِ : المُرُوءَةُ هِيَ الأَخلاقُ الفاضِلَةُ التي تجعلُ الإِنسانَ كاملاً في قوْلِهِ وفِعْلِهِ ، فَمَنْ عَمِلَ منكُمْ عَمَلاً يَدُلُّ على مُرُوءَتِهِ وإنسانِيَّتِهِ فَلْيَذْكُرْهُ

فَقالَ أحدُهُمْ : جئْتُ في ظُهْرِ يَوْمٍ مطيرٍ منَ المَدْرَسَةِ إلى البَيْتِ لأَتَناولَ الطَّعامَ — فقالَ لي أَخِي : إنَّ الخَبَّازَ لَمْ يُحْضِرِ الخُبْزَ إلى الآنَ ، فَهَلْ تَذْهَبُ إلى السُّوقِ لِتَشْتَرِيَ مايَلْزَمُ لِغدائِنا ؟ فقُلتُ . سَمْعاً وطاعَةً ، وخَرَجْتُ والمَطَرُ مُنْهَمِرٌ فأحْضَرْتُ الخُبْزَ بَعْدَ أنْ تَحَمَّلْتُ منَ المشقَّاتِ مالا يَحْتَمِلُهُ مثْلي

وجَلَسْتُ أمامَ المائِدَةِ أتَغَدَّى مَعَ إخْوَتِي الأَرْبَعَةِ الصِّغارِ . وكانَ في صَفْحَةِ الفاكِهَةِ تُفَّاحتانِ فأخَذْتُ سِكِّيني وقَسَمْتُ كلَّ تُفَّاحَةٍ شَطْرَيْنِ وأَعْطَيْتُ كلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ شَطْراً وآثَرْتُهُمْ على نَفْسِي — فَقالَ الأُستاذُ : نِعْمَ

ما فعلتَ: إنَّ الطَّاعةَ، ومحبَّةَ الإخوةِ، والرَّأفةَ بالصِّغارِ من الأمورِ التي توجبُها المروءةُ وتقتضيها الإنسانيَّةُ

ثمَّ قالَ الثَّاني. أنا لا أرفعُ صوتي أمامَ والِدي ولا مَنْ هوَ أكبرُ مني سِنًّا أو أعلى مَقامًا؛ ولا أتكلَّمُ بفَظاظةٍ معَ أيِّ إنسانٍ؛ وإذا خاطبَني أحدٌ بألفاظٍ خَشِنةٍ قابلتُهُ بكلامٍ حسَنٍ، وإذا سألتُ أحدًا سؤالًا بدأتُ بقولي له (مِنْ فَضلِكَ)، وإذا حصَلتُ على غرَضي قلتُ لهُ (متشكِّرٌ)، وأحافِظُ كلَّ المحافظةِ على نظافةِ جِسمي وملابِسي وكتُبي وأدواتي، ولا أدخُلُ حُجرةً نظيفةً بحِذاءٍ قَذِرٍ — فقالَ الأستاذُ. هذا أيضًا من أنواعِ الأدبِ فإنَّ الإنسانَ إذا كانَ نظيفَ الجِسمِ والثِّيابِ حسَنَ المَنظَرِ والهَيئةِ، محافِظًا على كُتُبِهِ وأدواتِه، سالِكًا معَ النَّاسِ سَبيلَ الأدبِ، متجنِّبًا الفَظاظةَ والغِلظةَ، أحبَّهُ النَّاسُ وأحسَنوا معاملتَهُ

أسئلة ـ (١) ماالمروءة ؟ (٢) ماذاتعمل اداكلفت باحضار شيء في وقت مطر أو حر ؟ (٣) ماذاتعمل اذا أكلت مع اخوتك الصغار ؟ (٤) بم تبدأ سؤالك ؟ (٥) مافائدة الادب مع الناس ؟

ثمَّ قال الثَّالثُ : مَرِضَ أحَدُ إخْوانِي فاتَّفقْتُ معَ صَدِيقٍ لِي على أنْ نَعُودَهُ مَعًا ، فأحْضَرْنا عربَةً . ولمَّا أرَدْنا الرُّكوبَ عزمَ عليَّ لأتقدَّمنَّ فأبيْتُ : لأنَّهُ كانَ أكبَرَ منِّي سنًّا . ولمَّا وَصَلْنا الى البَيْتِ ، تأخرْتُ حتَّى دَخَلَ هو ووَجَدْنا هُناكَ أُناسًا جاؤُا لِعِيادَتِهِ فَحَيَّيْناهُمْ بتَحيَّةِ الإسلامِ وجلَسْنا قَليلاً ثمَّ خرجْنا ، وبيْنما نحنُ سائِرُونَ في طَرِيقِنا إذْ قابلَنا حَمَّالٌ في طَريقٍ ضَيِّقٍ ، وعلى ظَهْرِهِ حِمْلٌ ثَقيلٌ فوَقفَ صاحِبي يَنْتَظِرُ أنْ ينْحازَ الحَمَّالُ إلى جانِبٍ منَ الطَّريقِ حتَّى نَمُرَّ فأخذتُ بيَدِهِ وانحرفْنا نحنُ واستَمرَّ الحَمَّالُ في طَريقهِ ــ فقالَ الأُستاذُ : لَقدْ أحْسنْتَ صُنْعًا ، هذه آدابٌ ينْبغي أنْ يتَّصِفَ بها كلُّ عاقِلٍ ، فيَعُودُ إخوانَهُ إذا مرِضُوا ، ويُقَدِّمُ على نَفسهِ مَنْ همْ أكبَرُ

مِنهُ سِنًّا أو أفضَلُ مَنزِلَةً . و نقرأُ السَّلامَ على مَنْ يَعرِفُهُ ومَنْ لا يَعْرِفُهُ . ويُشْفِقُ على غيرِه

ثمَّ قالَ الرَّابعُ : إنِّى من أُسْرَةٍ غَنيَّةٍ وفى بَيْتِنا أنواعُ الأَثَاثِ الفاخِرِ كالكَرَاسِىِّ والأرَائِكِ ، ونأكُلُ فى حُجْرَةٍ خاصَّةٍ نُسَمِّيهَا (حُجْرَةَ المَائِدةِ) فيهَا كلُّ أدوَاتِ الأكْلِ من فُوَطٍ ومَلاعِقَ وسَكاكِينَ وأوانٍ . وأحياناً يَدْعُونِى بَعْضُ الفُقَرَاءِ فأُجيبُ دَعْوَتَهُمْ وأجلِسُ مَعَهُمْ على الارض وآكلُ كما يأكُلُونَ وأشْرَبُ كما يَشْرَبُونَ ، وأُحَادِثُهُم وأُلاطِفُهُمْ كأنِى وَاحِدٌ منْهُمْ وهكذا كلُّ أفرَادِ أُسْرَتِنا ولِهٰذا نَرَاهمْ مُحْبُورِينَ جِدّاً وقَدْ دُعِيتُ مرَّةً إلى ولِيمَةٍ وكانَتْ فيها المَوَائِدُ مُنظَّمَةً على الطِّرَازِ الحَدِيثِ . لِكُلِّ آكِلٍ فُوطَةٌ ومِلعَقَةٌ وسِكِّينٌ وشَوْكَةٌ ، وصادَفَ أنْ جَلَسَ بجوَارِى رَجلٌ لم يَعْتَدْ هٰذا النِّظامَ فرَأيْتُهُ حائِراً وأفْهَمْتُهُ الكَيْفِيَّةَ من غير استِهْزاءٍ ولا سُخْرِيَةٍ فشَكَرَ لى

شُكْراً جَمِيلاً - فَقالَ الأُسْتاذُ : إنَّ مُجامَلَةَ الفُقَراء وملاطَفَةَ النَّاسِ واحْتِرامَهُمْ أمْرٌ يَرْفَعُ قَدْرَ الإنْسانِ ويَجْعَلُهُ مُحْتَرَماً فى أعيُنِ النَّاسِ . وإنَّ أحدَ الأغْنِياء دَعا صَدِيقاً لهُ لِيَتَغَدَّى معه وكانَ فَقيراً فعِنْدَ ما رَأى أنَّ صَدِيقَهُ بَدَأ يأْكُلُ منْ غيْرِ شَوْكَةٍ أكَلَ مثلَهُ ، فعَجِبَ أوْلادُه لِذلك وسألوه بعدأنْ خَرَجَ صدِيقُهُ - فقال : إنَّما عَمِلْتُ ذلك مُراعاةً لِضَيْفى ، إذْ لو أكَلْتُ بالشَّوْكَةِ كَعادَتِى لأكَلَ هُوَ كذلك وهُو لم يَعْتَدْها فيَقَعُ فى حَيْرَةٍ ، وأحْسَنُ النَّاسِ منْ يُراعِى غيْرَهُ سواءٌ أكانَ غَنِيًّا أمْ فَقيراً

أسئلة - (١) مادا يجب عليك اذا مرض أحد أصدقائك ؟ (٢) مادا تعمل اذا ماشيت من هو أكبر منك ؟ (٣) مادا تعمل اذا قابلت رجلا حاملا حملا ثقيلا ؟ (٤) كيف تعامل الفقراء اذا كنت غنيا ؟

ثمَّ قال الخامسُ : كُنْتُ ألْعبُ الكُرَةَ مَعَ بعْضِ إخْوانِى بكَيْفِيَّةٍ هىأنْ يَضْرِبَ اللاَّعِبُ الكُرةَ بصَوْلَجانٍ ويَجْرِىَ وراءَها إلىأنْ يَصِلَ إلى مكان يُعيِّنُهُ اللاَّعِبُونَ وطَلَبَ

ولدٌ أعرجُ أنْ يَنضَمَّ إلينا ، فنظرَ إليْـهِ إخوانِى نظرَ استهْزاء ، وقالَ لهُ أحَدُهمْ : أنتَ تعلَمُ أنَّكَ أعرَجُ لا تَقْدِرُ على الجَرْى ـ فقُلْتُ فى نفسى : لقدْ قالَ صاحِبى هذا حقًّا ولـكن ما كانَ يَنبَغِى له أنْ يقُولَ ذَلِكَ ، ثمَّ رَجَوْتُهُمْ أنْ يقبلُوهُ وأنا أنُوبُ عنهُ فى الجَرْى عِنْدَمايَضرِبُ الـكُرَةَ فانْضَمَّ إليْنـا ، وحِينَما أمْسكَ الصوْلجَانَ الْتفَتُّ إليْهـمْ وقلْتُ لهُمْ : « إذا كانَ أحَدُكُمْ أعرَجَ فإنَّهُ لايَوَدُّ أن يَقُولَ له أحَدٌ إنَّكَ أعرَجُ » ـ فقَالَ الأُستاذُ . خيْراً فَعلتَ ، فإنَّ إدخالَ السُّرُورِ على ذَوى العاهاتِ كالأعْرَجِ والأَعمى والأَصَمِّ والأَبكَمِ والمُقْعَدِ والأَشَلِّ ومُساعَدَتَهُمْ والرَّأفةَ بِهِمْ منَ الأَخلاقِ الفاضِلَةِ

ثمَّ قالَ السَّادِس . ذهَبْتُ ليلةَ الجُمُعَةِ لِسَماعِ روايةٍ أدَبيَّةٍ ، وبيْنَما أنا جالِسٌ إذْ لمَحْتُ رَجُلاً مُسِنًّا واقِفاً عـلى قَدَمَيْهِ فأجْلَستُه على كُرْسِىَّ وَوَقَفْتُ أنا إلى أنِ انتهَتِ الرِّوايَةُ

وكُنْتُ مارًّا فى شارِعٍ كثيرِ الوَحَلِ فوجَدْتُ عَرَبَةً قَدْ غاصَتْ عَجَلاتُها فى الأرضِ فساعَدْتُ صاحِبَها على تخليصِها حتَّى سارَتْ - فقالَ الأُستاذُ : كانَ أحَدُ المُلوكِ سائِرًا وَحْدَهُ فى بعضِ بلادِهِ يتفقَّدُ رَعِيَّتَهُ فمرَّ بسائِقِ عَرَبَةٍ قد ساخَتْ [1] قوائِمُ حِصانِهِ فى الوَحَلِ ، وهو يسألُ المارَّةَ مُساعَدَتَهُ فلم يُساعِدْهُ أحَدٌ . فترجَّلَ المَلِكُ وساعَدَهُ حتَّى خلَّصَ الحِصانَ ؛ وبعدئِذٍ علِمَ السَّائِقُ أنَّهُ المَلِكُ فاعتَذَرَ إليهِ وسألَهُ العفوَ — فقالَ المَلِكُ : لِماذا تستَحِى وأنتَ لم تُخطِئْ ؟ إنْ أنا إلاَّ إنسانٌ مِثْلُكَ ، ويلزَمُ الإنسانَ أنْ يُساعِدَ الإنسانَ

ثمَّ قالَ الأُستاذُ — إنِّى مسرورٌ جِدًّا مِنْ مُرُوءَتِكُمْ وإنسانِيَّتِكُمْ ، وأتمنَّى أنْ يكونَ الأدَبُ والمُروءَةُ عادَةً لكُمْ فى جميعِ أقوالِكُمْ وأفعالِكُمْ فتكونَ ألفاظُكُمْ دائِمًا حَسَنَةً ، وشَفَقَتُكُمْ عامَّةً ، لا فرقَ بينَ

(١) أى غاصت

الصَّغيرِ والكَبيرِ ، والغنيّ والفقيرِ ، والرَّفيعِ والوَضيعِ ، والقَريبِ والبَعيدِ ، والصَّديقِ والعَدُوِّ ، والعالِمِ والجاهِلِ لِتَنالُوا مَحبَّةَ النَّاسِ ومَحبَّةَ اللهِ تَعالى ، وتُقضَى حاجاتُكُمْ وتَنْجَحُوا في أعمالِكُمْ ، وتَكُونُوا قَدِ اقتَدَيْتمْ بِرسُولِكُمْ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : فإنَّهُ كانَ مِثالَ المُرُوءَةِ . وعُنْوانَ الآدابِ ومَحاسنِ الأخلاقِ

أسئله — (١) ماذا تعمل اذا رأيت أعمى ضالا عن طريقه ؟ (٢) ماذا تعمل اذا رأيت أبكم يشير الى الماء ؟ (٣) ماذا تعمل اذا كنت جالسا على كرسي في مكان مزدحم ورأيت مسنا ؟ (٤) ماذا عمل الملك مع سائق العربة (٥) ماذا قال الملك حينما سئل العفو ؟

﴿ ٢٨ — مُرُوءَتُهُ صلى الله عليه وسلم ﴾

كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَظيمَ المُرُوءَةِ كاملَ الآدابِ قَوْلاً وعملاً ، حَسَنَ المُعاشرةِ خُصُوصاً مع أهلِهِ ووَلَدِهِ وجِيرانِهِ وعشيرتِهِ ؛ لَيِّنَ القَوْلِ ، حُلْوَ

الحَـديثِ، باشّ الوجْهِ، يُراعِى حُقُوقَ غيرِه ، ويَعُودُ المَرْضَى ويلاطِفهُمْ، ويخفّفُ عنهُم مايجِدُونَه ، ويُحيِّي مَن يُقابلُهُ بأحْسنِ تحيّةٍ ، ويُحسنُ إلى الفقراء ، ويُعطِى السّائلَ أو يرُدُّهُ ردًّا جميلا ، ويجيب دَعوةَ الدَّاعِى . ويُغيثُ المَلْهُوفِينَ ، لا يَخُصُّ بمُرُوءَتِه وكَرَمِهِ وحُسنِ أخلاقِه طَائِفَةً منَ النّاسِ ، وَسِعَتْ مُروءَتهُ الغنِيَّ والفقيرَ ، والقَوِيَّ والضّعيفَ ، والوَضِيعَ والرَّفِيعَ ، والقَرِيبَ والبعيدَ ، والعَالِمَ والجاهِلَ . والصّديقَ والعَدُوَّ

حاربَ جَيشٌ من جُيوشِ المُسلِمينَ قَبيلَةَ عَدِيِّ بنِ حاتِمٍ الطَّائِىِّ ، وكانَ قَد هَرَبَ إلى الشَّامِ حينَما عَلِم بقُدُومِ الجَيشِ . ثمَّ انتَصَرَ ذلك الجَيْشُ على تِلك القَبيلَةِ وأُخِذَتْ أُخْتُ عَدِيٍّ فى السَّبايَا . فلَمَّا قَدِمتْ على رَسول اللهِ صلى الله عليه وسلم وعَلِمَ بِفِرارِ أخيها إلى الشّامِ ، عامَلَها بما تَقْتضيه مُروءَتُه . ومَنَّ عَلَيها وكَساها . وأعْطَاها نَفَقَةً كافيةً وأرْكبَهَا . وسيَّرَها إلى أخِيها بالشّام — فقصّتْ عليهِ ما

رأتْ منْ أخلاقِ النّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم وحُسْنِ مُعامَلتِه لها ومُروءتِه وإكْرامِه إيَّاها — فقالَ أخُوها : مارَأْيُكِ في هذاالرّجُلِ ؟ — فقالَتْ أرى أنْ تَذهَبَ إليهِ سريعًا حتّى إذا تَيَقّنْتَ أنّه رَسُولُ اللهِ أسلمْتَ — فقالَ لها هذا هُوَ الرّأيُ . وتَوجّه إلى المَدينةِ لِمُقابَلةِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . وسَنَقُصُّ عليك ما تمّ في ذلك عِنْد الكلامِ في تواضُعِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم

أسئلة — (١) ماذا كان يعمل عليه السلام مع من يسأله ؟ (٢) كيف كانت معاشرته الناس ؟ (٣) ماذا كان يعمل اذا عاد المرضى؟ (٤) كيف عامل أخت عدى ؟ (٥) ماذا صنع عدى ؟

﴿ ٢٩ — التّواضُعُ ﴾

إذا كان تِلْميذٌ غنيًّا أومُتَقَدّمًا في فِرْقَتِه أولابسًا ملابِسَ نفيسةً أونشيطًا في عملِه مُجتَهدًا في دُرُوسِه ، ولم يَفْتَخِرْ على إخْوانِه بِغِناهُ ولا بتَقَدُّمِه ولا بحُسْنِ ملابسِه ولا بِنَشاطِه ولا بأيّ صِفةٍ منْ صِفاتِه أوعملٍ منْ أعمالِه

يُقالُ لهُ مُتَوَاضِعٌ ، وإذا افتَخَرَ بشيءٍ من ذلك ، يُقالُ لهُ مُتَكَبِّرٌ أو فَخُورٌ ، والمُتَكَبِّرُ مَنْ يَعتَقِدُ أنَّهُ أحسَنُ النَّاسِ ويُحِبُّ أنْ يَعتَقِدوا أنَّهُ أحسَنُهُمْ : فَيَمْدَحُ نَفْسَهُ كَثِيراً ، ويَصِفُها بِصِفاتٍ قَدْ لا تَكُونُ فيه : فيُبْغِضُونَهُ ويَحتَقِرُونَهُ ولا يُساعِدُونَه في شيءٍ . والمُتَواضِعُ يَعتَقِدُ أنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ خيرٌ منهُ فيَجتَهِدُ في عَمَلِهِ لِيَصِلَ إلى دَرَجَةٍ أرقَى مِنَ التي هو فيها ، ولا يَمْدَحُ نَفْسَهُ ، ولا يَفْتَخِرُ على أحَدٍ فيُحِبُّهُ النَّاسُ كَثِيراً ، ويألَفُونَهُ ويُساعِدُونَه ويَخْدُمُونَهُ . فَيَنْبَغي أنْ نَكُونَ مِنَ المُتَواضِعِينَ المَحْبُوبِينَ فلا نَفْتَخِرُ على غيرِنا بِغِنانا . لأنَّ ذلك شيءٌ وهَبَهُ اللهُ لَنا ، وقَدْ يُصْبِحُ الغَنِيُّ فَقِيراً والفَقِيرُ غَنِيًّا

إذا كُنَّا من أُسْرَةٍ شريفةٍ ، فلا نَتَباهَى بِشَرَفِ آبائِنَا وأجْدَادِنَا ، وإذا فَعَلْنا أيَّ فِعلٍ حَسَنٍ ، فلا نَمْدَحْ أنفُسَنا على فِعلِهِ أمامَ غَيْرِنَا . لِأَنَّ ذلك لَيسَ مِنْ شأْنِ

المَتَواضِعِينَ — نَرَى كَثِيراً من الأَغْنياء يُجالِسُونَ الفُقَرَاءَ ويُخاطِبُونَهُمْ بألفاظٍ حَسَنَةٍ ولا يَفتَخِرُونَ بأمْوالِهِمْ ونُشاهِدُ كَثِيراً من العُلَماء يُخالِطُون الجُهلاءَ ويُرْشِدُونَهُمْ إلى الصوابِ ، ولا يَتَباعَدُونَ عنْهُمْ لجَهْلِهِمْ . ونجِدُ كَثِيراً من الرُّؤساء يُعاشِرُونَ النَّاسَ بالمَعْرُوفِ . ويُعامِلُونَهُمْ أَحْسَنَ مُعامَلَةٍ ، ومِثْلُ هؤُلاءِ الأَغْنياءِ والعُلَماءِ والرُّؤساءِ يُحِبُّهُمُ النَّاسُ مَحَبَّةً زائِدَةً لِتَواضُعِهِمْ ، ويُطِيعُونَهُمْ ، ويَمْدَحُونَهُمْ فَتَنْجَحُ أعمالُهُمْ ويَنالُونَ مَقاصِدَهُمْ

أسئلة – (١) ماذا يعتقد المتكبر ؟ (٢) أتحب المتكبر ؟ (٣) ماذا يعتقد المتواضع ؟ (٤) أتحب المتواضع ؟ (٥) ما فائدة التواضع ؟

﴿ ٣٠ — تواضعُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم ﴾

كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ متَواضِعاً ، سَهْلَ الخُلُقِ ، ليِّنَ الجانِبِ ، يُمازِحُ أصحابَهُ ، ويُخالِطُهُمْ ، ويُحادِثُهُمْ

ويلاعِبُ صِبْيانَهُمْ ، ويُجْلِسُهُمْ في حِجْرِهِ ، ويُجيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ ، ويَعُودُ المَرْضَى ، ويُجالِسُ الفُقَراءَ والمَساكِينَ ، ويَسأَلُهُمْ عَنْ حاجاتِهِمْ لِيَعْلَمَ أَحْوالَهُمْ ويُساعِدَهم ؛ وكانَ يُنْصِفُ جُلَساءَهُ ويُكْرِمُ كلَّ كريم

قَدِمَ إليْهِ عليه السَّلامُ وهُوَ بالمَدِينَةِ عَدِيُّ بْنُ حاتِمٍ وكانَ نَصْرَانِيًّا فأَخَذَهُ إلى بَيْتِهِ . وبَيْنَماهُما ماشِيانِ إذْ قابلَتْ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عَجُوزٌ ضَعيفةٌ فاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لهَا زَمَنًا طَوِيلاً تُكَلِّمُهُ في حاجاتِها ، فأُعْجِبَ عَدِيُّ بْنُ حاتِمٍ بتواضُعِهِ صلى الله عليه وسلم ، ثم سارَ عليه السلامُ وعَدِيٌّ مَعهُ حتى دَخَلَ البَيْتَ ، فتَناوَلَ وِسادَةً منْ جِلْدٍ مَحْشُوَّةً لِيفًا وقَدَّمَها إلى عَدِيٍّ وقال . اجْلِسْ على هذهِ ـ فقالَ بَلِ اجْلِسْ أَنْتَ عليْها ـ فقالَ بَلْ أَنْتَ ، فَجَلَسَ عليْها عَدِيٌّ وجَلَسَ هُوَ على الأَرْضِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَذْكُرُ لهُ أَشْياءَ كَثيرةً حتَّى اقْتَنَعَ عَدِيٌّ بأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقيقَةً فأَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عنهُ وحَسُنَ إسلامُهُ

أسئلة ـ (١) ماذا عمل الرسول حين استوقفته العجوز ؟ (٢) كيف عامل الرسول عدى بن حاتم ؟ (٣) ما نتيجة وفود عدى ؟

﴿ ١٣ — سؤاله صلى الله عليه وسلم ﴾
أصحابه ؛ (عن الأحداث ودعاؤه لهم)

من تَواضُعِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنه كانَ يَعْتَنِى بالصَّغيرِ والكَبيرِ ، والغَنىِّ والفَقِيرِ ، ويُخاطِبُ النَّاسَ على قَدْرِ عُقولِهِمْ ، ويَصْرِفُ أوقاتَه فى الإِرْشادِ إلى الدِّين ، وفى إِكْرَامِ الوَافِدِينَ عليهِ

قَدِمَ وَفْدٌ من بنى سَعْدٍ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم لِيُبايِعُوهُ بَعْدَأَنِ انْتَشَرَ الإِسْلامُ انْتِشَاراً عَظِيماً فوَجَدُوه يصلِّى على جنَازَةٍ فى المَسْجِدِ ، فانْتَظَرُوا حتَّى أَتَمَّ صلاتَهُ فَنَظَرَ إليهِمْ ودعاهُمْ وقالَ : مِمَّنْ أنتُمْ ؟ ـ قالوا من بنى سَعْدٍ ـ فقال : أَمُسْلِمونَ أنتُمْ ـ قالوا نَعَمْ ـ فقالَ ، هلَّا صَلَّيْتُمْ على أخيكُمْ ؟ ـ فقالوا : يارسولَ اللهِ ظَنَنَّا أنَّ ذلِكَ لا يَجُوزُ

حتى نُبايِعَك ـ فقال عليه السلامُ . أينما أسلمتمْ فأنتم مُسلِمُون) ثمّ بايَعُوهُ وانصَرَفُوا إلى رِحالِهِمْ ، وقدْ كانُوا خَلَّفُوا عليها أصغرَهم . فبعثَ رَسُولُ اللهِ في طَلَبِهِ ورَجَعُوا معه وقالوا : يارسولَ اللهِ إنَّه أصغرُنا وخادمُنا ـ فقال (سيِّدُ القَوْمِ خادِمُهُمْ) ثمّ بايَعَهُ ودعَا لهُ بالبَرَكَةِ ، فكانَ خيرَهم وأقرأهُمْ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ ، ثمّ أمَّرَهُ عليهمْ فكانَ يؤُمُّهُمْ في الصلاةِ ، وأجازَ عليهِ السّلامُ كلَّ واحِدٍ منْهُمْ بمقدارٍ مِنَ الفِضَّةِ ، وعادُوا إلى قَوْمِهِمْ فأسلَمُوا بإسلامِهِمْ

أسئلة ـ (١) أين وجدوفدبنى سعد الرسول ؟ (٢) لماذا لم يصلوا على الجنازه ؟ (٣) ماذا قال الرسول حين قالوا انه أصغرنا وخادمنا ؟ (٤) بم أجازهم عليه الصلاة والسلام ؟

﴿ ٣٢ — عفوه صلّى اللهُ عليه وسلّم عند المقدرة ﴾

كانَ من أخلاقِهِ الكريمةِ عليه السلامُ أنَّهُ إذا قَدَرَ على عدُوِّهِ عَفَا عَنْهُ * وكانَ أهلُ مكّةَ من أكثرَ الأعداءِ لِرَسُولِ اللهِ : لأنَّهُمْ آذَوْهُ كثيراً قبْلَ الهِجْرَةِ بالقَوْلِ

وبالفِعلِ : فقالوا إنّه ساحِرٌ وكَذّابٌ ومجنونٌ ؛ ورَمَوْه بالحِجارةِ حتى شقُّوا جبينَهُ، وكسَرُوا رباعِيَتَهُ ، ووضعُوا الشَّوْكَ في طَريقِه وحارَبوهُ ، وقتلوا أحدَ أعمامِهِ وعذَّبوا أصحابَه ؛ وأخرَجوهُ منْ وطَنِهِ الذى وُلِدَ فيه ؛ ولمَّا مَنَّ اللهُ تعالى عليْهِ بالنّصرِ عليهِمْ وبفتْحِ مكَّةَ دخلَ الكَعْبَةَ وقامَ خطيباً فحمِدَ اللهَ وأثنَى عليهِ وشكرَ له على ذلكَ النّصرِ المُبينِ — ثمّ قالَ لأهلِ مكةَ : ماتقُولونَ وما تَظُنُّونَ فِيَّ ؟ فقالَ أحدُهمْ نقولُ خيراً . ونظُنُّ خيراً . أخٌ كَريمٌ وابنُ أخٍ كَريمٍ وقدْقدَرْتَ — فقالَ أقولُ لكُمْ كما قالَ أخِي يُوسُفُ : لاتثريبَ عليْكُمُ اليوْمَ يَغفِرُ اللهُ لكُمْ وهُوَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ . وعفَا عنْهُمْ عفوَ مُقتَدِرٍ وأسلموا وعزَّ الإسلامُ بِهِمْ

هذَا هوَ الخلقُ العَظيمُ الذى ينبَغى لَنا أنْ نَتخلَّقَ بهِ اقتِداءً بسيِّدِ الخلق عليه الصلاةُ والسَّلامُ : فنَعفُو عنْدَ المَقدرَةِ ، ونُقابِلَ السيِّئَةَ بالحَسنَةِ حتّى تتحوّلَ أعداؤُنا

أصْدَقاءَ ، والمَرْءُ قليلٌ بنفسِهِ كثيرٌ بإخوانِه

أسئلة ـ (١) كيف كانت معاملة أهل مكة للرسول ؟ (٢) اذكر نوعين من أنواع الايذاء التي آذوه بها (٣) ماذا عمل حين فتح مكة ؟ (٤) ماذا قال له أحدهم ؟

✱ ٣٣ ـ وفاته صلى الله عليه وسلم ✱

بَعْدَ أن بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ما أمَرَهُ اللهُ بتَبْليغِه مِنَ الدِّينِ وأحْكامِهِ وانْتَشَرَ الإسلامُ انْتِشاراً عَظِيماً ونَزَلَ قولهُ تعالى (اليَوْمَ أكْمَلْتُ لكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لكُمُ الإسْلامَ دِيناً) تُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليْه وسلم بالمَدِينَةِ في السَّنَةِ العاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ وعُمْرُهُ ثلاثٌ وستُّونَ سَنةً ودُفِنَ بِها وقَبْرُهُ الشَّرِيفُ هُناكَ يَزُورُهُ المُسلِمُونَ مِنْ جَمِيعِ البِقاعِ صلى اللهُ عليه وسلم وعلى آلهِ وأصْحابِهِ وأتْباعِهِ إلى يومِ الدِّينِ

أسئلة ـ (١) كم كان عمره صلى الله عليه وسلم وقت وفاته ؟ (٢) فى أى بلد دفن ؟ (٣) فى أى سنة توفى ؟ (٤) كم سنة مضت من وفاته الى الآن ؟

﴿ إلى التلميذ ﴾

بُنَيَّ العزيز : ليسَ الغَرَضُ من هذهِ الدُّروسِ أن تحفَظَها حفظاً ، بَلِ الغَرَضُ أن تفهَمَها الفهمَ كُلَّهُ ، وتَعْمَلَ بمُقتَضاها وتَتَخلَّقَ بما فِيها منَ الأَخلاقِ الكريمةِ والصِّفاتِ العاليةِ . لِتَشِبَّ عالِماً ، عامِلاً مُتخلقاً بمحاسن الأَخلاقِ وكَريمِ السَّجايا ، فتُريحَ نَفْسكَ وغيرَكَ وتَعْطِفَ القُلوبُ عليكَ ، ويتَوَدَّدَ النَّاسُ إليكَ . فيَحْسُنُ حالُكَ ويُزْهِر مُستقبلُكَ ، ويرضَى اللهُ والنَّاسُ عنكَ ، وتحظى بالسَّعادَةِ فى الدُّنيا والآخرةِ ، وفَّقكَ اللهُ إلى عمل الخير وخير العمل . انه سميع الدعاء ، واسع العطاء وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُميّ وعلى آله وصحبه وسلم ؟

فهرس الجزء الثاني من دروس الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية

دروس
الديانة والتهذيب
للمدارس الابتدائية

الجزء الثالث

مقرر السنة الثالثة

أقرته وزارة المعارف العمومية

تأليف

مصطفى عنانى و عطية الأشقر
المدرس بالمدرسة الخديوية — المدرس بالمدرسة السعيدية

« يطلب من نجيب مترى صاحب مكتبة المعارف ومطبعتها بمصر »

أقر هذا الكتاب صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر الشيخ سليم البشرى رحمه الله

(المطبعة الرحمانية — رجب سنة ١٣٤١ هـ — فبراير سنة ١٩٢٣)

(صورة ما كتبه صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر ، شيخ الجامع الازهر ، الشيخ سليم البشرى : تقريظاً لكتاب دروس الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أكرم أهل الديانة بتهذيب الأخلاق . ومنحهم إقامة الدليل على أنه الواحد الأحد المحسن الخلاق . والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر الأسرار وأُس الديانه . وعلى آله وأصحابه الذين نشروا الأخلاق الفاضلة وأدّوا الأمانه .

وبعد فقد اطلعت على كتاب الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية صنيع حضرتى الاستاذين الفاضلين الجليلين (الشيخ مصطفى عنانى والشيخ عطية الأشقر) فوجدته من أنفع التأليف وأحسن التصانيف، صحيح المبنى، صادق المعنى، جمع من المعارف ما تشتت مع سهولة العباره، وحسن الاشاره، فلله درّ مؤلفيه، كم أبدعا فيه . رزقه الله الاقبال والقبول ، إنه أكرم مسؤل

٤ محرم سنة ١٣٢٩ شيخ الجامع الازهر

٥ يناير سنة ١٩١١ الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله وآله

« وبعد » فهذا مقرر السنة الثالثة من المدارس الابتدائية في العقائد والعبادات والأخلاق ، على آخر منهاج لوزارة المعارف العمومية ، رأينا جمعه وطبعه رجاء الانتفاع به ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

مصطفى عناني * عطية الاشقر

العقائد

الْعَقَائِدُ جَمْعُ عَقِيدَةٍ . وَهِىَ مَا يَدِينُ بِهِ الإِنْسَانُ ، وقدْ غَلَبَتْ على ما يَعْتَقِدُهُ المُكَلَّفُ بِالنِّسْبَةِ للهِ تعالى ورُسُلِهِ وما جاءوا بِهِ

أَيُّها التِّلْمِيذُ النَّبِيهُ : إِذَا تَأَمَّلْتَ الثَّوْبَ الذِى تَلْبَسُهُ وجَدْتَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ لهُ منْ غازِلٍ ، وناسِجٍ ، وناصِحٍ (أى خَيَّاطٍ) وإِذَا فَكَّرْتَ فى الرَّغِيفِ الذِى تأْكلُهُ رَأَيْتَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إلى زَارِعٍ ، وحاصِدٍ ، ودَارِسٍ ، وطَاحِنٍ ، وعاجِنٍ ، وخابِزٍ ، وإذا تَبَصَّرْتَ الْبَيْتَ الذى تَسْكُنُهُ وَجَدْتَ أَنَّهُ مَا صَلَحَ لِلسُّكْنَى إِلاَّ بَعْدَ أَنِ اشْتَغَلَ فيهِ الْبَنَّاءُ والنَّجَّارُ والحَدَّادُ والطَّلاَّءُ وغيرُهُم . وإِذَا وجَّهْتَ فِكْرَكَ إلى الْعُدَدِ التى عُمِلَتْ بها تِلْكَ الأَشْياءُ المُتَقَدِّمَةُ رَأَيْتَ الصَّنائِعَ قدْ تَعَدَّدَتْ ، والحِرَفَ قدْ تَنَوَّعَتْ ، حتى يَصْعُبَ عليْكَ عَدُّها وحَصْرُها ، إِذَا غادَرْتَ تِلْكَ الأَشْياءَ ، وَنَظَرْتَ إِلى مَا يُحِيطُ بِكَ ، وَيَقَعُ تَحْتَ بَصَرِكَ . مِمَّا لاَ بُدَّ لَكَ

مِنهُ ولاَ غِنًى لكَ عنهُ ، كَكُتُبِكَ وأدَوَاتِكَ ، من كُرَّاساتٍ ، وَحبْرٍ ، وَأقلاَمٍ ، ومَا شاَكلَ ذَلكَ — تَرَى أَنَّها قدْ صَنَعَها صُنَّاعٌ كَذَلكَ تَختَلِفُ ألقابُهُمْ باختِلاَفِ مِهَنِهِمْ وحِرَفِهِمْ

منْ ذَلكَ كلِّهِ نَستَنْبطُ (أَنَّ كلَّ صَنعَةٍ لاَ بُدَّ لهَا منْ صانِعٍ) وإِذَا قَرَنتَ الصَّنائعَ بَعضَها ببَعْضٍ وجَدْتَ مِنهَا ما يَحتَاجُ إلى كَبيرِ فِكرٍ كَعمَلِ الآلاتِ البُخَارِيَّةِ ، ومِنهَا مالاَ يَحتاجُ الى ذلِكَ كَعَمَلِ الحذَّاء والطَّلاَّء ، وإِنَّكَ إِذَا رَجعْتَ إلى نَفسِكَ ، تَجِدُكَ قَدِ اتَّخَذْتَ صَنْعةَ الشَّخْصِ مِيزاناً تَعْرِفُ بهِ رِفْعةَ شأْنهِ أوْ ضَعفَ حالهِ ، وكلُّ النَّاسِ مِثلُكَ في ذلكَ ، فمنْ هُنا يُمكنُ أَنْ يقالُ . (جَوْدَةُ الصَّنْعَةِ تَدُلُّ على عِظَمِ الصَّانعِ ، والصَّنْعةُ الجَليلَةُ يكُونُ صانِعُها جَليلاً) أَنْتَ تَرَى أشْياءَ كَثيرَةً : مِنها ما يَسْهُلُ عليْكَ عَملُهُ ، ومنها ما يَصعُبُ ، ومِنها مالاَ يَتَسنَّى لكَ أنْ تُحْكِمهُ مَهْما بَذلْتَ منَ الجُهْدِ ، وانفقْتَ منَ القُوَّةِ ، ولَكِنْ إِذَا شارَكَكَ غيرُكَ ، سَهُلَ الحصُولُ عليهِ على الوَجْهِ الذي تَرْغبُهُ ، وكما تَرَى تِلكَ الأَشْياءَ السَّابِقَةَ تَرَى

أشياء أخرى تشعر من نفسك بالعجز عن تأديتها كما تشعر بأنك لو اشتركت مع من في الأرض جميعهم لا يمكنكم أن تصلوا إليها وذلك كالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجبال والبحار والحيوان ، والإنسان . أنا متيقن أنك تعتقد أن هذه الموجودات جليلة عظيمة ، وأنه لابد لها من موجد ، وأن موجدها وصانعها يخالف هؤلاء الموجودات وأنه لا نظير له ولا مثيل — وأنا أعلم أيضاً أن نفسك ستتشوق ، وفكرك سيتطلع إلى معرفة ذلك الموجد الجليل ، والصانع العظيم ، الذي قدرته فوق هذه القدر ، وصنعته لا يجارى فيها ولا يبارى ، وبالضرورة ستقف أمام ذلك حائراً مبهوتاً ، لا تعرف السبيل ، ولا تهتدي الطريق ، ولك العذر في ذلك فهذا مجال يضل فيه السائر بلا دليل ، والسارى بلا ضياء ، علم ذلك كله ، هذا الموجد العظيم فاختار قوماً من خلقه ، واصطفاهم لنفسه ، وكملهم بما شاء من الأخلاق الطاهرة ، والنفوس العالية ، وعرفهم طريق الوصول إليه وسبيل

تَعَرُّفِهِ ، وآتاهُمْ منَ الحِكَمِ ما فيهِ هِدَايَةٌ للنّاسِ ، ثمَّ أمرَهمْ بِتَبْليغِ ذَلكَ لهُمْ لِيَسْتَضِيئُوا بِمِشْكَاتِهِ ، وليَطْمَئِنَّ بالهُمْ ، وتَصفوَ حياتُهُمْ ، فَبلَّغُوا مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ : فاتّبعهُمْ قومٌ ، وعارَضَهُمْ آخرُونَ ، فجَادَلوهمْ بالبُرْهانِ ، وَأَقنَعُوهمْ بالدَّليلِ : فَمِنْهُمْ مَنْ هداهُ اللهُ ، فآمنَ بِهِم ومِنهمْ مَنْ ضَلَّ عنْ سواءِ السّبِيلِ . ومعَ ذلكَ كلِّهِ لمْ يَعْرِفْ أحَدٌ كُنْهَ ذلكَ المُوجِدِ ولا ذَاتَ ذلكَ الصّانعِ ، وكلُّ ما أمكَنَ الوُصُولُ إليْهِ إنّما هُوَ معرِفَتُهُ بِأسْمائِهِ الحُسنى ، وَصِفاتِهِ العُلْيا ، أما أسْماؤُهُ فكثيرةٌ منها — اللهُ . الرّحمنُ . الرّحيمُ . المَلِكُ . القُدُّوسُ . السّلامُ . المُؤمنُ — إلى آخِرِها . وهيَ المَشْهُورَةُ بأسْماءِ اللهِ الحُسنى

وأمّا صِفاتُهُ فَسَنَذْكرُها على وَجْهٍ يَكْفُلُ لكَ الاعْتِقادَ التّامَّ ويملأُ قلبَكَ باليَقينِ

مقدمة

﴿ الوَاجِبُ والمستَحيلُ والممكنُ ﴾

تَعرِفُ أنَّ الاثنينِ هيَ واحدٌ وواحدٌ. فإذا قالَ إنسانٌ (الواحدُ نِصفُ الاثنينِ) فإنَّكَ تُصدِّقُ وتَعتقِدُ أنَّ هذا أمرٌ لا شكَّ فيهِ، ولا يُمكنُ عدمُهُ. وإذا قالَ: (الجسمُ إمَّا متحرِّكٌ أوْ ساكنٌ) فإنَّكَ تصدِّقهُ أيضاً، وتَعلمُ أنَّهُ أمرٌ محقَّقٌ: لِأنَّ الجسمَ لاَ يخلو منَ الحركةِ أوِ السُّكونِ — كلُّ شيْءٍ لاَ يُصدِّقُ العقلُ عدمَهُ يقالُ لهُ ﴿ واجبٌ ﴾ — وإذاقالَ إنسانٌ: (نِصفُ التفَّاحةِ أكبرُ منَ التفَّاحةِ كلِّها). فإنَّكَ لا تُصدِّقُهُ، بلْ تَعتقِدُ أنَّ هذا أمرٌ لاَ يتأتَّى حُصُولُهُ (لِأنَّ جُزْءَ كلِّ شيْءٍ أصغَرُ منْ كُلِّهِ) وإذا قالَ: (هذا الجِسْمُ لَيْسَ بِمُتَحرِّكٍ ولاَ ساكنٍ) فإنَّكَ لاَ تُصدِّقهُ أيضاً. لِعَدَمِ إمكانِ ذلكَ — كلُّ شيْءٍ لاَ يُصدِّقُ العقْلُ وُجودَهُ يُقالُ لهُ ﴿ مُستَحيلٌ ﴾ — وأنتَ تُشاهِدُ كلَّ يومٍ أُناساً يُولَدُونَ.

وآخرِينَ يموتونَ . فإذا قيلَ لكَ . إنّ فُلانًا وُلِدَ لهُ وَلَدٌ فإنّكَ تَعتقِدُ أنّ هذا أمرٌ جائزٌ . وإذا قِيلَ لكَ : إنَّ ذلكَ المَوْلودَ قدْ ماتَ فإنّكَ تَعتقِدُ أنَّ هذا أَمرٌ مُمكِنٌ أيضًا . وإذا قِيلَ لكَ : إنَّ الجِسْمَ مُتحَرِّكٌ صَدَّقْتَ وإذَا قِيلَ إنّهُ ساكِنٌ صَدَّقْتَ أيضًا : لِجَوَازِ الحَرَكَةِ والسُّكونِ على الأجْسامِ — كلُّ شيْءٍ وُجُودُهُ وعدَمُهُ على السَّوَاءِ يقالُ لهُ : « ممكنٌ » — فكلُّ ما يَرِدُ على العَقْلِ إمَّا وَاجِبٌ أوْ مُسْتَحِيلٌ أوْ مُمكِنٌ

« الممكنُ لابُدَّ لهُ منْ مُوجِدٍ »

إذَا قالَ لكَ إنْسَانٌ . إنِى رَأيْتُ مِيزَانًا مُتَسَاوِى الْكِفّتيْنِ ، وَبَيْنَما هُما كذَلكَ انْخَفَضَتْ إحْداهُما بِدُونِ سبَبٍ فإنّكَ تَقولُ : إنَّ هذا مُسْتَحِيلٌ عقْلاً لأنَّ المُتَساوِيَيْنِ لاَيَرْجَحُ أَحَدُهما الآخَرَ بِلاَسبَبٍ . منْ هُنا تفْهَمُ أنَّ (الممكنَ) لاَ يُوجَدُ إلاَّ بِسَبَبٍ يُرَجِّحُ وُجُودَهُ على عَدَمِهِ : لِمَا علمْتَ مَنْ أنَّ وُجُودَهُ وعدَمَهُ سواءٌ

﴿ الموجدُ ﴾

تَرَى أَشياءَ تُوجَدُ بعدَ أنْ لمْ تَكُنْ ، وأُخرَى تَعدَمُ بعدَ أنْ وُجِدَتْ . كأشخاصِ النباتِ والحيوانِ . فهذهِ الأشياءُ لا يَجُوزُ في العقلِ أنْ تَكونَ قدْ وُجِدَتْ بِنفسِها . بلْ لابُدَّ لهَا منْ مُوجِدٍ أوْجدَها . لِمَا علمْتَ منْ احتياجِ المُمكنِ إلى مُوجِدٍ — وذلكَ الموجدُ هوَ ﴿ الله ﴾ سُبْحانه وتعالى

﴿ الله جلَّ شأنه ﴾

١ — (اللهُ الَّذِي خلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ وأَنْزَلَ منَ السَّماءِ ماءً فأخْرَجَ بهِ منَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ في البَحْرِ بِأمْرِهِ وسَخَّرَ لَكُمُ الأنْهارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْنِ وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ وَآتاكُمْ مِنْ كلِّ مَا سَألْتُمُوهُ)

٢ — (الَّذِي خلَقَ فَسوَّى والذِي قدَّرَ فهَدَى والَّذِي أخْرَجَ المَرْعَى)

٣– (واللهُ أَخرَجَكُمْ منْ بُطُونِ امَّهاتِكُمْ لاَ تَعلَمُونَ شَيئًا وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ)

٤ – (هُوَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ فإذَا قَضَى أمْرًا فإنَّما يَقولُ لهُ كُنْ فيكُونُ)

٥ – (الَّذِي أَحْسَنَ كلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ منْ طِينٍ)

منْ هذهِ الآياتِ تَعلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ هوَ الخَالِقُ لِلسَّمٰوَاتِ والأَرْضِ ومَا فِيهِنَّ ، المُتَصَرِّفُ في الكَوْنِ بقُدْرَتِهِ . وقدِ اتَّفَقَتِ الأَدْيانُ جَميعُها على ذَلكَ وأَثبَتَهُ العَقلُ إثْباتًا لاَ يَقبَلُ النَّقْضَ : فإنَّ هذهِ المَوْجودَاتِ العَظيمةَ كلَّها منَ المُمْكِناتِ الَّتِي لابُدَّ لهاَ منْ مُوجِدٍ جَليلِ الشَّأْنِ عَظِيمِ القُدْرَةِ ، وإنَّ نِظامَهَا البَدِيعَ يَستَلزِمُ أنْ يَكُونَ مُوجِدُهَا مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الكَمالِ مُنزَّهًا عنِ النَّقْصِ

﴿ اللهُ تعالى قَديمٌ باقٍ ﴾

إذَا تأمَّلتَ أيَّ شَيْءٍ منَ الأَشْياءِ الَّتي تُحيطُ بِكَ ، تَرَى

أنهُ كانَ معدُومًا ثم وُجِدَ (أي أنّ لهُ أوّلاً : وهُوَ مبدأُ وُجودِهِ) وأنهُ يبقى زمنًا ثمّ يُعدَمُ (أي أن لهُ آخرًا : وهُوَ وقتُ فنائِهِ) فالإنسانُ يُوجَدُ بعدَ أنْ لمْ يكُنْ ويعيشُ زمنًا ثمّ يَفنَى ، وكذلِكَ الحيوانُ والنّباتُ والجمادُ — كلُّ شيءٍ لهُ أوّلٌ يقالُ لهُ (حادِثٌ) وكلُّ شيءٍ لهُ آخِرٌ يقَالُ لهُ (فانٍ) واللهُ سُبحانهُ لاَ يلحقهُ العَدَمُ لا ابتِدَاءَ ولاَ انتِهاءَ فهوَ تعالى (قديمٌ) أيْ لاَ أوّلَ لوُجُودِهِ (باقٍ) أيْ لاَ يلحقهُ الفَناءُ

اللهُ تعالى حيٌّ

منَ المَخلوقاتِ التي خلقَها اللهُ تعالى الإنسانُ ، وقدْ منَحهُ الحَياةَ التي بِها يَنمُو ويتحرّكُ ، ويَشعُرُ ويُريدُ ويَعلمُ — ومِنها الحَيوانُ الذِي وهبَهُ اللهُ تعالى حَياةً هِيَ السّبَبُ في حركَتِهِ ونُمُوّهِ ، وتَناوُلِهِ مَا يحفَظُ بهِ شَخْصَهُ ونَوْعَهُ — ومنها النّباتُ وقدْ أعطاهُ اللهُ تعالى حَياةً بها يَتغذّى ويَنمُو ولكِنّهُ لاَ يتحرّكُ بإرادتِهِ ، ولاَ يَشعُرُ فالحَياةُ في الحَيوانِ وَالنّباتِ منَ اللهِ تعالى

وهىَ فى الإنسانِ أكملُ منها فى الحَيوانِ الأعْجَمِ ، وفى الحَيوانِ أتمّ منها فى النباتِ ، وهذهِ أشياءُ مُدرَكَةٌ بالحِسِّ ، لا تحتاجُ إلى بُرهانٍ ، ثمّ إذا فُقِدَتِ الحَياةُ فقدَ صاحبُها كلَّ خوَاصِّها فلاَ يَتأتّى منهُ عملٌ ولاَ حرَكَةٌ ، وإنّكَ لتُشَاهِدُ أفعالَ اللهِ سُبْحانهُ وتعالى وتَصَرُّفاتِهِ البَدِيعَةَ فى خَلْقِهِ كلَّ حِينٍ ، فهَلْ تَتَصوّرُ أنْ وَاهِبَ الحَياةِ لجميعِ المَخلوقاتِ الحَيّةِ والمُتصرِّفَ فى خلقِهِ هذا التّصرُّفَ العَجيبَ يكونُ فاقدَ الحياةِ — حاشا وكلاّ — إنّ فاقِدَ الحَياةِ لاَ يَهَبُها ، ولاَ يَتأتّى لهُ أنْ يَعْمَلَ عملاً (فاللهُ سبْحانهُ وتعالى حَىٌّ لاَ يموتُ أَبَدًا) وحَياتُهُ لا تُماثِلُ حيَاتَنا ، فإنّ حَياتَهُ وَاجبة لمْ يَسْبِقْها عَدَمٌ ولا يَطرَأُ عليْها عدَمٌ ، وحَياتَنا حادِثة : لِأنّهُ هوَ الّذِى أَوْجدَها — حَياتُهُ تعالى لا تُفارِقهُ وحَياتُنا تُفارقُنا عِنْدَ المَوْتِ ، حَياتُه تعالى هىَ التى تُفِيضُ الحَياةَ على كلِّ حَىٍّ ، وحيَاةُ كلِّ مخلوقٍ مُختَصّة بهِ

﴿ الله تعالى عالمٌ قادر ﴾

إذَا تأملْتَ السّاعةَ التى تَعلمُ بها الوَقتَ ، وعرَفتَ مَا فيها

منَ النّظام العجيب المبنىّ على قواعد هندسيّة فى غاية الضبط ونهاية الإحكام فإنك تستنبط بفكرك أنّ صانعها ذو علم كاف لإتقانها، وقدرة تامة لصنعها وإحكامها، ولو قيل لك إن صانعها جاهل أو عاجز، فإنك لا تصدّق. لأنّ الجاهل بالشىء لا يحكمه، والعاجز عن الشىء لا يوجده وكلما كانت الصنعة محكمة دلت على اتّساع علم الصانع، وعظيم قدرته، تأمّل نفسك كيف تسمع وتبصر، وتحس وتدرك وتعمل الأعمال التى يعجز عنها غيرك من المخلوقات. ثمّ انتقل إلى بقية الحيوان، وتأمل كيف خلقه الله تعالى وسوّاه، وهداه إلى طرق حياته فى البرّ والبحر — تأمّل الكواكب وكيفية سيرها فى مداراتها، تراها تابعة لنظام محكم بحيث لو خرج كوكب عن مداره لاختلّ نظام العالم — تأمّل المعادن كيف أودعت فى جوف الأرض وهدى الإنسان إلى استخراجها واستخدامها فى منافعه — تأمّل البحار والجبال والأنهار وأنواع النبات والثمار — تأمل أىّ شىء

منَ المَخلوقاتِ تجدْهُ تامَّ الصنْعِ ، مُحْكَمَ الوَضعِ ، يَعجزُ أيُّ مَخلوقٍ عنْ إدْراكِ حقيقتِهِ فضلاً عنْ إيجادِ مِثلِهِ فتستنبطُ بعقلِكَ منْ ذلكَ كلِّهِ أنَّ صانعَ هذهِ الأشياءِ وخالقَها لابُدَّ أنْ يكونَ تامَّ القُدرةِ مُحيطاً عِلمُهُ بكلِّ شيءٍ ، لا يَعزُبُ عَنْ عِلمِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وَبِذا يَثبُتُ لديْكَ أنَّ اللهَ تعالى (عالمٌ قادرٌ)

﴿ اللهُ تعالى مريدٌ ﴾

ثَبتَ أنَّ اللهَ تعالى هُوَ المُوجِدُ لجميعِ المُمكِناتِ ، وأنَّهُ تامُّ القُدْرَةِ والعِلْمِ ، وإذَنْ لا يُعقَلُ أنْ يُكرِهَهُ أحَدٌ على عملٍ لأنَّ المُكرَهَ يَكونُ عاجزاً عنِ الدِّفاعِ عنْ نفسهِ ، ويكونُ عملُهُ على غيرِ مُقتَضَى عِلمِهِ ، واللهُ سبْحانهُ مُنزَّهٌ عَنِ العجزِ والجَهلِ فهُوَ تعالى (مُريدٌ) يَخلُقُ ما يشاءُ وَيَختارُ : يُوجِدُ الأشياءَ بقُدرَتهِ على مُقتَضى عِلمِهِ ، في الوَقتِ الذي يُريدُهُ ، وفي المَكانِ الَّذي يَشاؤهُ وعلى القَدْرِ وَالصِّفَةِ التي يَختارُها لهُ

﴿ اللهُ تعالى واحدٌ ﴾

مَن احتاجَ إلى مُساعَدَةِ غيرِهِ ، كانَ عاجزاً عَنْ إتمامِ عملِهِ وحدَهُ ، وقدْ علِمتَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ تامُّ العِلمِ والقُدرةِ والإرادةِ ، وأنهُ أوجَدَ هذا العالَمَ ، فلوْ كانَ لهُ شريكٌ يُساعِدُهُ لكانَ عاجزاً عَنْ إيجادِهِ على هذا النِّظامِ البَديعِ ، والعَجزُ منهُ تعالى نقصٌ . ووجودُ الشريكِ يَستلزِمُ فسادَ نظامِ هذا العالَمِ : لأنَّ الشريكَينِ يَجوزُ أنْ يختلِفا (لوْ كانَ فيهِما آلِهةٌ إلاَّ اللهُ لَفسَدَتا) (وإلهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ) ﴿ فاللهُ واحِدٌ لاَ شَريكَ لهُ ﴾

﴿ اللهُ تعالى قائمٌ بِنفسِهِ مُخالِفٌ للحَوادِثِ ﴾

عَلِمتَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى مُوجِدُ كلِّ شيْءٍ ، فلاَ يُتصوَّرُ أنهُ مُحتاجٌ إلى مُوجِدٍ يُوجِدُهُ ، لِأنَّهُ لوْ افتقَرَ إلى مُوجِدٍ لَكانَ حادِثاً ، وقدْ ثبَتَ أنهُ قديمٌ — وهوَ الذي يُعطي ويَمنعُ ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ ، لا شَريكَ لهُ في مُلكِهِ ، فهوَ

غنيٌّ عَنْ جميعِ خلقِهِ (يا أيُّها النّاسُ أنتمُ الفقراءُ إلى اللهِ واللهُ هُوَ الغنيُّ الحميدُ) ترى الحوادثَ لها جسمٌ ولها أزمنةٌ وأمكنةٌ تُوجدُ فيها ، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ عَنْ ذلكَ ، لأنهُ لوْ كانَ كذلكَ لَكانَ حادثًا مثلَها ، وقدْ علِمْتَ أنَّهُ قديمٌ باقٍ ، فاللهُ تعالى «قائمٌ بنفسِهِ» أي لا يحتاجُ إلى شيْءٍ وهوَ «مخالفٌ للحوادث» (ليْسَ كمثلِهِ شيْءٌ)

« اللهُ تعالى سميعٌ ، بصيرٌ ، متكلمٌ »

منَ البدَهِيِّ أنَّ الذي يَسْمعُ خيرٌ منَ الأصمِّ (الّذِي لا يَسْمعُ) وأنَّ الذي يُبْصِرُ أكملُ منَ الأعمى ، وأنَّ المتكلِّمَ خيرٌ منَ الأبكمِ (الّذي لا يتكلَّمُ) فالسّمْعُ والبَصَرُ والكلامُ منْ صِفاتِ الكمالِ وَقدْ علِمْتَ أنَّهُ تعالى متَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ مُنزَّهٌ عَنْ كلِّ نقصٍ ، وقدْ ورَدَ في القرآنِ الكريمِ اتِّصافُهُ بهذِهِ الصِّفاتِ الثلاثِ ، قال تعالى (وهُوَ السّميعُ البَصيرُ) وقال

(وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً) فالله تعالى ﴿ سميعٌ بصيرٌ متكلمٌ ﴾ وليسَ سمعُهُ وبصرُهُ وكلامهُ كسمعِنا وبصرِنا وكلامِنا (ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ)

﴿ أفعالُ اللهِ تعالى ﴾

إذا كانَ لكَ مالٌ وأعطيْتَ أحدَ خدَمِكَ شيئاً منهُ وحرمْتَ الآخرَ ، أوْ أعطيتَ أحدَهمْ كثيرًا والآخرَ قليلاً ، أو اختصصْتَ واحدًا بخدمَتِكَ وكسوْتَهُ ثيابًا فاخرةً ، والثانيَ بالعمَلِ في الزّراعةِ وألبسْتَهُ مايناسبُها ، والثالثَ بخدمةِ الدّوابّ فلاَ يلومُكَ عاقلٌ على تصرُّفِكَ . لأنّهُ مالُكَ تتصرّفُ فيهِ كيفَ تشاءُ ، وإذا كُنتَ عاقلاً عالمًا باستعدادِ خدمِكَ عادلاً حكيماً تضعَ الأشياءَ في مواضِعِهَا ، فإنّكَ لاَ تُعطي أحدًا إلاّ ما يستحِقُّهُ ، ولاَ تضعُ خادِماً إلاّ في العملِ الذي يليقُ بهِ : لأنَّ أفعالَ العاقلِ العادِلِ تُصانُ عنِ العبثِ والظُّلمِ ، ولاَ بُدَّ لهَا منْ حِكْمةٍ ، ومعَ هذا قدْ يُدرِكُ بعضُ النّاسِ

الغرضَ من تصرّفك فيعترفون بحكمتك ، ويَعترضُ بعضٌ آخرُ لجهلهم غرضَك وعدمِ اعتقادِهم فيك العلمَ والحكمةَ، إذا وعيتَ هذا ، فاعلمْ أنّ جميعَ الأشياء الممكنةِ في قبضةِ اللهِ تعالى وتحتَ تصرّفه، فهو المنفردُ بإيجادِ هذا وإعدامِ ذاكَ . ورزقِ زيدٍ وحرمانِ عمرو . إلى غيرِ ذلك من الأفعالِ وهو تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ قادرٌ مريدٌ لا شريك له في ملكه ، حكيمٌ يضعُ كلَّ شيءٍ في موضعه ، فلا بُدَّ لكلِّ فعلٍ من أفعاله من حكمةٍ وفائدةٍ تترتّبُ عليه ، وقد ظهرَ في صنعه المتقنِ كثيرٌ من الأسرارِ والحِكَمِ : كخلقِ الحواسِّ للحيوانِ ليهتديَ بها إلى حفظِ حياته . وكإيجادِ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ لهدايةِ الإنسانِ إلى طرقِ معاشه . وكبسطِ الرزقِ لبعضِ عبادهِ المخلصينَ . وتضييقِه على الكسالى المتقاعدينَ — وإنما خفيتْ حِكَمُ بعضِ أفعالهِ على العقولِ لأنّ للعقلِ حدًّا مخصوصًا لا يتعدّاه ، كما أنّ للبصرِ غايةً لا يتجاوزُها ، وقد تفاوتتِ العقولُ في فهمِ الأسرارِ كما تفاوتتِ العيونُ

فى الأبْصارِ، فعلَينا أنْ نعتَقِدَ أنَّ إيجادَ كلِّ مُمكِنٍ وإعْدامَهُ جائِزانِ فى حقِّهِ سبْحانَهُ وتعالى، وأنَّ أفعالَهُ مُنزَّهَةٌ عنِ العبثِ، لا تخلو منَ الحِكمَةِ والفائِدَةِ وإنْ خَفِيَتْ على بعْضِ النّاسِ أحْيانًا

١

وقفَ رَجلٌ تحتَ شجَرَةِ جُمّيزٍ وشَخَصَ ببَصَرِهِ إليْها، وتأمَّلَ ضَخامَةَ جِذْعِها، وارْتِفاعَ فُرُوعِها وصِغرَ ثمَرِها، وتذَكَّرَ كِبرَ البِطّيخِ وضَعْفَ شُجَيْراتِهِ، وخطرَ بفِكْرِهِ أنّهُ كانَ الأوْلى أنْ يكونَ البِطّيخُ ثمَرَةً لِشجَرَةِ الجُمّيزِ لِتتَناسَبَ الأجْسامُ، وبيْنَما هوَ فى هذا الخاطرِ إذْ سقطَتْ جُمّيزَةٌ على رأسِهِ، فاعْترَفَ بجَهْلِهِ واعتَقَدَ أنَّ أفعالَ اللهِ لاَ تخلو منَ الحِكمَةِ

* نتيجة

ممّا تقدّمَ تعلمُ أنَّ الواجبَ لهُ تعالى هو الوُجُودُ، والقِدمُ والبَقاءُ، ومُخالفَتُهُ لِلحَوادِثِ. وقِيامُهُ بنَفْسِهِ، والوَحْدانيّةُ،

والقُدرَةُ ، والإرادَةُ ، والعِلمُ ، والحَياةُ ، والسمْعُ ، والبَصَرُ ، والكلامُ . وأنَّهُ تعالى قادِرٌ ، مُرِيدٌ ، عالمٌ ، حَيٌّ ، سَميعٌ ، بَصيرٌ ، متكلّم وأنّهُ مُتّصِفٌ بجميعِ صِفاتِ الكمالِ — وأنّ المُستحيلَ عليهِ تعالى أضْدادُ الصفاتِ السابِقةِ — وهيَ العدَمُ . والحُدُوثُ وَالفَناءُ . والمُماثَلةُ لِلحَوادِثِ . والاحتِياجُ إلى غيرِهِ ، وَوُجُودُ الشّرِيكِ . والعَجزُ والكَراهيةُ والجَهلُ . والمَوتُ . والصمَمُ . والعَمى . والبَكمُ — وأنهُ تعالى عاجز ، أوْ مُكرَه أوْ جاهِل . أوْ مَيّت أوْ أصَمّ أوْ أعمى ، أوْ أبكَمُ . أوْ مُتّصِف بِأيّةِ صِفةٍ من صفاتِ النقْصِ ، تعالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلوًّا كَبيرًا وأنّ الجائِزَ في حقّهِ تعالى هوَ فِعلُ المُمكِناتِ أوْ تَرْكُها

﴿ إرْسَالُ الرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام ﴾

حاجَاتُ النّاسِ في الحَياةِ الدُّنيا مُتنوِّعَة ، وأخلاقُهُمْ مُتَفَاوِتَة ، وعُقولُهُمْ مُتَبايِنة ، ولَيْسَ في استِطَاعَةِ أحَدٍ أنْ

يُدْرِكَ بعقلهِ مابهِ سَعادَتُهُ فى دُنْياهُ وآخرَتِهِ ، ولاَ أَنْ يَعْرِفَ جَمِيعَ مايَجِبُ لخالِقِهِ منَ الصِّفَاتِ ، ولا أَنْ يَضَعَ قانُونًا عامًّا يُبيِّنُ فيهِ ما يَضْمَنُ لِكلِّ إِنْسانٍ راحتَهُ وسَعادَتَهُ فى الدُّنيا والآخرَةِ

اتَّفقتْ كلِمَةُ العُقلاَء على أَنَّ للإِنْسانِ حَياةً أُخرَى بعدَ الحَياةَ الدُّنْيا يَتمتَّعُ فيها بالنَّعيمِ ، أَوْ يَشْقى فيها بِعذابٍ أَليمٍ وعلى أَنَّ السَّعادَةَ والشَّقاءَ فى تِلْكِ الحَياةِ مُرْتَبِطَتَانِ بأَعمالِ المرْءِ فى الحَياةِ الدُّنْيا . سوَاءٌ كانَتْ تِلْكَ الأَعمالُ قَلْبيَّةً : كالاعتِقادَاتِ ، أَمْ بَدَنيَّةً كأَنوَاعِ العِبَاداتِ ، بَلْ كَثِيرًا ما تَشْعُرُ النفوسُ بأَنّ هذا العُمْرَ القَصيرَ الذى يَعيشُهُ الإِنْسانُ لَيْسَ هو مُنْتهى أَمرِهِ ، بَلْ لاَبُدَّ له منْ حَياةٍ بعدَ هذِهِ . وهذا الشُّعورُ هو الذى يَسُوقُها إِلى السُّؤَالِ عنِ الطَّرِيقِ المُوَصِّلِ إِلى السَّعادَةِ فى تلكِ الحَياةِ المُغَيَّبَةِ عنهـا ، وعنْ تَعرُّفِ شَىْءٍ منْ أَحْوَالِهَا ولٰكِنَّها لا تَهْتَدِى إِلى ذلك وحدَها ، فَكانَ منْ حِكْمَةِ الصَّانعِ الحَكيمِ الذى أَحْسنَ كلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ، العالمِ

بمصالح العبادِ وبما يوصّلهم إلى سعادةِ الدارينِ أن اصطفى لهم من خلقِه أناساً ميّزهم بالفِطرِ السليمةِ والأرواحِ الطاهرةِ وجعلهم رُسلاً إلى النّاسِ هادينَ ومبشّرينَ ، ليبيّنوا لهم ما يكونُ له دخلٌ في سعادتِهم ، ويذكروا لهم من أحوالِ الآخرةِ مالا بدَّ لهم من علمِهِ ، ويبلّغوا عنهُ الشرائعَ التي تبيّنُ للنّاسِ طريقَ السَّيرِ في هذهِ الحياةِ لتقويمِ نفوسِهم ، وكبحِ جماحِ شهواتِهم ، وتعليمِهم ما هوَ مناطُ سعادتِهم وشقائِهم ، وأيّدهم بالحججِ الباهرةِ ليتمَّ الاقتناعُ بأنّهم رُسلُ اللهِ مبشّرينَ ومنذرينَ : يبشّرونَ بالسّعادةِ والنعيمِ الدائمِ مَنْ صدّقهم وأطاعهم فيما جاءوا بهِ من عندِ اللهِ تعالى ، وينذرونَ بالشقاء والعذابِ الأليمِ مَنْ كذّبهم وعصاهم (لِئَلاّ يكونَ للنّاسِ علي اللهِ حُجةٌ بعدَ الرُّسلِ)

﴿ وظيفةُ الرُّسلِ ﴾

منزلة الرُّسلِ منَ الأُممِ كمنزلةِ العقول منَ الأشخاص

فإرسالهم حاجة من حاجات الأمم البشرية ، ونعمة من نعم واهب الوجود ، قضت رحمة المبدع الحكيم بها

الرسل يرشدون الناس إلى معرفة صفات الله الواجب معرفته بها ، ويجمعون كلمة الخلق على إله واحد ويدعونهم إلى الرجوع إلى الله في جميع أعمالهم ومعاملاتهم ، ويذكرونهم بجلاله وعظمته ، وهم الذين يبينون للناس أنواع العبادات التى يتقربون بها إلى الله تعالى ، وضروب المعاملات التى يحل لهم تعاطيها ، ويحثون الخلق على الائتلاف والمحبة ، مبينين لهم أن عليهما مدار النظام والسعادة ، ويرغبونهم فى مجاهدة أنفسهم ومراعاة حقوق غيرهم ، وعدم مجاوزتهم حدودهم ، وأن يعين قويهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدى راشدهم ضالهم ، ويعلم عالمهم جاهلهم ، وهم الذين يبينون للناس القوانين العامة التى تضبط أعمالهم: كاحترام الرؤساء ، وحفظ الأعراض والأموال ، ويدعونهم إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة . كالصدق ، والأمانة ، والوفاء

بالعُقودِ ، والمحافظةِ على العُهُودِ ، والرَّحمةِ بالضُّعفاءِ والاعترافِ لِكلِّ مخلوقٍ بحقِّهِ ، ويُفصِّلونَ لهمْ ما يُؤَهِّلُهُمْ لرِضَا اللهِ عنهم وما يُعرِّضُهُمْ لِسَخَطِهِ عليهِمْ ، مُخبرِينَ عنِ الدَّارِ الآخرةِ ، وما أعدَّهُ اللهُ فيها منَ الثَّوابِ لمَنْ وقفَ عِندَ حُدُودِهِ وأطاعَ أوامِرَ رَبِّهِ ، واجتنَبَ نَواهِيَهُ ، ويُعلِمُونَهم منْ أخبارِ الغيْبِ ما أذِنَ اللهُ لهمْ فيهِ ، فتطمئِنُّ النُّفوسُ وتنشَرِحُ الصُّدُورُ ، ويَصيرُ ذَلِكَ مَدْعاةً إلى العَمَلِ بما جاءوا بهِ — كلُّ ذلكَ يُعلِّمُهُ اللهُ رُسُلَهُ بِسفارَةِ الرُّوحِ الأمينِ سيِّدِنا جبريلَ عليهِ السَّلامُ *

وقدْ أنزَلَ اللهُ تعالى على بعضِهمْ كُتُباً مُشْتَمِلةً على مَا يَكفُلُ السَّعادَتيْنِ. فأنزَلَ على سيِّدِنا محمَّدٍ القرآنَ الكَريمَ ، وعلى سيِّدِنا موسى التَّوراةَ ، وعلى سيِّدِنا عيسى الإنجيلَ ، وعلى سيِّدِنا داوُدَ الزَّبُورَ ، فَمَنِ اتَّبَعَ رَسُولَهُ وعمِلَ بِشَرْعِهِ ، فقدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ — ومَنْ خالفَهُ ولمْ يتمسَّكْ بما جاءَ بهِ ، فقدْ هوَى إلى سَواءِ الجَحيمِ

﴿ صِفاتُ الرُّسُلِ ﴾

الرُّسُلُ رجالٌ من بَنى آدمَ ، اصطفاهُم اللهُ لِرسالتِهِ ، واختصَّهُم بكَرَامَتِهِ ، وهُمْ أكملُ أهلِ زمانِهِم عقلاً وفِطْنَةً وَرَأْياً وتَرْبِيَةً وطَاعَةً للهِ ، معصومُونَ منَ المَعاصِي ومنْ دَنَاءَةِ الآباءِ والأُمَّهاتِ ، ومنْ خِسَّةِ الصِّناعةِ ، ومنْ قِلَّةِ المُرُوءَةِ ، ومنْ كلِّ ما تَنْبُو عنهُ الأبصارُ ، وتَنفِرُ مِنهُ الأذواقُ السَّليمَةُ ، اختارَهُمُ اللهُ لِيكونوا رُسلاً بَيْنَهُ وبَينَ خَلْقِهِ — وأنْتَ تَعْلَمُ أنَّ العاقِلَ الحَكيمَ إذا أرادَ أنْ يُرسِلَ إنساناً إلى آخرَ لِيُبلِّغَهُ خبرًا منَ الأخبارِ الهامَّةِ فإنَّهُ يُلاحِظُ فيهِ أنْ يكونَ صادِقاً لِيُبلِّغَ الخبرَ كما هو بلا تغييرٍ ولا تحريفٍ ، وأنْ يكونَ أميناً حَسَنَ السِّيرَةِ لِيَثِقَ النَّاسُ بخبرِهِ ، ولِيُبلِّغَ كلَّ ما يُقالُ لهُ لا يَكتُمُ منهُ شيئاً لِتحصلَ الفائِدَةُ منْ إرْسالِهِ ، وأنْ يكونَ فَطِناً ذَكِيّاً لِيفهَمَ عنهُ ما يَقولهُ ويُفهِمَهُ المُرسَلَ إليْهِ — هذا شأْنُ الرَّسُولِ الذى يَختارُهُ الإنسانُ العاقلُ لِتبليغِ أمْرٍ من

أمُورِ الدُّنيا فَما بالُكَ بالرُّسلِ الكِرامِ الَّذينَ يَختارُهُمُ الخالِقُ جَلَّ وعَلا لِتبليغِ شَرْعِهِ الشريفِ إلى خَلْقِهِ ؛ لا شَكَّ أنَّهُمْ يكونونَ صادِقينَ لاَ يكذِبُونَ أبدًا ، أُمَناءَ (لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمَرَهُمْ ويَفعلونَ ما يُؤْمَرُونَ) مُبلِّغينَ لاَ يكتُمُونَ خبرًا مِمَّا اُمِرُوا بتبليغِهِ ، نُبَهاءَ يَفْهَمُونَ ويُفهِّمُونَ — وقدْ علِمْتَ أنَّهُمْ منْ بَنِي آدَمَ ، فيَعتَرِيهِمْ مَا يَعتري سائِرَ الأفْرادِ مِمَّا لاَ يَمَسُّ كرامَتَهمْ ، ولاَ يَحُطُّ منْ قَدْرِهِمْ فيأكلُونَ ويَشرَبُونَ ، ويَنامُونَ ويَتَناسلونَ ويَجُوعُونَ ويَعطَشُونَ . ويَمرَضُونَ مَرَضًا لاَ يُنفِّرُ النَّاسَ مِنهم

(نَتيجة)

الصِّفاتُ الواجبةُ للرُّسلِ هيَ — الصِّدْقُ ، والأمانة ، والتَّبليغُ ، والفَطانة — والمُستَحيلةُ عليهم هيَ — الكَذِبُ ، والخِيانَةُ ، والكِتمانُ ، والبَلادَةُ — والجائِزَةُ فى حقِّهِمْ كلُّ صِفَةٍ لاَ تُؤدِّى إلى نَقْصٍ فى مَراتِبِهِمْ العلِيةِ كالمَرَضِ والفقْ

﴿ عددُ الأنبياء والمرسلين ﴾

لمْ يَصِلْ أحدٌ إلى مَعرفةِ عددِ الأنبياءِوالمُرسلينَ، فيلزمُ الإنسانَ الاعتقادُ بأنَّ للهِ رُسُلاً وأنبياءَ على وجهِ الإجمالِ ، وأنْ يَعرفَ خمسةً وعشرينَ منهم وردَتْ أسماؤُهمْ في القرْآنِ الكريمِ وهمْ : آدمُ، إدريسُ ، نوحٌ ،هودٌ ، صالحٌ ، إبراهيمُ إسماعيلُ ، إسحاقُ ، لوطٌ ، يوسفُ ، أيوبُ ، شعيبٌ ، موسى . هارُونُ ،ذُو الكفلِ ، داوُدُ ، سُليمانُ ، إلياسُ ،اليسعُ ، يونُسُ ، زكريّا ، يحيى ، عيسى ، محمّدٌ (عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ) وقدْ نظمها بعضهم فقال

في تِلْكَ حُجّتُنا منهم ثمانِيَة
من بعدِ عشرٍ ويبقى سبعةٌ وهُمو
إدريسُ هودٌ شُعيبٌ وكذا
ذو الكفلِ آدمُ بالمُختارِ قدْ ختموا

والمختارُ هوَ سيّدُنا محمد صلى الله عليهِ وسلم ، وهذا نصٌّ

الآيةِ الكريمةِ المُشارِ إليها بقولِ الشـ

(وتلكَ حُجّتُنا آتيناها إبراهيمَ على قومِهِ نرفعُ درجاتٍ مَنْ نشاءُ إنّ ربَّكَ حكيمٌ عليمٌ ووهبنا لهُ إسحاقَ ويعقوبَ كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبلُ ومنْ ذرّيتهِ داوُدَ وسُليمانَ وأيوبَ ويوسُفَ وموسى وهارُونَ وكذلكَ نجزي المحسنينَ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياسَ كلٌّ منَ الصّالحينَ وإسماعيلَ واليسعَ ويونُسَ ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين)

« مُعجزاتُ الرُّسُلِ »

إذا جاءَ إنسانٌ وأخبرَ جماعةً أنّهُ مُرسلٌ من قِبلِ حاكمِهِمْ ليُبلّغهُمْ قوانينهُ ويُرشدَهُمْ إلى ما يُفيدُهُمْ في دِينِهِمْ ودُنياهُمْ فهلْ يُصدّقونَهُ ويتّبعونَهُ جميعاً ؟ كلاً إنما يُصدّقهُ مَنْ يعهدُ فيهِ الصّدقَ والأمانةَ ، أوْ مَنْ يفهمُ القوانينَ التي جاءَ بها ويجدُها مقبُولةً معقُولةً ، ولمْ يكنْ مُكابِراً مُعانِداً أمّا الباقُونَ فإمّا أنْ يطلُبُوا مِنهُ بُرهاناً يدُلُّ على صِدقِ دعواهُ فإنْ جاءَ بهِ اتّبعُوهُ

[illegible] عنادًا وَكِبرًا ولو أتى بألف بُرهانٍ على أنه رسولُ حاكمهم، وأنّ قوانينهُ مُفيدةٌ دنيا وأخرى

وهكذا كانت حالةُ الرسلُ معَ أممهم : كانُوا إذا أُرسلَ أحدُهم إلى أمةٍ ، آمنَ به بعضُها وكذبهُ أكثرُها والمكذبُونَ فريقانِ : فريقٌ طلبَ منَ الرسلِ بُرهانًا على صدقِ رسالتهم فآمنَ حينَ رآهُ ، وفريقٌ صدّ عنهُم عنادًا واستكبارًا أوْ تقليدًا لآبائهِ وأسلافهِ ، فلمْ يؤْمنْ بهم معَ ما رأى منْ بَراهينهم على صحةِ دينهم ، والبَراهينُ التي يُظهرُها اللهُ على أيدي الرسلِ تأييدًا لِرسالتهم ليسَ في قوةِ أحدٍ أنْ يأتيَ بمثلها . ويُقالُ لها (مُعجزاتٌ) لأنَّها تُعجزُ مَنْ يعانِدُهُم عَنْ مُعارضتها، ولِكلِّ رَسولٍ مُعجزاتٌ مُناسبةٌ لِلزمنِ الذي أُرسلَ فيهِ ولِقومِهِ الذينَ أُرسلَ إليْهم، وسنذكرُ لكَ أهمّ المعجزاتِ التي أيّدَ اللهُ بها سيّدَنا موسى وسيّدنا عيسى وسيّدنا محمّدًا عليْهمُ الصّلاةُ والسّلام

﴿ سيّدنا موسى عليه [illegible]

وُلِدَ سيّدُنا موسى عليهِ السلامُ في بلادِ [illegible] قبلَ سيدِنا عيسى بنحوِ ١٧٠٠ سنةٍ، وهوَ منْ بنى إسرائيلَ المعروفينَ باليهودِ، وكانوا قاطنينَ في القُطرِ المصريّ، وكانَ الملكُ إذْ ذاكَ أحدَ الفراعنةِ، وكانَ مُستعبِدًا لبنى إسرائيلَ: يُعذّبهمْ أشدَّ العذابِ يُذبّحُ أبناءهمْ ويستحيي نساءهمْ، فخافتْ أمُّ موسى أنْ يَذبحَ ولدَها فألهمَها اللهُ تعالى (أنْ أرضعيهِ فإذا خفتِ عليهِ فألقيهِ في اليمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوهُ إليكِ وجاعلوهُ منَ المرسلينَ) فأرضعتْهُ ووضعتْهُ في صندوقٍ وألقتْهُ في نهرِ النّيلِ، فتقاذفَهُ الموجُ حتى أوصلَهُ إلى قصرِ فرعونَ فأخذَ الصندوقُ إلى امرأةِ فرعونَ، ولمّا فتحتْهُ ونظرتْ موسى، أشفقتْ عليهِ وفرحتْ بهِ وقالتْ (لا تقتلوهُ عسى أنْ ينفعَنا أوْ نتّخذَهُ ولدًا) فتربّى موسى في قصرِ فرعونَ حتى بلغَ أشدَّهُ، ثمّ حدثَ أمرٌ اضطرَّهُ إلى

... منها إلى مدين

... الله رسولاً أمره أن يرجع إلى مصر لإرشاد قومه وتخليصهم من العذاب، وهداية فرعون مصر وملئه، فرجع إليها ودعا أهلها إلى عبادة الله وتوحيده، وظهرت على يده معجزات كثيرة، ولكن فرعون كان فظاً غليظ القلب عنيداً، فلم ينتفع برسالة موسى ولم يتبعه.

﴿أشهر معجزات سيدنا موسى عليه السلام﴾

كان السحرة منتشرين في مصر زمن سيدنا موسى، فجعل الله أهم معجزاته أشبه بالسحر لتكون أدعى إلى الإيمان والتصديق. فمن معجزاته

﴿١ — العصا﴾

أمر الله سيدنا موسى أن يذهب إلى فرعون ويدعوه إلى الإيمان بالله، فذهب إليه مع أخيه هارون وقال له:

(إنى رسولُ ربِّ العالمين) : فقال له فرعونُ : (إن كنتَ جئتَ بآيةٍ فأتِ بها إن كنتَ من الصادقين) وكان في يدِ موسى عصاً فألقاها فصارت ثعباناً عظيماً فقال فرعونُ (إن هذا لساحرٌ عليمٌ) وعزم على قتلِه ، فأشار عليه بعضُ خاصّتِه بأن يُبقيَهُ ويَجمعَ السحرةَ المشهورين لمعارضتِه ، فاستحسن ذلك ، واجتمع كبارُ السحرةِ في يومِ عيدٍ لهم ليُظهروا سحرَه واجتمع الناسُ ليروا أعمالَهم — فقال السحرةُ لموسى لنأتينّك بسحرٍ مثلِ سحرِك ، ثم بدءوا في سحرِهم (فألقوا حبالَهم وعصيَّهم وقالوا بعزّةِ فرعونَ إنا لنحنُ الغالبون) فظهرت للناظرين كأنها حيّاتٌ تسعى (فألقى موسى عصاهُ فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ) ابتلع جميعَ الحبالِ والعصيّ ثم عادت كما كانت فخرّ السحرةُ ساجدين ، وقالوا آمنّا بربِّ هارونَ وموسى (قال آمنتم له قبلَ أن آذنَ لكم إنه لكبيرُكم الذي علّمكم السحرَ فلأقطّعنّ أيديَكم وأرجلَكم من خلافٍ

ولأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ) قالوا له افْعَلْ ما تَشَاءُ (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى). وسَمِعَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ بِمُعْجِزَاتِ موسى فآمَنَتْ باللهِ تعالى وصَدَّقَتْ بِرَسُولِهِ فَغَضِبَ عليها زَوْجُها وأَمَرَها أَنْ تَكْفُرَ فأَبَتْ وقالَتْ (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

﴿٢ — انْشِقاقُ الْبَحْرِ وغَرَقُ فِرْعَوْنَ وجُنُودِهِ﴾

اسْتَمَرَّ فِرْعَوْنُ على عِنادِهِ وتَعْذِيبِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، ولَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جاءَ بِهِ موسى مَعَ كَثْرَةِ الْمُعْجِزَاتِ والآياتِ الدَّالَّةِ عَلَى رِسَالَتِهِ. فأَوْحَى اللهُ إِلى موسى أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلى الشَّامِ، فَخَرَجَ بِهِمْ لَيْلًا، ولَمَّا عَلِمَ فِرْعَوْنُ بِخُرُوجِهِمْ تَبِعَهُمْ هُوَ وجُنُودُهُ حتى قَرُبُوا مِنْهُمْ عِنْدَ الْبَحْرِ الأَحْمَرِ فَخافَ قَوْمُ موسى فأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) فَضَرَبَهُ فانْشَقَّ فيهِ طَرِيقٌ سَلَكَهُ هُوَ وقَوْمُهُ حتى عَبَرُوهُ

بِسلامٍ . فاتّبعهم فرعونُ وجنودُهُ ليعبُرُوا البحرَ من طريقهم ، فأخذهمُ الموجُ وأغرقهم ، فصاحَ فرعونُ إذْ ذاكَ (آمَنْتُ أنّهُ لا إلهَ إلاّ الّذي آمنتْ بهِ بنو إسرائيلَ) ولكنّهُ لم ينفعهُ إيمانُهُ الذي التجأَ إليهِ وهو على شفا الهلاكِ فماتَ على عنادِهِ وجُحُودِهِ . ونجّى اللهُ موسى وقومَهُ وأيّدَهُ بمُعجزاتِهِ الباهرةِ

﴿ سيّدُنا عيسى عليهِ السلام ﴾

وُلِدَ سيّدُنا عيسى قبلَ التاريخِ الهجريِّ بإحدى وسبعينَ سنةً وخمسمائةٍ ٥٧١م ومنْ ولادتِهِ يبتدئُ التاريخُ الميلاديُّ أي التاريخُ الإفرنجيُّ — وأمُّهُ السيّدةُ مريمُ كانتْ تقيّةً صالحةً حملتْ بهِ عليهِ السلامُ منْ غيرِ أبٍ ، وذلكَ أنّ جبريلَ عليه السلامُ بشّرَها بأنهُ سيكونُ لها ولدٌ ، وأنهُ سيكونُ وجيهاً في الدُّنيا والآخرةِ فقالتْ : كيفَ يكونُ لي ولدٌ منْ غيرِ زوجٍ ، فقالَ لها (اللهُ يخلقُ ما يشاءُ إذا قضى أمراً فإنما يقولُ له كنْ فيكونُ

فحملت به من غير أن تتزوج ولم يمسسها إنسان ، وولدت سيدنا عيسى عليه السلام فاستغرب قومها هذا الأمر وجاءوا إليها ساخطين وقالوا لها: إنك تقية صالحة وإن أبويك صالحان فمن أين جئت بهذا الغلام ، فأشارت إلى ابنها ليكلمهم ، فقالوا : (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) فنطق عيسى في مهده وقال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) فتركوها وولدها ، ولما بلغ أشده بعثه الله رسولا يدعو الناس إلى عبادته وأيده بالمعجزات الباهرة

وقد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى فتبعه منهم اثنا عشر رجلا ولازموه وصاروا تلاميذه . ويقال لهم الحواريون وهم الذين دافعوا عنه بأنفسهم ونشروا دينه من بعده

﴿ أشهر معجزات عيسى عليه السلام ﴾

﴿ ١ — إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ﴾

كان فن الطب متقدما جدا في زمن سيدنا عيسى فجعل

اللهُ أكثرَ مُعجزاتِهِ أشبهَ بالطِّبِّ لتكونَ بُرهاناً قويًّا على صدقِ رسالتِهِ — فمنَ المعجزاتِ التى أوجدَها اللهُ على يديْهِ إبراءُ الأكْمَهِ وهو الأعمى، وإبراءُ الأبرصِ، وإحياءُ المَوْتى بإذنِ اللهِ تعالى

﴿ نُزُولُ المائدَةِ مِنَ السماء ﴾

ومنْ معجزاتِه العظيمَة التى دلّتْ على صدقِ رسالتِه نُزُول المائدَةِ من السّماءِ بعدَ أنْ طلَبها منَ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى على أثرِ طلَبِ قوْمِه منْهُ — وذلكَ أنّ الحواريِّينَ قالوا لهُ: ياعيسى هلْ يَستَطيعُ ربُّكَ أنْ يُنزّلَ علَينا مائدَةً منَ السماءِ نأكلُ منْها وتَطمَئنَّ بها قلوبُنا ونَعلمُ أنّكَ صادقٌ حقًّا، فدَعا ربَّهُ قائِلا (اللّهُمَّ رَبّنا أنزِلْ علَينا مائِدَةً منَ السماءِ تكُونُ لنَا عِيدًا لأَوّلِنا وَآخِرِنا وآيَةً مِنْكَ) فأنْزَلَ اللهُ المائدَةَ وأكلَ منها النّاسُ ثمّ صَعِدَتْ وهمْ يَنظُرُونَ إليْهَا حتى توارتْ، وتَكلّمَ النّاسُ فى شأنِ المائِدَةِ فمِنْهُمْ مَنْ آمنَ ومِنْهمْ منْ كفَرَ، ومَعَ هذا

لم يُؤْمِنْ بهِ حالَ وُجودِهِ بَيْنَهُمْ إلاّ قليلٌ . واتباعهُ يقالُ لهمُ النّصارى

سيدُنا محمدٌ عليه الصلاةُ والسلامُ

في يوم الاثنين من شهر ربيع الاوّل الموافق (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المَسيح عليه السلامُ) وُلِدَ سيدُنا محمدٌ صلى اللهُ عليهِ وسلم يتيما — وذلكَ أنّ والدَهُ تُوُفِّيَ قبلَ أن يُولَدَ ، ولم يَتْرُكْ له مِنَ المَالِ إلاّ خمسةَ جِمالٍ وبعضَ نِعاجٍ وَجاريةً . وفي السنةِ السّادِسةِ مِنْ عُمُرِه تُوُفِّيَتْ والِدَاتُهُ فاحتَضَنَتْهُ أمُّ أَيْمَنَ الحَبَشيةُ التى ورثها مِنْ أبيهِ ، واختَصّ بِكَفالَتِهِ جدُّه عبدُ المُطّلِبِ ، وبعدَ سَنَتَيْنِ من كَفالَتِهِ تُوُفِّيَ فَكَفلَهُ عمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وكانَ شَهْماً كَرِيماً غيرَ أَنّهُ كانَ فَقيرًا ، وكانَ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَنْمُو وَيَتَكامَلُ عقلاً وفَضيلةً وأَدَباً وأَمانةً حتى عُرِفَ بَيْنَ أَهلِ مَكّةَ بالأمينِ . وكانَ يَكْرَهُ الأَصنامَ التى كانَ قَوْمُهُ يَعبُدُونَها فَنشأَ طَاهِرَ العَقيدَةِ ، حَسَنَ الخَليقَةِ ، لمْ

يُعلِّمْهُ مُعلِّمٌ ولمْ يُؤَدِّبْهُ مُؤَدِّبٌ. بَلْ كانَ أُمِّيًّا لا يَقْرأُ ولاَ يكْتُبُ، ولٰكِنَّهُ أَدَبٌ إلهىٌّ، وكمالٌ طبعىٌّ، وَفِطْرَةٌ سَليمَةٌ هَيَّأَها اللهُ للكمالِ منْ أَوَّلِ نَشأتِها، كما فى الحديثِ الشَّريفِ (أَدَّبَنِى رَبِّى فأحْسَنَ تأدِيبى) وكانَتِ النّاسُ فى ذَلِكَ الوقتِ فى أَشَدِّ الحاجَةِ إلى رَسولٍ يَهْديهم الصِّرَاطَ المُسْتَقيمَ — كانَتِ الدُّوَلُ والأُمَمُ فى تنازُعٍ مُسْتَمِرٍّ، وكانَ اسْتِبْدَادُ الأقْوِياءِ بالضُّعَفاءِ عامًّا، وكانَتِ العرَبُ مُنهَمِكَةً فى الحُرُوبِ وسَلْبِ الأَمْوَالِ، مُنْكَبَّةً على عِبادَةِ الأَصْنامِ، وكانُوا يَقْتُلونَ بَناتِهِم تَخَلُّصًا منْ عارِ حَيَاتِهِنَّ، وفِرَارًا منْ نَفَقاتِ مَعيشَتِهِنَّ، وإجْمَالُ القَوْلِ أنَّ النّاسَ كانُوا خَرَجُوا عنْ حَدِّ الاعْتِدالِ، فَكانَ منْ رَحمَةِ اللهِ تعالى بِهِمْ أنْ أَرْسَلَ إليْهِمْ سيِّدَنا مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وسلم بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ وهوَ الدِّينُ الإسْلاَمِىُّ: وأَيَّدَهُ بالمُعْجِزَاتِ الباهِرَاتِ حتى انْتَشَرَ الدِّينُ وَسَطَعَ نُورُهُ بَيْنَ الأُمَمِ وهدَى اللهُ بِهِ مَنْ شاءَ منْ عِبادِهِ، ولوْلاَ

ذَلِكَ لِيَبْقَى النَّاسُ فِي ضَلَالِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَفِي طُغْيَانِهِم يَتَرَدَّدُون

﴿أَشْهَرُ مُعجِزَاتِ سيِّدنا محمدٍ صلى الله عليهِ وسلم﴾

(١ — القرْآنُ الْكريمُ)

كانَ النَّبيُّ صلى الله عليهِ وسلم امِّيًّا : لاَ يَخُطُّ كِتاباً، ولا يَقرَؤُهُ. نَشأَ في بَلْدَةٍ لَيسَ بِها عالِمٌ يُعلِّمُهُ، ولمْ يُسافِرْ إلى جِهةٍ يَتعلمُ فيهَا وكانَتِ الْعرَبُ أَئمَّةَ الْبلاَغَةِ والْفَصاحَةِ ، مِنْهُمُ الْخُطباءُ والشُّعَراءُ يَتفاخَرُونَ بِقَصائِدِهِمْ وخُطَبِهِم ، فأَرَادَ اللهُ تأْيِيدَهُ بمُعجِزَةٍ منْ جنْسِ مَا يَتَبَاهوْنَ بهِ ويَفتَخِرُونَ فأَنْزَلَ عليهِ القُرْآنَ الْكريمَ تأْييدًا لرِسالَتِهِ. وهُوَ المَكْتُوبُ في المَصاحِفِ ، المَحْفُوظُ في صُدُورِ آلاَفٍ مُؤَلَّفَةٍ منَ المُسلِمينَ إلى اليومِ. مُشْتَمِلاً على أَخبارِ الأَنْبِياءِ المَاضِينَ معَ امِمِهِمْ ، وعلى القَوانِينِ العادِلَةِ الموافقةِ لِمَصالِحِ العالَمِ — وعلى الحِكَمِ والأَمْثَالِ ، والأَخلاَقِ والآدابِ التي تَخشَعُ لها القُلوب ، وتَهَشُّ

لاستقبالها العقول ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الحض على الاتحاد والائتلاف وصلة الأرحام ، وعلى الإخبار بمغيبات حصلت ، كل ذلك بألفاظ عذبة سهلة ، وعبارات هي غاية الفصاحة والبلاغة ، وأساليب عجز عن مجاراتها فحول البلغاء وكبار الكتاب — فقام المعاندون وعارضوا ، فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ورجعوا بالخيبة — وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن إعجازه فقال (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فهو الحجة الخالدة ، والبرهان الدائم ، والدليل القاطع على صحة رسالة سيد الخلق ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
فيجب علينا التصديق برسالته والعمل بسنته لنكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

﴿ ٢ — نَبعُ المـاء من بين أصابِعِهِ ﴾

من مُعجزَاتهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ نَبعُ الماء من بين أصابِعِهِ — قالَ أنسٌ رأيتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وقدْ حانَتْ صلاةُ العَصْرِ فالتَمَسَ النَّاسُ ماءً للوُضُوءِ فلَمْ يجدُوهُ فأُتِيَ النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم بِوَضوء فوَضعَ يَدَهُ فى الاناء وأمَرَ النَّاسَ أنْ يتوَضئُوا مِنهُ — قالَ فرأيتُ الماءَ يَنْبُعُ من بين أصابِعِهِ فتوَضَّأَ النَّاسُ حتى انتَهَوْا عَنْ آخِرِهِمْ ، وكانُوا نحوَ ثلثمائة

وعَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ (غزوَة منَ الغزَوات) ، وكانَ معَهُمْ رَسولُ اللهِ ، وبينَ يَدَيهِ رَكْوَةٌ يتوَضأُ مِنها ، فأقبَلَ النَّاسُ نحوَهُ وقالوا : لَيْسَ عندَنا ماءٌ إلاّ مافى ركْوَتِكَ فوَضعَ يَدَهُ فى الرَّكْوَةِ ، فجعَلَ المـاءُ يفورُ من بينَ أصابِعِهِ كأمثالِ العُيُونِ ، فشَرِبوا وَتَوَضّئوا ، وكانوا عدداً عظيما

وقَالَ ابنُ مسعُودٍ : بينما نحنُ معَ النبيِّ صلى الله عليهِ وسلم وليسَ معَنا ماءٌ — فقالَ لنَا : اُطلُبوا من معَهُ فضلُ ماء ،

فأتِيَ بماء فصبّهُ فى إناء ثم وضع فيه كفّهُ ، فجعلَ الماءُ ينبعُ من بين أصابعِهِ . وهذهِ مُعجزةٌ كبيرةٌ فإنّ نبعَ الماء من بين أصابعِهِ . أمرٌ خارقٌ للعادةِ ، لايكونُ إلاّ لنبيٍّ تصديقاً لنبُوّتهِ وإشعاراً بعلوّ منزلتِهِ ، وقدْ تكرّرَ ذلكَ منهُ فى مواطنَ كثيرةٍ.

﴿ ٣ – انشقاق القمر ﴾

اجتمعَ المُشركونَ إلى رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وقالوا لهُ إنْ كُنتَ صادِقاً فشُقّ لنا القمرَ فرقتينِ ، فسألَ ربّه فانشقّ ثمّ عادَ إلى ما كانَ — فقالَ كبارُ قريشٍ : هذا سِحرٌ ثمّ قالوا : نسألُ المُسافرينَ فإنّ مُحمّدًا لا يستطيعُ أنْ يسحرَ النّاسَ كلهُمْ ، فلمّا جاءَ المُسافرُونَ سألوهُمْ فأخبرُوهمْ بأنهمْ شاهدُوا انشقاقهُ — وقدْ جاءَ هذا فى القرْآنِ الكريمِ قالَ اللهُ تباركَ وتعالى (اقتربَتِ السّاعةُ وانشقّ القمرُ) وأخبرَ اللهُ سُبْحانهُ عنْ عنادهمْ وعدَمِ اعتبارِهمْ بالمُعجزاتِ ، وإعْراضِهمْ

منِ الآيَاتِ بقولهِ (وإنْ يرَوْا آيةً يُعرِضُوا ويقولوا سِحرٌ مُستمِرٌّ)

﴿ ٤ — إبْرَاءُ المرْضَى وَذَوِي العَاهاتِ ﴾

منَ المُعجزَاتِ التي أيّدَ اللهُ بها رَسُولَهُ إبْرَاءُ ذَوِي العاهاتِ فقَدْ أُصيبَتْ يوْمَ احُدٍ عينُ قتَادَةَ بنِ النُّعمانِ حتى تَدَلّتْ على وجنَتِهِ فأتى بها إلى النبيّ وقال : يَا رَسولَ اللهِ إنّ لي امْرَأَةً أُحبُّها وأخشَى إنْ رَأَتْني أنْ تَستَقْذِرَني ، فأخَذَ عَينَهُ رسُولُ اللهِ بيَدِهِ الشّريفَةِ ورَدَّها إلى مَوْضِعِهَا وقالَ اللّهمْ اكْسُهُ جمالاً ، فَكانَتْ أحْسَنَ عَيْنَيهِ وأحَدَّهمَا نَظرًا ، وكانتْ لا تَرْمَدُ إذا رَمِدَتِ الأُخرَى

﴿ سِيرَةُ سَيِّدِنا محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلم ﴾

﴿ ١ — نسبُهُ الشّرِيفُ ﴾

اختَارَ اللهُ سيدَنا محمّدًا مِنْ أشرَفِ القبَائِلِ وأكرَمِ

البُيُوتِ ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ . بن عبدِ المطّلبْ . بن هاشِمٍ : بنِ عبد مَنافٍ . بن قُصَىّ . بن حكيمٍ . بن مُرَّة . ابنِ كَعْبٍ . بنِ لُؤَىّ . بنِ غالِبٍ . بنِ فِهْرٍ . بن مالكٍ . بنِ النّضْرِ . بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ . بنِ مُدْرِكَةَ . بنِ إلْيَاسَ . ابنِ مُضَرَ . بنِ نزَارٍ . بنِ مَعَدّ . بن عَدْنانَ — ويتّصِلُ نَسَبُ عَدْنانَ باسْمَاعيلَ بنِ ابْرَاهيم علَيهما الصّلاةُ والسلامُ

وأُمُّهُ السيِّدَة آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ . بن عَبْدِ مَنافٍ . ابنِ زُهرَةَ بنِ حكيمٍ . وهُوَ الجدُّ الخامِسُ للنّبِىّ الكَرِيمِ

وأَجدَادُهُ مَعْرُوفونَ بِعُلوّ الهِمّةِ . مَشْهُورونَ بِطَهَارَةِ الأَخلاقِ — وكانَ جَدُّهُ عَبْدُ المطّلبِ خيرَ قَبيلَةِ قرَيْش التى لها الشَرَفُ الأَعلَى بينَ قَبَائِلِ العَرَبِ — فَهُوَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ المُخْتَارُ مِنْ خيرِ البُطونِ وأَعْرَقِها ، ومِنْ أَشْرَفِ البِلاَدِ وأَكْرَمِها عِنْدَ اللهِ تعالى : وهيَ مكّة

﴿ ٢ - بَيْتُهُ الكريم ﴾

(أَزْواجهُ الطَّاهراتُ وسَرارِيُّهُ المُطهراتُ)

أَزْواجُ رَسُولِ اللهِ يجبُ احترامُهُنَّ ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُنَّ أَفضَلُ النّساء ، وأَنّهُنّ أُمهاتُ المُؤْمنينَ احتِراماً وتَعظيماً قالَ اللهُ تعالى (النّبيُّ أَوْلَى بالمُؤْمنينَ مِنْ أَنفُسِهمْ وأَزْواجُهُ أُمهَاتُهُم) ومِنْ أَزْواجِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَة بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، والسَّيِّدَة عائِشَة بِنْتُ أَبي بكر الصِّدِّيق ، والسَّيِّدَة حَفْصَةُ بِنْت سيِّدِنا عمرَ بن الخطَّابِ رِضوانُ اللهِ تعالى عليهمْ أَجمَعينَ

أَمّا أُمُّ المؤْمنينَ خَديجةُ رَضيَ اللهُ عنها فَهي أَوّلُ أَزْواجِهِ ، تَزوّجهَا وسِنُّهُ ٢٥ سَنَةً * وكانَتْ مِنْ أَفْضَلِ قريشٍ حسبًا وأَوْسَعِهِمْ مالا ، وهي أَوّلُ مَنْ آمَنَ بهِ مِنَ النّساء ، وقَدْ وازَرَتْهُ ونَصَرَتْهُ ، وساعَدتْ على نَشْرِ الدِّينِ بنَفْسِها ومالها ، وكانَتْ تُخَفِّفُ عنْ رَسُولِ الله ما يُلاقيهِ مِن الشّدائِدِ وتُهَوِّنُ عَلَيْهِ الأَمْرَ - وماتَتْ قبلَ الهجرَة بثلاث سنينَ

وأمّا أمُّ المؤمنين السيّدةُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها فكانتْ أحبَّ أزواجِهِ اليهِ : تزوّجها بعدَ وفاةِ السيّدةِ خديجةَ ، وكانتْ فقيهةً ، عالِمةً ، فصيحةً كثيرةَ الرّوايةِ عنْ رسولِ اللهِ ، عارفةً بكلامِ العربِ وأشعارِهم ، روَى عنها الحديثَ جماعةٌ كثيرونَ منَ الصّحابةِ والتّابعينَ ، وقدْ جاءَ في الحديثِ ما معناهُ « خذوا نصفَ دينِكمْ عنْ هذهِ الحُميراءِ » (يعني عائشة) — تُوفّيتْ رضيَ اللهُ عنها ولمْ تُعقِبْ — وأمّا أمُّ المؤمنينَ حفصةُ رضيَ اللهُ عنها . فكانتْ صوّامةً قوّامةً تقيّةً صالحةً

وأمّا سَرارِيهُ فمنهنَّ ماريةُ القبطيّةُ : وهيَ جاريةٌ أهداها لهُ المقوقِسُ مَلِكُ مصرَ فقبلَها وتسرّاها

﴿٣ — أولادُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم﴾

أولادُهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ سبعةٌ : ستّةٌ منَ السّيّدةِ خديجةَ : وهمُ القاسِمُ . وزينبُ ورُقيّةُ . وفاطِمةُ . وأُمُّ كلثومٍ وعبدُ اللهِ المُلقّبُ بالطّيّبِ والطّاهرِ . وواحدٌ منْ ماريةَ

القبطية . وهو إبراهيمُ — أمّا القاسِمُ فهوَ أوّلُ وُلْدِهِ — وأمّا زينبُ فهيَ أكبرُ بناتِهِ أدركتِ الإسلامَ وهاجرَتْ وتُوُفّيَتْ سنةَ ثمانٍ منَ الهجرَةِ — وأمّا رُقيةُ فتزوّجها عثمانُ بنُ عفّانَ رضيَ اللهُ عنهُ ، وتُوُفّيَتْ فتزوّجَ بعدَ وفاتِها أمّ كلثومٍ — وأمّا فاطمةُ فكانَتْ أحبّ أولادِهِ إليْهِ . جاء فى الحديثِ : (فاطمةُ بضعةٌ منّى فمَنْ أغضبها أغضبنى) — تزوّجها سيّدُنا علىُّ بنُ أبى طالبٍ كرّمَ اللهُ وجهَهُ ، وولدَتْ له حسنًا وحُسَينًا ومُحسنًا وأمّ كلثومٍ ، وزينبَ . فماتَ مُحسنٌ صغيرًا . وتُوُفّيَتْ فاطمةُ بعدَ وفاةِ والدِها ببضعةِ شهورٍ ، ولمْ يكنْ لرسُولِ اللهِ عقبٌ إلاّ منها . فانتشرَ نسلهُ الشّريفُ منْ جهَةِ السّبطيْنِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ فقطْ — وأمّا عبدُ اللهِ فإنّهُ ماتَ صغيرًا ، وكذلِكَ إبراهيمُ — ولمّا حضَرَتْهُ الوَفاةُ أخذَهُ عليْهِ السّلامُ فى حجرِهِ . ثمّ ذرفَتْ عيناهُ . ثمّ قالَ : إنّا بكَ يا إبراهيمُ لمحزُونونَ : تبكى العينُ ، ويحزنُ القلبُ ، ولا نقولُ ما يُسخِطُ الرّبَّ . وكسفتِ الشّمسُ يومَ موتِهِ فقال النّاسُ :

إنما كَسفَتْ لموتِ إبرَاهيمَ — فقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ « إنَّ الشمْسَ والقمرَ آيتانِ منْ آياتِ اللهِ لا يَكسِفانِ لمَوْتِ أحدٍ ولاَ لحَياتِه »

وَكانَ رسُولُ اللهِ أرحَمَ النّاسِ بأولاَدِهِ وأهلِهِ — فقدْ رُوِيَ أنهُ كانَ يُصلِّي بالنّاسِ فجاءَ ولَدُهُ الحُسينُ وركِبَ عُنُقَهُ وهُوَ ساجدٌ فأطَالَ السجُودَ حتّى ظَنُّوا أنهُ قدْ حَصَلَ أمرٌ ، فلمّا قَضَى صَلاَتَهُ قالوا قدْ أطَلْتَ السجُودَ يارَسُولَ اللهِ حتّى ظَنَنّا أنْ قدْ حدَثَ أمرٌ فقال : إنَّ ابني قدِ ارْتحَلني ، فكَرِهتُ أنْ أعجِلَهُ حتى يَقضِيَ حاجَتَهُ ، ورأى أحدُ الصحابةِ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وهُوَ يُقبِّلُ ولَدَهُ الحَسَنَ فقال · إنَّ لِي عشرَةَ أولادٍ ما قبَّلْتُ واحِدًا منْهُمْ — فقالَ عليهِ الصلاَةُ والسلاَمُ إنَّ مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ

﴿ السمْعِيّاتُ ﴾

السمْعِيّاتُ أمورٌ ثبَتتْ بالقرْآنِ الكَريمِ أوالأحادِيثِ الشرِيفةِ . وهيَ غائِبَةٌ عنّا لا اطِّلاعَ لَنا عليْها . ولامجالَ للعقلِ

فى إثباتها أو نفيها : فمنها اليومُ الآخرُ وما يتصلُ به : من الحشرِ ، والنشرِ ، والحسابِ ، والعقابِ ، والصراطِ ، والميزانِ ، والجنةِ والنارِ ، ومنها الملائكةُ والجنُّ إلى غيرِ ذلكَ . فيجبُ علينا الإيمانُ بها

﴿ ١ — القرآنُ الكريمُ ﴾

هوَ ذلكَ الكتابُ المكتوبُ فى المصاحفِ المحفوظُ فى صدورِ آلافٍ من المسلمينَ إلى وقتِنا هذا ، أنزلَهُ اللهُ تعالى على رسولِهِ سيِّدِ الخلقِ بسفارةِ جبريلَ عليهِ السلامُ على حسبِ الحوادثِ والأحوالِ — وكانَ بدءُ نزولِهِ فى (١٧) رمضانَ من السنةِ الثالثةَ عشرةَ قبلَ الهجرةِ ، وأوَّلُ ما نزلَ منهُ قولهُ تعالى (اقرأْ باسمِ ربِّكَ الَّذِى خلقَ خلقَ الإنسانَ من علقٍ اقرأْ وربُّكَ الأكرمُ الَّذِى علَّمَ بالقلمِ علَّمَ الإنسانَ ما لمْ يعلمْ) وفى ذى الحجةِ من السنةِ العاشرةِ للهجرةِ نزلتْ آخرُ آيةٍ منهُ وهىَ قولهُ تعالى فى سورةِ المائدةِ (اليومَ أكملتُ لكمْ دينَكمْ وأتممتُ عليكمْ نعمتى ورضيتُ لكمُ الإسلامَ

دِيناً) فمُدَّةُ نزُولهِ اثنتانِ وعِشرُونَ سنةً وثلاثةُ أشهرٍ تقريباً وما نَزَلَ منهُ بمكَّةَ يُقالُ لهُ مَكِّيٌّ، وما نزلَ بالمَدِينةِ يُقالُ لهُ مدَنيٌّ. وكانَ سيّدُنا جبريلُ عليهِ السلامُ إذا نزلَ بشيءٍ منهُ تفهّمهُ النبي وتثبّتهُ، ثمّ تلقّاهُ عنهُ أصحابُهُ وفهِمُوهُ، وكانَ بعضُهُمْ يحفظُهُ عَنْ ظَهْرِ قلبٍ وهم المعرُوفونَ بالقُرّاء. وكانَ يُمْليهِ على كُتّابِ وَحْيِهِ لِيَكتُبُوهُ، ومنْ أشهرِ كُتّابِ الوَحْيِ زيدُ بنُ ثابت، وقدْ بلَغَ عَدَدُ كُتّابِهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم نَيِّفاً وأرْبَعينَ كاتباً. وكانَ عليهِ الصلاة والسلامُ يجتَمِعُ مَعَ جبريلَ فى رَمَضانَ لِيقرَأَ عَلَيْهِ مرّةً واحِدَةً جميعَ ما نَزَلَ وفى السنةِ الّتى تُوفِّيَ فيها قرَأهُ عليهِ مرّتينِ.

وتوفّيَ رَسُولُ اللهِ والقرآنُ كلُّهُ مكتُوبٌ فى الصُّحُفِ محفوظٌ فى صُدُورِ عدَدٍ عظيمٍ مِنَ الرِّجالِ. منْهمْ مَنْ يحفَظُهُ جميعهُ، ومنهُمْ منْ يحفظُ بعْضهُ. ولمّا تولّى الخلافةَ أبُو بكرٍ الصّدّيقُ عهِدَ إلى أقْدَرِ الصّحابةِ القرّاء وأحدِ كُتّابِ الوَحْى: وهُوَ زيدُ بنُ ثابتٍ أنْ يجمعَ القُرْآنَ فى صُحُفٍ ففعلَ، وقرَأها

على الحُفّاظِ ثمّ رُبِطَت جميعها بخَيْط وحُفِظَتْ فى بَيْتِ أبى بكرٍ الصدّيق، ثم فى بَيْتِ عُمَرَبْنِ الخطّابِ مُدّةَ حياتِهِ، ثم فى بيتِ ابْنَتِهِ حَفْصَةَ زَوْجِ رسُول اللهِ — ولمّا تَوَلّى الخلافةَ سيدُنا عثمانُ رَضِيَ اللهُ عنهُ، استأذَنَ حَفْصَةَ فأرْسلَتْ إليْهِ الصُّحُفَ وأمَرَ بأنْ تُكتَبَ فى مُصْحَف واحِدٍ، فَكُتِبَ سنة ٢٥ للهجرَةِ ويُعْرَفُ بالمُصْحَفِ العُثمانىّ، وكُتِبَتْ منهُ عِدّةُ نُسَخٍ وضُبِطَتْ تمامَ الضّبْطِ، وَأُرْسِلَتْ إلى الأمْصار ثمّ رُدّتِ الصُّحُفُ إلى حَفْصةَ * ولم يَنَلْ كِتابٌ مِنَ الكُتُبِ السّماويّةِ مانالهُ القرآنُ مِنَ الحِفْظِ فى الصُّدُورِ مُنْذَ زَمَنِ النّبى صلى اللهُ عليهِ وسلم، إلى الآنَ، يَحْفَظُهُ الخلَفُ عنِ السّلَفِ مَعَ الاعْتِناءِ والضّبْط التّامّ * وقَدْ أخبَرَ اللهُ سُبْحانَهُ بِتنزيلِهِ القرآنَ باللغةِ العربيّةِ الفُصْحَى على نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم بِسِفارَةِ جِبريلَ عليهِ السّلامُ لِيُنْذِرَ النّاسَ بِمَا سَيُلاقُونَهُ فى الدّارِ الآخرَةِ جزاءً لأعمالِهِمْ فقال (وإنّهُ لَتنزيلُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ⁽¹⁾ على قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ⁽²⁾) وقَدِ اشْتَمَلَ على الْحِكَمِ ، والأَحْكامِ ، والْمَوَاعِظِ ، والإِخْبارِ عَنْ أَحْوَالِ الماضِينَ ، وصِفاتِ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى ، والْحِسابِ . والْبَعْثِ ، بأَرْقَى أَسالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِمَّا صَيَّرَهُ مَرْجِعَ كُلِّ نَاثِرٍ وشَاعِرٍ

﴿ ٢ — الملائكة ﴾

الملائِكَةُ عِبادٌ مُكْرَمُونَ ، لاَ يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ ويَفْعلونَ ما يُؤْمَرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لاَ يَفْتُرُونَ ، وهُمْ مِنْ عالَمِ الغَيْبِ ، يجبُ علينا اعْتِقادُ وُجودِهِمْ ولاَ يَنْبَغِى لَنا الْخَوْضُ فى وَصْفِهِمْ ولا الْبَحْثُ عن حَقَائِقِهِمْ . ومِنْ أَعْمالِهِمْ السِّفَارَةُ بَيْنَ اللهِ ورُسُلِهِ ، قال تعالى مُخَاطِباً نَبِيَّهُ الْكَرِيم (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ على قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ومِنْها الْمُرَاقَبَةُ للإِنْسَانِ والإِحْصاءُ لأَقْوالِهِ

(١) الروح الامين هو سيدنا جبريل عليه السلام (٢) واضح

وأعماله ، ومن أشهر هؤلاء الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام

﴿ ٣ — الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾

يجب على كل مؤمن أن يؤمن بوجود الله واتصافه بصفاته ، ويؤمن بالرسل وباتصافهم بالصفات التى تقدم بيانها فى العقائد ، وبالكتب التى أنزلها الله عليهم ، وبوجود الملائكة الذين منهم السفراء بين الله تعالى ورسله ، وأن لا يفرق بين الرسل فيؤمن ببعض ويكفر ببعض . وأن يسمع ويطيع ، ويعمل على مقتضى كتابه . وأن يطلب من الله غفران ذنبه ويعتقد أن المرجع إلى الله فى الآخرة فيجازى بما فعل قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)

﴿ ٤ — الجِنُّ ﴾

الجِنُّ خَلْقٌ مُكلَّفونَ بِطاعَةِ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى وباتِّباعِ رَسولهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وقدْ أخبرَنا اللهُ تعالى عنهمْ فى كِتابهِ العَزيزِ فى مواضعَ كَثيرَةٍ . فوَجَبَ علَينا أَنْ نَعتَقِدَ وُجُودَهمْ ولاَ يَلزَمُنا البَحثُ عَنْ حَقائِقِهِمْ ولا كَيْفَ يكونُونَ ولاَ أينَ يَعيشُونَ — مَرَّتْ فِئَةٌ مِنهمْ بِرَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وهوَ يَتْـلو القرآنَ الـكَريمَ فوَقفُوا يَستَمِعُونَهُ حتى إذَا أَتَمَّ قِراءَتَهُ ، عادُوا إلى قَوْمِهِمْ وقالوا لهُمْ : ياقَوْمَنـا إنَّا سَمِعْنا قُرْآنًا عَجَبًا أنْزَلهُ اللهُ هادِيًا إلى طَرِيقِ الرَّشادِ ، فَصَدِّقوه واتْبَعُوهُ لِتَهتَدُوا بِهَدْيِهِ وتُنقَذُوا منْ عذَابٍ أليمٍ ، وقدْ بَيَّنَ اللهُ ذلكَ فقال (وَإِذْ صَرَفْنا (١) إليْكَ نَفَرًا (٢) منَ الجِنِّ يَستَمِعونَ القرْءانَ فلَمَّا حضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا فلَمَّا قُضِيَ (٣) وَلَّوْا (٤) إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٥) قالُوا يا قَوْمَنا إنَّا سَمِعْنا كِتابًا انزلَ منْ

(١) وجهنا (٢) النفر مادون العشرة (٣) فرغ من قراءته (٤) رجعوا (٥) مخوفين بالعذاب

بَعْدِ موسى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ(١) يَهْدِي إِلى الحَقِّ وإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ (٢) وآمِنوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ويُجِرْكُمْ (٣) مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) فانْظُرْ كَيْفَ كانَ سَمَاعُ القُرْآنِ الحَكِيمِ سبَبَاً لِهِدَايَةِ الجِنِّ ودَعْوَتِهِمْ قَوْمَهُمْ إِلى الإِيمانِ بِهِ والاهْتِداءِ بِهَدْيِهِ (رَبَّنا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ واتَّبَعْنا الرَّسُولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

﴿ ٥ — يوم القيامة والبعث ﴾

خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، وجَعَلَ لَهُ أَجلاً في الدُّنْيا مَحْدُوداً يموتُ بَعْدَ انْتِهَائِهِ ، فَتُفارِقُ رُوحُهُ جِسْمَهُ ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ دارِ الدُّنيا إِلى دارِ الآخِرَةِ ، وخَلَقَ جَمِيعَ الأَشْياءِ مِنْ أَرْضٍ وسَمَاءٍ : وشَمْسٍ ، وقَمَرٍ ، ونُجُومٍ وكَوَاكِبَ ، وجِبَالٍ وأَشْجارٍ . وبِحَارٍ وأَنْهارٍ ، وحَيَوَانٍ ونَباتٍ ، بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * وأَرانا مِنْ كَمالِ قُدْرَتِهِ وعَظِيمِ حِكْمَتِهِ

---

(١) أي الكتب الالهية التي نزلت قبل القرآن (٢) داعي الله، هو رسول الله (٣) ينقذكم

مَا يَبْهَرُ العُقُولَ ويُدْهِشُ الأَبْصارَ * خَلَقَ آدَمَ أَوَّلَ البَشَرِ من تراب وَخلَق أَبْناءَهُ من نطفَة ، ثم جَعَلَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، ثمَّ جَعَلَ العلَقةَ مُضْغَةً ، ثمّ خَلَقَ المضْغَةَ عظاماً ثمّ كَسا العِظَام لحماً ، ثمُ أَوْجَدَ فيهِ الرُّوحَ فَتَبارَكَ اللهُ ربُّ العَالمِين * وأَحْيا الأَرْضَ المَيِّتَةَ بإِنْزَاله علَيْهَا المَطَرَ فَخَرَجَ منْهَا النَّبَاتُ أَصْنافاً مُتَعَدِّدةً ، هٰذِهِ الأَفعالُ البَاهِرَة تدُلُّ دَلالةً واضِحَةً على أَنَّ اللهَ سُبْحانهُ قادِرٌ على كلِّ شيء وعلى إِحْياءِ المَوْتى ، وبَعثِهِمْ من قبُورِهِم في يَوْمٍ يُقالُ له (يومُ القِيامَةِ) لقيامِ جميع النَّاسِ فيهِ لِلوُقُوفِ بينَ يدَيْ رَبِّهِمْ ، لِيُحَاسِبَ كلاًّ على عمَلِهِ ويُوَفِّيَهُ جَزَاءهُ ويُسَمّى (اليَوْمَ الآخِرَ) لِأَنَّهُ آخِرُ أَيّامِ الدُّنيا (ويَومَ الفَصْل) لِأَنَّهُ يُقْضَى فيهِ لِكلٍّ بما يَسْتَحِقُّ ، قالَ تعالى مخبراً بذلِكَ وَمُبَيِّناً لإِمكانهِ وأَنّ لهُ نَظيرًا محْسُوساً : وهُوَ إِحْياء الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِها (وتَرَى الأَرْضَ هامِدَةً (١) فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الماءَ اهتزَّتْ (٢) ورَبَتْ (٣) وأَنبَتَتْ مِنْ كلِّ زَوْجٍ (٤)

(١) يابسة ميتة لا نبات بها (٢) تحركت بالنبات (٣) زادت وانتفخت (٤) صنف

بهيج (١) ذَلِكَ بأنَّ اللهَ هوَ الحقُّ وأنَّهُ يُحيي الموتى وأنَّهُ على كلِّ شيء قَدِيرٌ وأنَّ السّاعةَ (٢) آتِيَةٌ لا ريْبَ (٣) فيها وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ (٤) مَنْ فى القُبُورِ)

يَوْمُ القِيامَةِ يَوْمٌ يَشْتَدُّ فيهِ الهولُ، ويَعْظُمُ الخطبُ، وَيتجلى لِكلِّ إنسانٍ عملُهُ فيَشغَلُهُ عَن أحَبِّ النّاسِ إليْهِ (يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أخيه وأمِّه وأبيهِ وصاحبتِهِ وبَنيهِ لِكلِّ امْرِىءٍ منهُمْ يَوْمَئِذٍ شأنٌ يُغْنيهِ)

﴿٦ — الحساب﴾

إِذَا عَلِمتَ أنَّ أُستاذَكَ يُراقِب تَلاميذَهُ، ويُحاسِبُهُمْ على ما يَفْعَلونَ: فَيُعاقِبُهُمْ على التّقْصيرِ فيما وجَبَ عليهِمْ، ويُثيبُهُمْ على الاجْتِهادِ وحُسْنِ الأخْلاقِ، فإنّكَ تَسْتَقيمُ وتجْتَهِدُ فى عَمَلِكَ فِرارًا منْ عقُوبَتِهِ ورَغبةً فى مُكافأَتِهِ، وتَعتَقِدُ فيهِ أنّهُ حكِيمٌ عادِلٌ — وإذَا تَحَقّقَ أهْلُ بَلَدٍ أنَّ حاكِمَهُمْ عادِلٌ يُؤاخِذُ المسىءَ ويُكافِئُ المُحْسِنَ، فإنّهُمْ يَتبِعُونَ قوانِينَهُ، ويَزْدادُ المُحسنُ

(١) حسن يسر النظر (٢) القيامة (٣) لا شك (٤) يحيي

فى الإحسان ويرتدع المسئ عن الإساءة لاعتقاد كل أن حاكمهم لايضيع عمل عامل ، والله سبحانه أعدل الحاكمين وأرحم الراحمين . فمن عدله ورحمته أن يحاسب عبيده وينتصف للمظلومين من الظالمين ، وهذا الانتصاف قد لايحصل في الدنيا لأنا نرى المظلوم قد يبقى فيها ولا ينتصف له من الظالم حتى يفارقها، والظالم قد يبقى بدون أن ينتصف منه فلا بد من جزاء فى دار اخرى يظهر فيها هذا العدل والانصاف — مما تقدم تعلم أن الحساب أمر لا بد منه ، فليس من العقل ولا من الحكمة أن تخالف إلهك المطلع على سرك وعلنك، إنما الحكمة أن تطيع خالقك وتعمل بشريعته المطهرة لتفوز برضاه وجنته . وقد قال الله تعالى (لله مافى السموات ومافى الأرض وإن تبدوا (١) مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير)

---

(١) تظهروا

﴿ ٧ – الجنة والنار ﴾

إذا كانَ يومُ القيامةِ يُبعثُ النّاسُ من قبورِهم ويُحاسبونَ على أعمالهمْ ويتفرّدُ اللهُ سبْحانهُ بالسُّلْطانِ والملْكِ (والأمرُ يومئذٍ للهِ) فينقسم النّاس قسمين . شقيّاً لم يزرعْ في دُنياهُ مايحصدُهُ في آخرتهِ ، وسعيداً آمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ واليومِ الآخرِ وعملَ عملاً صالحاً : فالشّقي يُساق إلى النّارِ الّتي يُعذّبُ فيها أهلُ الشّقاوةِ والطُّغيانِ عذاباً أشدَّ منَ العذابِ في نارِ الدُّنيا ويُخلّدُ في هذا العذابِ الأليمِ ، فلاَ يخرُجُ منها أبدًا — وأمّا السّعيدُ فتُفتحُ لهُ أبوابُ الجنّةِ : وهيَ دارُ النّعيمِ ، فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعيُنُ يُخلّدُ فيها مَنْ يدخُلونها : مُتلذّذينَ بثمراتِ أعمالهمْ فرحينَ بما آتاهُمُ اللهُ منْ فضْلهِ ، ويُقالُ لهم (كلُوا واشربُوا هنيئاً بمَا كُنتُمْ تَعملُونَ — وتلكَ الجنّةُ التي أُورثتمُوها بما كُنتُمْ تَعملونَ لكمْ فيهَا فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلونَ) وقد بيّنَ اللهُ ذلك فقال (يومَ يأتِ (١) لاَ تكلّمُ (٢) نفسٌ إلاّ

(١) الضمير يعود الى يوم القيامة (٢) اى لا تتكلم

بإذنه (١) فمنهم (٢) شقيٌّ وسعيدٌ . فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ (٣) وشهيقٌ (٤) خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك إن ربك فعالٌ لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاءً غير مجذوذٍ (٥). ذُكرت الجنة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة فالواجب علينا اعتقاد وجودها، وأن النعيم واللذة فيها أوفر من لذائذ الدنيا ، وأنها دار خلود لمن يدخلها ، ولا يجوز لنا البحث بعقولنا عن حقيقتها ولا موضعها ، ولا كيفية التمتع بها ، بل نقف عند السماع ، وذكرت النار أيضاً كثيراً في القرآن الكريم فيجب علينا أن نعتقد وجودها . وأن العذاب فيها أشد من العذاب في نار الدنيا . كما يجب علينا ألا نبحث بعقولنا عن حقيقتها ولا أين يكون موضعها . وإنما الواجب علينا أن نعمل عمل أهل

(١) بإذن الله تعالى (٢) أي من الخلق (٣) صوت شديد لشدة العذاب
(٤) صوت منخفض لضعفهم وذهاب قوتهم (٥) مقطوع

الجَنَّةِ لِنَتَمَتَّعَ بِنَعِيمِها الدَّائِمِ . ونَبْتَعِدَ عنْ أَعمَالِ أهْلِ النَّارِ لِتَنْجُوَ منَ الْوُقُوعِ فِيها والِاصْطِلَاءِ بنارِها

﴿ ٨ — الملائِكَةُ وأهْلُ الجَنَّةِ ﴾

إِنَّ اللهَ جلَّتْ قُدْرَتُهُ أنعَمَ على عِبادِهِ المُسْتَقِيمِينَ المُخلِصِينَ العامِلِينَ بِشَرِيعَتِهِ ، نِعْمَةً كَبِيرَةً ، جَزاءَ استِقامَتِهِمْ وأعْمَالِهُمُ الصالِحَةِ . تِلْكَ النِّعْمَةُ هيَ أنْ يُنزِّلَ عليهِمْ ملائِكَتَهُ لِيَصْرِفُوا عنْهُمُ الغَمَّ والْحُزْنَ ويُبَشِّرُوهمْ بالْخُلودِ فى جَنَّتِهِ والتَّمَتُّعِ بِلَذَّاتِها ، وبأنَّهُمْ أعْوَانُهمْ ورُفَقاؤُهمْ فى الدَّارَيْنِ ، وأنَّ أفضَلَ النَّاسِ ، وأحْسَنَهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الإِسْلَامَ دِينَهُ ويَعْمَلُ الأعمالَ الصَّالِحَةَ ويَدْعُو إِلى عِبادَةِ اللهِ وطَاعَتِهِ قال تعالى (إِنَّ الذِينَ قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ استَقامُوا تَتَنَزَّلُ عليْهِمُ الملائِكَةُ ألاَّ تخَافوا ولا تحزَنُوا وأبْشِرُوا بالجَنَّةِ التى كُنتُمْ تُوعَدُونَ نحنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فى الحياةِ الدُّنيا وفى الآخِرَةِ ولَكُمْ فيهَا ما تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ ولَكُمْ فيها ما تَدَّعُونَ نُزُلاً منْ غَفورٍ رَحيمٍ ومَنْ أحْسَنُ قَوْلاً ممنْ دَعا إِلى اللهِ وعمِلَ صالِحًا وقالَ إِنَّنى منَ المُسْلِمِينَ)

العبادات

١ — كَيْفِيةُ صلاة الجَماعَةِ وفضلها

إِذَا اجْتَمعَ اثْنانِ أَوْ أَكْثرُ لأَدَاءِ صلاَةٍ كالظهْرِ مثلاً وكانَ فيهِمْ مَنْ يُحْسِنُ الصَّلاَةَ ويَعْرِفُ أحكَامَها يُسَنُّ لَهُمْ أَنْ يُصَلُّوا جَماعَةً . وكَيْفيَّةُ تِلْكَ الصَّلاَةِ أَنْ يَتقَدَّمَ أَمامَهُمْ أَكْمَلُهُمْ وأَحَبُّهُمْ إِلى النَّاسِ وإِلَيْهِمْ ويَصْطَفُّوا ورَاءَهُ صُفُوفاً مُنْتَظِمةً وتُقامُ الصَّلاَةُ : فَيَنْوِى الإمامُ الصَّلاَةَ جمَاعَةً ، ويُكَبِّرُ تَكْبِيرَةَ الإِحْرَامِ ، ثمَّ يَنْوِى الذِينَ وَرَاءهُ الصلاَةَ والاقْتِدَاءَ بِهِ ويكَبِّرُونَ تَكْبِيرَةَ الإِحْرَامِ ، ثمَّ يُتَمِّمُ الصَّلاَةَ وهُمْ تَابِعُونَ لَهُ فى أَقْوَالهِ وأَفْعالهِ إلاَّ القِرَاءَةَ أَثْناءَ القِيامِ فلاَ يَقْرَءُونَ[1] والصَّلاَةُ بِهٰذِهِ الكَيْفيَّةِ يُقالُ لَها (صلاَةُ الجَماعة) والذِى يُصلى بالنّاسِ يُقالُ لهُ (إِمامٌ) والذِينَ يُصلُّونَ معهُ يقالُ لَهمْ (مَأْمُومُونَ أَوْ مُقتَدُونَ) — وثَوَابُ صَلاَةِ الجَماعةِ يَزِيدُ على

---

(١) وعند الشافعى يقرءون وجوبا وعند مالك لايقرءون فى الجهرية ويقرءون فى السرية

صَلاَةِ المنفردِ بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجةً ، وعلى هذا فَلا يَنْبغى التَّخَلُّفُ عَنْها إِلاّ لِعُذْرٍ : كالمَطرِ والبرْدِ الشّديدِ والخَوْفِ وقدْ جاءَ فى الحَديثِ الشريفِ « الجماعةُ سُنَّةٌ من سُنَنِ الْهُدَى لا يَتَخَلَّفُ عنْها إِلاَّ مُنافِقٌ » — ومنَ الحِكْمَةِ فى زِيادَةِ ثوَابِها أَنّ النّاسَ إذَا اجْتَمَعُوا لِلصلاَةِ يرَى غَنيُّهمْ فقيرَهُمْ فيرْفُقُ بِهِ ويُساعِدُهُ بِقدْرِ استِطاعَتِهِ، ويرَى العالمُ الجَاهلَ فيرْشِدُهُ بِعِلْمِهِ. ويَقِفُ بَعْضُ أَهْلِ البَلدِ الوَاحِدِ على أَحْوالِ الآخَرِينَ ويَتَساءَلونَ عَنْ مَصَالِحِهِمْ ، ويَتَعاوَنونَ على قضائِها ،فتُغْرَسُ فى قلوبِهِمُ المَحبّةُ والتَّآلفُ والتعَاوُنُ — ويَنْبَغى لِلإِمامِ ألا يُطيلَ الصلاَةَ فقَدْ قالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ (إِذَا صلّى أَحَدُكمْ بالنّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فإِنّ فيهمُ السّقيمَ والضعيفَ والكَبيرَ) وقالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فى إِمامٍ لا يُلاحِظُ حالَ مَأْمُوميهِ

رُبَّ إِمامٍ عَديمِ ذَوْقٍ يَؤُمُّ بالنّاسِ ثمّ يُجْحِفْ
خالَفَ فى ذاكَ قوْلَ طهَ مَنْ أَمَّ بالنّاسِ فلْيُخَفِّفْ

﴿ أحكامُ صلاةِ الجماعةِ وشُرُوطُها ﴾

الجماعةُ شَرْط صِحّةٍ فى الجمعةِ والعيدَيْنِ . وسُنّةٌ مؤكّدَة فى الصلوَاتِ المكتوبةِ للقادِر عليْهَا بلاَ حرَجٍ منَ الرّجالِ الأحْرَارِ المكلّفينَ — ويَحصلُ ثوَابُها وفضلُها لمَنْ يُدْرِكُ معَ الإمامِ الصلاةَ كلّها أوْ جزْءًا منها ولوْ منَ القُعودِ الأخيرِ

ويَجُوزُ للصبيّ أنْ يؤمّ جماعةَ الصِّبْيانِ ، ويُكرَهُ للنّساء أنْ تؤمّهنّ إحداهُنّ — أمّا الرّجلُ المكلّفُ الحافِظ لِما يجزِئ منَ القرآنِ الخالى منَ الأعْذارِ : كالرّعافِ الدّائمِ ، ومنْ فقْدِ شَرْطٍ منْ شُرُوطِ صحّةِ الصلاَةِ ، فتَصحّ إمامَتُهُ للرّجالِ والنّساءِ والصّبْيانِ

ويشترَطُ فى المأمُوم شرُوطٌ : منها (١) نيّةُ الاقْتِدَاء عِنْدَ تكبيرَةِ الإحْرَامِ (٢) اتحادُ الصلاتَيْنِ[1] أداءً وقضاءً فلا يَصحّ ظُهْرٌ خلفَ عَصْرٍ ولا ظهْرُ يومٍ خلفَ ظهْرِ يومٍ آخرَ (٣) وألاّ يَقتَدِيَ[2] بمسْبُوقٍ (٤) وأنْ يكونَ فى مَكانٍ يعلمُ مِنْهُ

---

(١) لا يشترط الشافعى اتحاد الصلاتين فيصح عنده الفرض خلف السنة (٢) يصح الاقتداء بالمسبوق عند الشافعى

انتِقالاتِ الإمامِ (٥) وألاَّ يكونَ الإمامُ أدنى حالاً منَ المأمومِ فلاَ يَصحُّ اقتِدَاءُ رَجلٍ بامْرَأَةٍ أوْ صبيّ — وتجوزُ إمامةُ الأعمى والأقطَعِ والأشَلِّ والصبيِّ بمثلِهِ والمرْأةِ بمثلِها معَ الكرَاهةِ ، وتُكرَهُ إمامةُ مَنْ كانَ مَظِنَّةً لِلنقْصِ أوْ لِنفورِ النّاسِ مِنْهُ : كالعَبْدِ وولَدِ الزّنا والفاسقِ والأعمى إلاَّ إذَا كانوا أفضلَ الموْجُودِينَ

ويَقِفُ المأمُومُ إنْ كانَ واحِدًا عَنْ يمينِ الإمامِ ، فإنْ زَادُوا وقفُوا خلْفَهُ صُفوفًا مُنتَظِمةً ، يُقدَّمُ فيهَا صُفوفُ الرِّجالِ على صُفوفِ الصِّبْيانِ ، ولاَ يؤَخِّرُ الإنْسانُ الدُّخولَ في الصلاَةِ معَ الإمامِ مَتى أدْرَكَ أيَّ جُزْءٍ منْها ، وإذَا فاتَهُ رَكعةٌ أوْ أكثرُ منَ الصلاَةِ قيلَ لهُ مَسبُوقٌ ، ويجِبُ أنْ يُتمَّ صلاَتَهُ بعدَ أنْ يُسلِّمَ الإمامُ

﴿ كيفيةُ تتميمِ صلاَةِ المَسْبوقِ ﴾

إذَا أدْرَكَ المُصلى الإمامَ في الرَّكعَةِ الثّانيةِ منَ صلاَةٍ ثُنائيةٍ فإنّهُ يُتابعُ الإمامَ حتى يُسلِّمَ (أى الامام) فيقومُ هُوَ

بِلاَ تَسلِيمٍ ويُصلى الرَّكْعَةَ الثَّانِيةَ ، ويُتَمِّمُ صلاَتَهُ كما لوْ كانَ وحْدَهُ — وإنْ أَدْرَكَهُ فى الثانيةِ منْ صلاةٍ رُبَاعيةٍ يُتَابِعُ الإمامَ حتى يُسلمَ ، ومَتى سلمَ الإمامُ يَقُومُ هوَ ويُصلى الرَّابِعةَ بفاتِحةٍ وسورَةٍ[1] ثمَّ يَتَشَهَّدُ وَيسلم — وإنْ أدْرَكَهُ فى الثالثةِ يَقومُ بَعْدَ سَلاَمِ الإمامِ فيَأتى بالرَّكْعتَينِ البَاقيتَيْنِ يَقرَأُ فى كلٍّ منْهُما الْفاتِحةَ والسُّورَةَ ثمَّ يَتَشَهَّدُ ويُسلِّمُ — وإنْ أدْرَكَهُ فى الرَّابعةِ يقومُ بعْدَ سَلاَمِ الإمامِ فيأتى بركْعةٍ يَقرَأُ فيهَا الْفاتِحةَ والسُّورَةَ ثمَّ يَقرأُ التَّشَهُّدَ إلى (مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورَسولُهُ) ثمَّ يَقومُ فَيأتى بالثَّالثةِ يَقرا فيها الْفاتِحَةَ وسورَةً أيْضاً ، ثمَّ يَقومُ إلى الرَّابعَةِ فيُصليها بفاتِحةٍ فقطْ ، ثمَّ يَتَشَهَّدُ ويسلمَ — وإنْ أدْرَكَهُ فى الرَّكْعةِ الثّانيَةِ منْ صَلاَةٍ ثلاثيَّةٍ قامَ بعْدَ سلاَمِ الإمامِ وصلَّى الرَّكعَةَ الثَّالثةَ بفَتْحةٍ وسُورَةٍ وتَشَهَّدَ وسلَّمَ ، وإنْ أدْرَكهُ فى الثّالثةِ قامَ بعْدَ سَلاَمِ الإمامِ وصلَّى الثَّانيةَ

(١) عند الشافعى يقرأ الفاتحة فقط

بفاتحة وسورة ثم تشهد وقام إلى الثالثة وصلاها بفاتحة وسورة ثم تشهد وسلم

وإدراك الركعة يكون بإدراك ركوعها مع الإمام فلو اقتدى به بعد الركوع لا يكون مدركا للركعة وتجب عليه متابعته فيها ولا يعتد بما فعله منها وكأنه لم يكن

﴿ ٢ — العيدان وآدابهما ﴾

أول يوم من شوال هو يوم العيد الصغير (أو عيد الفطر) واليوم العاشر من ذى الحجة هو يوم العيد الكبير (أو عيد الأضحى)

وقد جرت العادة أن يكون لكل أمة يوم أو أكثر من أيام السنة يتجملون فيها بما يسر النفوس، ويشرح الصدور، ويخرجون بثيابهم الفاخرة يتزاورون ويتبادلون أنواع التهاني، لترسخ في قلوبهم المحبة وتنمو في أفئدتهم أسباب الائتلاف والمودة، والغالب أن يكون سبب ذلك التنويه بشعائر دين أو حصول أمر عظيم ترتب عليه نفع

فى الدّينِ أوْ فى الدُّنيا — ولمّـا كانَ الشّرْعُ الشّريفُ حَرِيصاً على أنْ يُنيلَ الأُمةَ كلَّ ما فيهِ سعادَتُها ، جَعلَ لَنا فى السّنَةِ يَومينِ نجْتمعُ فيهما : لِيكُونَ منْ وراءِ هذا الاجْتماعِ فوائِدُ كَبيرَةٌ ومَنافعُ عامّةٌ . وهذانِ اليوْمانِ هُما (يَوْمُ عيدِ الفِطْرِ) و (يوْمُ عيدِ الأضْحَى) فيوْمُ عيدِ الفِطرِ يجْتمعُ فيهِ المُسلمُونَ لِيُهنِّئَ بعْضُهُمْ بَعضاً بمَـا أنْعمَ اللهُ بهِ علَيْهِمْ منَ التّوْفيقِ لأداءِ فرْضِ الصّيامِ الذى هُوَ أَحَدُ أرْكانِ الإسْلامِ . ويوْمُ عيدِ الأضْحَى يَجتمعُ فيهِ الحُجّاجُ لِتأْدِيتِهِمْ فريضَةَ الحَجِّ التى هىَ أحدُ أرْكانِ الإسْلامِ أيْضاً ، ويُهنِّئُ بَعضُهُمْ بعضاً بذَلِكَ . ويُسَرُّونَ بقُرْبِ رُجُوعِهِمْ إلى الأوْطَانِ ومُشاهَدَةِ الأهْلِ والأصحَابِ ، وغَيرُ الحُجّاجِ يُسَرُّونَ أيضًا بِتوْفيقِ إِخْوَانِهِمْ لِحَجِّ بيْتِ اللهِ المحَرّمِ ، وفى هذا اليَوْمِ تَذكارُ جَميعِ المُسْلمينَ بقِصّـةِ سيّدِنا إبْراهيمَ الخَليلِ ، ومَا كانَ منْ أمْرِهِ بِذَبْحِ وَلَدِهِ وَفِلْذَةِ كَبدِهِ عليْهِما الصّلاةُ والسّلامُ ، وإنْعامِ اللهِ تعالى علَيهِما بالفِدْيَةِ فى ذلكَ اليوم : وفى هذا التّذَكرِ منَ الإعتبارِ مايَدْعُو إلى بَذْلِ المُهجِ فى طاعةِ

اللهِ والصّبرِ والتّجلّدِ عندَ هُجُومِ الأهوَالِ

ومنَ السنّةِ والآدابِ الشّرعيّةِ إحياءُ ليلةِ العيدِ بطاعةِ اللهِ ، والاغتسالُ قبلَ الذّهابِ إلى الصّلاةِ ، والتّطيّبُ والتّزيّنُ بأحسنِ الثّيابِ الجديدةِ . وأكلُ شيءٍ قبلَ الخروجِ إلى الصلاةِ في عيدِ الفطرِ ، وتأخيرُ الأكلِ في الأضحى . والتّوجّهُ إلى المُصلّى ماشياً مكبّرًا سرًّا في عيدِ الفطرِ وجهرًا في الاضحى ، ومُقابلةُ النّاسِ بالبشاشةِ والبِشرِ . والتّبكيرُ إلى صلاةِ العيدَينِ ، وقدْ شُرِعتْ صلاتُهما ليكونَ ذلكَ الاجتماعُ ميْمُونًا مُباركاً بأفضلِ الطّاعاتِ وأكملِ العباداتِ

﴿ صَلاةُ العيدَيْنِ ﴾

صلاةُ العيدَين واجبةٌ [١] وتكونُ جماعةً [٢] كالجُمُعةِ ولانفلَ قبلَها — ووقتُها من ارتفاعِ الشّمسِ إلى قبيلِ زوالها في اليَومِ الأوّلِ من شوّال والعاشرِ من ذى الحجةِ . وكيفيتُها

(١) وهى سنة مؤكدة عند مالك والشافعى (٢) وتصح على الانفراد عند مالك والشافعى

أَنْ يَنوِىَ الانسانُ صلاةَ العيدِ ويُكبِّرَ تكبيرةَ الإحْرامِ ثمَّ يَقْرَأَ الثَّناءَ ثمَّ يكبِّرَ ثلاثَ تكبيراتٍ[1] يَرْفعُ يَدَيْهِ فى كلٍّ منها ثمَّ يتعوَّذُ ويُسمِّى ويَقرأُ الفاتحةَ وسُورةً قصيرةً، ثمَّ يكمِّلُ الرَّكعةَ كالصلاةِ المعتادةِ، ثمَّ يَقومُ إلى الرَّكعةِ الثانيةِ فيُسمِّى ويَقْرأُ الفاتحةَ والسُّورةَ ثمَّ يكبِّرُ ثلاثاً، ثمَّ يَرْكَعُ ويُتمِّمُ الثَّانيةَ ثمَّ يَتشهَّدُ ويُسلِّمُ، ثمَّ يَجْلِسُ لِسماعِ خُطبتَى الإمامِ ليَتعلَّمَ منْهُما الأحكامَ والمَواعظَ النَّافعةَ — ويجبُ التَّكبيرُ عَقِبَ كلِّ فريضةٍ من فَجْرِ يومِ عرفةَ حتى عصرِ اليَوْمِ الرَّابعِ. ولَفْظُهُ: اللهُ أكبر اللهُ أكبر، لا إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبر اللهُ أكبر وللهِ الحمدُ — ويُسمَّى تكبيرَ التَّشْريقِ

﴿ ٣ صلاةُ الجنازةِ[2] ﴾

إذا ماتَ لإنْسانٍ ميِّتٌ فيُسَنُّ أَنْ يُعزِّيَهُ النَّاسُ. ليَصْرِفوا

---

(١) عند مالك يكبر ست تكبيرات عند تكبيرة الاحرام ثم يقرأ ويتمم الركعة الاولى ويكبر خمس تكبيرات بعد تكبيرة القيام للركعة الثانية ثم يقرأ ويتمم. وعند الشافعى كمالك إلا أنه يكبر سبعاً بعد تكبيرة الاحرام وخمساً بعد تكبيرة القيام.

(٢) الجنازة بكسر الجيم السرير الذى يوضع عليه الميت وبالفتح نفس الميت

عنهُ الهُمُومَ والأحزانَ ، ويُخفِّفُوا عنه ألَمَ المُصَابِ ، وأحسَنُ تَعزِيَةٍ له اجتماعهُمْ عقِبَ وَفاةِ نَقيدِهِ ومُشارَكتهُمْ لهُ فى تَشْيِيع جَنَازَتِهِ والصَّلاةِ عليهِ . وهذِهِ الصَّلاةُ فرْضُ كِفايَةٍ إذا قامَ بِها بَعْضُ المسلمينَ سقَطَتْ عنِ الباقين — ويُشتَرَطُ لها منَ الطَّهارَةِ وَغيرِها مايُشترَطُ لِسواها منَ الصلواتِ — وكَيفيَّتُها أنْ يَقُومَ المُصلِّى فيَستَقْبلَ القبلَةَ والجَنَازَةُ أمامَهُ ثمَّ يَنْوِىَ الصَّلاةَ على الميت ويكبِّرَ رافِعاً يَدَيْهِ ثمّ يَقْرَأُ الثناءَ[1] ويكبِّرَ مرَّةً ثانيةً ، ويُصلِّى علي النبىّ صلى الله عليهِ وسلم ، ثم يُكبِّرَ ثالثَةً ويَدْعُو لِلْمَيِّتِ بماشاءَ ، ثم يكبِّرَ رابِعة ويُسلم . ومنَ الأَدْعيَةِ المَأثورَةِ عن النبىّ صلى الله عليهِ وسلم (اللهُمَّ اغفرْ لحيِّناومَيِّتِنا ، وشاهِدِنا وغائبِنَا ، وصغيرِناوكَبيرِنا ، وذَكرِناوأُنثانا ، اللهُمَّ مَنْ أَحيَيْتَهُ مِنَّا فأحيِهِ على الإسلامِ ، ومَنْ توَفَّيْتَهُ مِنَّافتَوَفَّهُ على الايمانِ ، اللهُمَّ لاتحرِمْنا أجْرَهُ ولا تفْتِنَّابعْدَهُ) * وغسلُ الميت واجِبٌ كالصلاةِ عليهِ وكذا

(١) عند الشافعى يقرأ الفاتحة بعد التكبيرة الاولى ، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعدالثانية ، ويدعو للميت بعد الثالثة ويسلم بعد الرابعة ، وعند مالك يدعو بعد كل تكبيرة

تَكفينُهُ ، والسنة أنْ يكفَّنَ الرَّجل فى ثلاثةِ أثواب[1] : إزارٍ وقميصٍ ولِفافةٍ ، والمرأةُ فى خمسةٍ: إزارٍ وقميصٍ وخمارٍ وخرقةٍ ولِفافةٍ . ويُسَنُّ أنْ لا يُتغالَى فى الكفَنِ لِقوْلِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ ما معناهُ (لاتُغالوا فى الكفَنِ فإنَّهُ يُسلبُ سريعاً)

﴿ تنبيهاتٌ ﴾

(١) زيارةُ القبورِ مندوبةٌ للعِظَةِ والاعتبارِ ، فقدْ كانَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم يَزورُ مَقْبُرةَ البَقيعِ ويقولُ : السلامُ عليكُمْ دارَ قومٍ مُؤمنينَ وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بكُمْ لاحِقونَ ، ثم يَستغفرُ اللهُ لهُ ولهمْ (٢) لَيسَ من السنّةِ قُعودُ أهلِ الميتِ هناكَ يتقبّلونَ عزاءَ النّاسِ ، كما أنّهُ لَيسَ منها الكفّاراتُ التى يَعملُها بعضُ النّاسِ الآنَ (٣) أهلُ الميِّتِ مَشغُولونَ بمصيبتِهم . فليسَ منَ السنّةِ أنْ يُكلّفُوا صُنعَ الأطعِمةِ أوْ غيرِها للمُعزّينَ ، بل السنّةُ أنْ يَصنعَ لهُمْ جيرانُهمْ

---

(١) عند الشافعى للرجل ثلاثة أثواب بيض لاقميص فيها ولا عمامة وللمرأة خمسة . أزار وقميص وخمار ولفافتان . وعندمالك للرجل خمسة قميص وعمامة وأزار ولفافتان . وللمرأة سبعة . بزيادة لفافتين واستبدال الخمار بالعمامة

ما يأكلونهُ ، ويُلِحُّونَ عليهِمْ في تناولهِ لقولهِ صلى الله عليهِ وسلَّم (اصنعوا لآلِ جعفرٍ طعاماً فقدْ أتاهُمْ ما يشغلُهُمْ) (٤) اللطمُ على الخدودِ وتمزيقُ الجيوبِ والصِّياحُ على الموتى ليسَ بجائزٍ شرعاً ففي الحديثِ الشريفِ (ليسَ مِنَّا مَنْ لطمَ الخدودَ وشقَّ الجيوبَ ودعا بدعوى الجاهليةِ) ودعوى الجاهليةِ هي وامُصيبتاهْ واجَملاهْ ونحو ذلكَ (٥) ومن العباراتِ التي تقالُ للمُعزَّى : إنَّ لِلّهِ ما أخذَ ولهُ ما أعطى وكلُّ شيءٍ عندَهُ بأجلٍ : ومنها (عظَّمَ اللهُ أجرَكَ ، وأحسنَ عزاءَكَ ، وغفرَ لِميِّتِكَ) إنْ كانَ كبيراً . وأيُّ عبارةٍ تفيد تسليةَ المعزَّى وتلفتهُ إلى الصبْرِ تكفي في التَّعزيةِ

﴿ ٤ — الزَّكاةُ ﴾

قضتْ حكمةُ اللهِ تعالى أنْ يُفضِّلَ بعضَ النَّاسِ على بعضٍ في الرِّزقِ فجعلَ منهمُ الأغنياءَ والفقراءَ الذينَ لا يجدُونَ ما يُنفِقُونَ ، فإذا لمْ يجدِ الفقراءُ ما يقومُ بضروريَّاتِ حياتِهمْ وحياةِ أولادِهمْ ولمْ يُحسِنْ إليهمْ الغنيُّ بشيءٍ منْ مالهِ عادَوْا

الأغنياء واضطرّوا إلى أن يأخذوا من أموالهم ما يكفيهم ولو بالطرق الخسيسة : كالسرقة والنهب ، فتنتشر البغضاء بين الفقراء والأغنياء ، ويختلّ النظام الاجتماعي : فللمحافظة على حياة الفقراء واطمئنان نفوسهم وغرس محبة الأغنياء في قلوبهم فرض الله سبحانه وتعالى للفقراء حقاً معلوماً في أموال الأغنياء ، وذلك الحقّ المعلوم هو (الزّكاة). وقد شرعها الله سبحانه وتعالى في السنة الثانية من الهجرة ، وأوجبها على كلّ مسلم حرّ عاقل بالغ بشرائط مخصوصة ، ومدح من يؤدّيها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ووعده بأن يبارك له في ماله ويضاعف له الثواب

﴿ ما تجب فيه الزّكاة ﴾

الأشياء التي تجب فيها الزّكاة . المواشي ، والزروع ، والثمار ، والنقدان ، وعروض التجارة

﴿ زكاة المواشي ﴾

أمّا المواشي فتجب في ثلاثة منها : الإبل والبقر (١)

---

(١) يشمل الجاموس لانه نوع منه

والْغنم [١] ويُشترطُ أنْ تمضيَ عليها حوْلٌ كاملٌ عِنْدَ صاحبِها بقصدِ الدَّرِّ أو النَّسلِ أو التسمينِ — وأنْ تكونَ سائمةً [٢] وهي التي ترْعى الكلأَ المُباحَ كلَّ الحَوْلِ أوْ أكثرَهُ — وأنْ تبلُغَ النِّصابَ: وهو خمسٌ في الإبلِ، فيها ثَنِيٌّ (شاةٌ طعنتْ في السَّنةِ الثانية) وثلاثونَ في البقر، وفيها تَبيعٌ (التَّبيعُ منَ البقرِ ابنُ سنةٍ ودخلَ في الثانيةِ) وأرْبَعونَ في الغنمِ، وفيها ثَنيٌّ (شاةٌ طعنتْ في السَّنةِ الثانيةِ)

﴿ زكاةُ الزُّروعِ والثمارِ ﴾

وأمّا الزُّروعُ والثمارُ كالقمحِ والشَّعيرِ والفُولِ والتَّمرِ والزَّبيبِ فتجبُ زكاتُها بعْدَ اشتِدَادِها أوْ نضجِها إذا كانتِ الأرضُ عُشْريَّةً، ومقْدارُ زكاتُها نِصفُ عُشْرِها إنْ سُقيتْ بأُجرةٍ أوْ آلةٍ كالمنزفةِ (الشَّادُوفِ) والآلاتِ الرَّافِعةِ، فإنْ سُقيتْ أكثرَ السَّنةِ بلا أُجْرةٍ ولا آلةٍ فزكاتُها عُشْرُها

(١) يشمل الضأن والمعز (٢) لا يشترط مالك أن تكون سائمة

﴿ زكاة النقدين ﴾

وأمّا النقدان وهما الذَّهبُ والفضةُ سَوَاءٌ أكانا مَضرُوبين أَمْ مَصنوعَيْنِ حليًا أمْ آنيةً أمْ كانا تِبرًا فتَجِبُ الزَّكاةُ فيهمَا إِذَا بَقيَا فى مِلْكِ صاحِبهمَا سنةً كامِلةً ، وبَلَغا نِصابًا خاليًا منَ الدُّيُونِ والحَاجاتِ الأَصليةِ — ونِصابُ الذَّهَبِ عِشرُونَ مثقالا أىْ اثنا عشَرَ جُنَيْهًا انجليزيًّا وربعُ جُنَيْهٍ — ونِصابُ الفِضّةِ مائتَا دِرْهمْ أىْ أرْبَعة وعِشرُونَ ريالاً ورُبعُ ريالٍ — ومِقْدَارُ الزَّكاةِ فى كلٍّ منهما رُبعُ العُشرِ أَىْ اثْنانِ ونِصفٌ فى المِائةِ . ولاَ زَكاةَ فى الجَوَاهرِ واللآلئ إلا إِذَا امتُلِكتْ بنيةِ التِّجارَةِ فلها حُكمُ عُرُوضِ التِّجارَةِ

﴿ زكاة عرُوض التِّجارَة ﴾

وأمّا عُرُوضُ التِّجارَةِ (أَى الاشياءُ المُعَدّةُ لِلاتّجَارِ فيهَا وهىَ ما سِوى النقدَيْنِ) سوَاءٌ أكَانَتْ مَكيلاً أمْ مَوْزُونًا أَمْ حَيوَانا أمْ عقارًا : فتَجبُ الزّكاةُ فيهَا إِذَا حالَ عَلَيها الحَوْلُ خالِيةً منَ الدُّيُونِ والحَوَائجِ الأَصليةِ منويًّا

بها التجارة — وبلغت قيمتها نصاباً من الذهب أو الفضة .
وتضم قيمة العروض المختلفة بعضها إلى بعض وإلى مايوجد
عنده من النقدين ، وكلما مضت عليها سنة في ملك صاحبها
قدرت قيمتها بالأنفع للفقير ، فإن بلغت نصاب الذهب
أو الفضة أخرجت زكاتها ربع عشر قيمتها

﴿ من تدفع إليهم الزكاة ﴾

وتدفع الزكاة إلى الأصناف الآتية : (الفقير) وهو من
ملك دون نصاب أو نصاباً مشغولاً بحاجاته الأصلية (والمسكين)
وهو من لا يملك شيئاً (والمدين) الذى لا يملك نصاباً فاضلاً
عن دينه (وابن السبيل) وهو الغريب المنقطع عن ماله (والعامل)
على الزكاة : وهو من نصبه الإمام لجمعها من الناس (والمكاتبون)
المملوكون لغير بنى هاشم (ومنقطعوا الغزاة) وهم الذين عجزوا
عن اللحوق بجيش المسلمين لفقد دوابهم أو زادهم أو نحو ذلك
ويجوز دفعها إلى جميع هؤلاء أو بعضهم — ويشترط
فيمن تصرف إليه أن يكون مسلماً — وألا يكون من

صُولِ المزَكِّي ولامنْ فرُوعِهِ — ولا أَحدَ الزَّوْجَيْنِ — ولا لِمنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُ . والأَوْلى صَرْفُها إِلى فقراءِ المكانِ الذى هوَ فيهِ إِلاَّ إِذَا كانَ غيرُهُ أَحَقَّ بِأَنْ كانَ قريباً لهُ أَوْ أَصلَحَ أَوْ أَحْوَجَ

﴿ زَكاةُ الفِطْرِ ﴾

زكاةُ الفِطْرِ وَاجبةٌ على كلِّ حُرٍّ مُسلمٍ مالِكٍ[1] لِنصابِ الذَّهَبِ أَوِ الفضةِ ، أَوْ أَىِّ نِصابٍ آخرَ بشَرْطِ أَنْ يكونَ فاضِلاً عَنْ دَيْنِهِ وحاجَتِهِ وحاجَةِ عيالِهِ — وتُخرَجُ صُبْحَ يَوْمِ عيدِ الفِطْرِ أَوْ قبلَهُ في رَمضانَ ، عَنْ نَفْسِهِ[2] وأَطْفالِهِ الصِّغارِ ومماليكِهِ — وهِىَ عَنْ كلِّ شَخْصٍ نِصفُ صاعٍ[3] مِنْ بُرٍّ أَوْ دَقيقِهِ أَوْ سَوِيقِهِ. أَوْ مِنْ زَبِيبٍ — أَوْ صاعٌ مِنْ تَمْرٍ أَوْ شعيرٍ

(١) وعند مالك والشافعى تجب على من يملك مقدارها فاضلا عن قوته وقوت عياله يوم العيد (٢) عند مالك والشافعى يخرجها عن نفسه وعن كل مسلم تلزمه نفقته كأبويه الفقيرين وأولاده الصغار وزوجته وعبده (٣) عند مالك والشافعى الواجب صاع من أغلب قوت أهل البلد كالقمح والذرة

ومِنْ غيرِ هٰذِه الأَصْنافِ تعتبرُ القِيمَةُ . والصّاعُ قَدَحانِ وثُلُثا قَدَحٍ بالكَيْلِ المِصْرِى [1] والأفضلُ دَفْعُ القِيمَةِ [2] نقودًا لأَنَّها أنفعُ وذلكَ فِي غيرِ زمَنِ القَحْطِ — وتُصْرَفُ إلى مَصارِفِ الزَّكاةِ

﴿ التَّهْذِيبُ ﴾

إذَا كنتَ أيُّها الوَلَدُ النَّاجِحُ تراقِبُ نَفْسَكَ ، وتحاسبها على أعمالهَا ، وتعوِّدُها فِعلَ الصَّالِحَاتِ ، وترَغِّبُها فيها مَهْما صَعُبَ طَرِيقها وأَحاطَ بها منَ العَقَبَاتِ ، وَتَبْذُلُ كلَّ مافى وُسْعِكَ فى إبْعَادِهَا عمَّا يكونَ سَبَبًا فى ضَعَتِهَا وَاحْتِقارِهَا وَهَوانِهَا وصَغَارِهَا ، فإنَّكَ تكونُ بذلكَ قَدْ هَذَّبْتَهَا وَجَعَلْتَهَا نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً راضِيَةً مَرْضِيَّةً ، وَحُزْتَ رِضَا اللهِ تَعَالى ورِضَا الناس — وللتَّهْذِيبِ طرُقٌ شتّى وضُرُوبٌ عِدَّة أفضلها ماجاء فى القرآنِ الكَرِيمِ — وسَنَذْكُرُ لكَ منهُ طرَفًا تَستَضيءُ بمشكاتِهِ وَتَهتَدِى بهديه :

---

(١) عند الشافعى الصاع قدحان فالكيلة تجزىء عن أربعة وعند مالك الصاع قدح وثلث فالكيلة تجزىء عن ستة (٢) لا يصح دفع القيمة عند مالك والشافعى

﴿ ١ — التحية ﴾

التّحية عِنْدَ اللّقاء تُذْهِبُ الدّهْشَةَ . وتُزيلُ الوَحْشَةَ ، وتجلِبُ الائْتِناسَ ، ولِذا كانَتْ منَ الأُمُور المُسْتَحسنَةِ عِنْدَ جميعِ الأُمَمِ وإِنِ اختلَفَتْ عِبَارَاتُها وأَشْكالُها . كانَ من تحِيّةِ العرَبِ قَبلَ الإسْلاَمِ : أَنْعِمْ صَبَاحاً ، وَحَيّاكَ اللهُ (وهوَ دُعاء بِطولِ الحَياةِ) فاستَعاضَ ذَلكَ الشّارعُ الحكيمُ بهٰذِهِ العِبارَةِ وهىَ (السّلاَمُ عَلَيْكمْ) وهوَ دُعاء بالأَمانِ منَ المَكْرُوهِ والسّلاَمهِ منَ المَخاوِفِ،وفرّقٌ بيْنَ الدُّعاءِ بالسّلاَمَةِ التى يَتمنّاها كلُّ إِنْسانٍ وبينَ الدُّعاءِ بِطُولِ حَياةٍ قدْ تَكونُ مَلأَى بالهُمومِ والأَحزَانِ ، فيَتَمنّى صاحِبُها أجَلاً قَصيراً ومَوْتاً عاجِلاً، والسُّنّةُ فى السلاَمِ أَنْ يُسلّمَ الصّغيرُ على الكَبيرِ ، والرّاكِبُ على غيرِ الرّاكِبِ ، ورَاكِبُ الفَرَسِ على رَاكبِ الحِمارِ ، وَالقَليلُ على الكَثيرِ — وأنْ يُرَدَّ السّلاَمُ بأحْسَنَ منهُ ، فإذا قالَ المُسلّمُ (السّلاَمُ عليكمْ) كانَ الرّدُّ (وعليكمُ السّلاَمُ ورَحمةُ اللهِ)

وإذا قالَ (السلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ) كانَ الجوابُ (وعليكمُ السّلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ) وإذا اقتصرَ في الجوابِ على (وعليكمُ السلامُ) كفى. والبدءُ بالسلامِ سُنّةٌ والردُّ فرضُ كفايةٍ فإذا قابلَ جماعةٌ جماعةً وسلّمَ أحدُ الجماعةِ الأولى وردَّ أحدُ الجماعةِ الثانيةِ كفى، ولما كانتِ التحيةُ منْ دواعي الألفةِ والمودّةِ علّمنا اللهُ تعالى كيفَ نردُّها فقال (وإذا حُيّيتمْ بتحيةٍ فحيّوا بأحسنَ منها أوْ ردُّوها إنَّ اللهَ كانَ على كلِّ شيءٍ حسيبًا) وقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم (إذا التقى المؤمنانِ فسلّمَ كلُّ واحدٍ منهما على الآخرِ وتصافحا، كانَ أحبُّهما إلى اللهِ تعالى أحسنَهما بشرًا بصاحبِهِ) وسُئِلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أيُّ الإسلامِ خيرٌ فقال (تُطعِمُ الطعامَ وتقرأ السلامَ على مَنْ عرفتَ ومَنْ لمْ تعرفْ) — وتحيةُ المسلمينَ عندَ اللقاءِ هيَ السلامُ عليكمْ كما عرفتَ وأمّا نحو نهارُكَ سعيدٌ، وصبّحكَ اللهُ بالخيرِ، وأسعدْ صباحًا فليسَ بتحيةٍ شرعيةٍ، والدعاءُ لهُ بنظيرِهِ حسنٌ — ولا يُسنُّ السلامُ

على القاضي وقتَ القضاء ولاَ على المتخاصمين أمامهُ ، ولاَ على المُصلى، ولاَ على المُدَرِّس في دَرْسِهِ . ولاَ على مَنْ يقرأُ القرآنَ الكريمَ ، ولاَ على المؤذِّنِ وقتَ أذانه * قيلَ إنَّ عُمرَ بنَ الخطابِ دَخلَ على أبي بَكرٍ الصدِّيقِ (رَضيَ اللهُ عنهُما) فَسلمَ فلمْ يَرُدَّ عليهِ فَسُئلَ أبُو بَكرٍ في ذلكَ فقالَ . إنهُ أتاني وبَينَ يَدَيَّ خصْمانِ قدْ فَرَّغتُ لهُما سَمْعي وبَصَري وقلْبي وعلِمتُ أنَّ اللهَ سائِلي عنهما وعمَّا قالاَ وعمّا قلتُ — وتشملُ الآيةُ أيةَ تحيةٍ غيرِ تحيةِ اللقاء، فكلُّ مَنْ أحسَنَ إليْكَ وحيّاكَ بتحيّةٍ قوْليةٍ أوْ فِعليةٍ أوْ كِتابيةٍ خَفيَّةٍ بأحسَنَ مِنها أوْ بمثلِها، لِتتمكنَ بَينَكما المَحبةُ وتتأكدَ رَوابِطُ الإخاء

﴿ ٢ — الصِّدْق ﴾

(١) بَينا رَجلٌ ذاتَ يَوْمٍ في بَيْتِهِ إذا صبيٌّ قَدِاستأذَنَهُ في الدُّخُولِ علَيْهِ وقالَ لهُ أيُّها السيِّدُ . إني قدْ كَسَرْتُ لوْحَ زُجاجٍ منْ نافِذَةِ بَيتِكَ بدُونِ قَصْدٍ مِني ولاَ اختيارٍ ، فقدْ

كُنْتُ أَرْمِى حَجرًا إلى جِهَةٍ فأخطأتُ الجِهَة تحصل ماحصل فَسامحهُ الرَّجلُ وأثنى عليهِ لِصدْقهِ وشجاعَتِهِ ، ونَصحَهُ باتِّباعِ سَبيلِ الاحتراسِ في أعمالهِ

(٢) واستعارَ تِلْميذٌ كِتاباً منْ صَدِيقِهِ لِيطالِعَهُ فتمزَّقتْ منْهُ ورقةٌ أثناءَ ذلِكَ ، وعِنْدَ رَدِّه أطلعَ صَدِيقَهُ على الوَرَقةِ المُمزَّقَةِ ، وقدَّمَ لهُ كِتاباً آخرَ فشكرَهُ صَدِيقهُ على صِدْقهِ ولمْ يقبَلْ عَنْ كِتابهِ بَدِيلاً

(٣) ودخَلَ ولَدٌ صغيرٌ حُجْرَةَ أبيهِ فوجَدَ ساعَتَهُ الذَّهبيَّةَ فأخذَها وخَرَجَ إلى الشَّارعِ فسُرِقَتْ منهُ ولما عادَ والدُهُ ولمْ يَجِدْها سألَ مَنْ فى البَيْتِ فأخبرُوهُ بأنَّهُمْ لمْ يَرَوْها وعنْدَ ما حَضَرَ ولدُهُ سألهُ فاعترَفَ بالحَقيقَةِ فقبَّلهُ بينَ عَيْنَيْهِ وقالَ لهُ: ساءنى أخذُكَ للساعَةِ بغيرِ إذْنى، وسرَّنى اعترافُكَ وصِدْقُكَ، وأَوَدُّ ألاَّ تَمُدَّ يدَكَ إلى ما لَيْسَ لكَ

(٤) ودَخَلَ رَجلٌ دُكّانَ تاجرٍ ليَشْترِىَ مِنْهُ حَرِيرًا فرأى ثَوْباً أعجبَهُ حُسْنُ شكلهِ وجمالُ نقْشِهِ وأرادَ أنْ يأْخُذَ

مِنْهُ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ فقالَ له التّاجرُ لايَغُرَّنَّكَ حُسْنُ المَنْظَرِ أيُّها السَّيِّدُ: فإنَّ هـذا الثَّوْبَ لَيْسَ بجيِّدٍ ، ونَشَرَ الثَّوْبَ أمامَهُ فَتبيَّنَ لهُ عَيْبُهُ . فَطَلَبَ ثَوْبًا آخرَ من نَوْعِهِ فلمْ يَجِدْ ،فشكَرَ التَّاجِرَ وخَرَجَ ولم يأْخُذْ مِنْهُ شيْئًا ولـكنّهُ أذَاعَ فَضْلَ هذا التَّاجِرِ وصِدْقَهُ وأمانَتَهُ بَيْنَ أصْحَابِهِ ومَعارِفهِ فأقْبَلوا عَلَيهِ فاكْتَسَبَ التّاجِرُ حُسْنَ السُّمْعَةِ وعَظِيمَ الرِّبْحِ

(٥) وكانَ مُسْتَخْدَمٌ صَغيرُ السِّنِّ كَبيرُ العَقْلِ قَدِ اتَّخَذَهُ رَئِيسُهُ أَمِينَ سِرِّهِ ومُسْتَشارَهُ في عمَلِهِ . ورقّاهُ إِلى دَرَجَةٍ لم يَنَلْهَا عِنْدَهُ منْ هم أكبرُ منه سِنًا وأكثرُ علمًا ، ولمّا سُئِلَ عَنِ السبَبِ قال إِنَّهُ صادِقٌ في قَوْله وعمَلِهِ : يَقُولُ الحقّ ولوْ على نَفْسِهِ — أَظُنُّكُمْ أيُّها التّلاميذ تَستَحْسِنُونَ صِدْقَ هؤُلاءِ الذين سَمِعتمْ نَتائجَ صِدْقِهِمْ وَتَوَدُّونَ جميعًا أنْ تكونوا صادِقِينَ مِثْلَهُمْ لاتحْتاجُونَ إِلى يَمِينٍ لِيُصدِّقكُمُ النّاسُ سَواءٌ أكُنْتمْ في المَدْرَسةِ أمْ في بُيُوتِكُمْ ، أمْ في مَحلِّ تجارَتِكم أمْ صِناعَتِكمْ أمْ زِرَاعَتِكُمْ ، أم في أيِّ مَحَلٍّ . إنّي مُتحقّقٌ أنّ كلَّ واحدٍ

منكمْ يتمنّى أنْ يكونَ شريفاً ، شجاعاً طاهرَ الذّمّةِ حسنَ السّمعَةِ ، ناجحاً فى أعمالِهِ ، موثوقاً بهِ فى قوْلِهِ وفعْلِهِ وأقولُ لكُمْ : إنّ أساسَ هذهِ الصفاتِ هُوَ الصّدْقُ فعليْكمْ بهِ لتنالوا ماتُريدونَ . ولمّا كانَ الصّدْقُ أصْلَ كلّ خيرٍ أمرَنا اللهُ سُبْحانه وتعالى بهِ فقالَ (يأيُّها الذينَ آمنُوا اتقُوا اللهَ وكونوا معَ الصّادِقينَ) وقالَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلّم (عليكم بالصّدْقِ فإنّهُ معَ البرّ والبر يهْدِى إلى الجنةِ)

وقال الشّاعر

عوّدْ لِسانَكَ قوْلَ الصّدْقِ تحظَ بهِ
إنّ اللّسانَ لمَا عوّدْتَ مُعْتادُ

﴿ ٣ — الإسْتِئْذانُ ﴾

سألت امرأةٌ النبىّ فقالَتْ يارَسُولَ اللهِ إنّى أكونُ فى بَيْتى على الحالةِ التى لا احِبُّ أن يرانى علَيها أحَدٌ لا ولدٌ ولاَ والِدٌ . فيأتينى آتٍ فيدْخل علىّ فكيْفَ أصنعُ فنزلَ قوْله تعالى (يأيُّها الذينَ آمنُوا لاتدْخلوا بُيوتاً غيرَ بيُوتِكم حتى

تستأنِسُوا وتُسلِّمُوا على أَهلِها ذُلِكم خيرٌ لكُمْ لعلّكُمْ تذَكَّرُونَ فإنْ لم تجِدُوا فيها أحدًا فَلا تدخلوها حتى يُؤذَنَ لَكمْ وإنْ قِيلَ لكُمُ ارْجِعوا فَارْجِعوا هُوَ أزْكى لكم والله بما تعملون عليمٌ: أىْ لا يَدْخُلِ الواحِدُ منكُمْ على غيرِهِ بيتَهُ الذى هُوَ فيهِ حتى يستأذِنَ فى الدُّخولِ فإنْ أُذِنَ لهُ دَخَلَ وإلا رَجَعَ، والنّهيُ عَنِ الدُّخولِ بلا إِذْنٍ يَشمَلُ الاقاربَ والأجانبَ والرِّجالَ والنِّساءَ والبصيرَ والأعمى لأنَّ حكمةَ الإستئذانِ التَّحفُّظُ منَ اطِّلاعِ النَّاسِ على أحوالِ غيرِهم الدّاخليَّةِ، سَواءٌ أكانَ بالنَّظَرِ أمْ بالسَّمْعِ، وسَواءٌ أكانَ المُطّلِعُ صديقًا أمْ عَدُوًّا — قالَ رجلٌ للنّبي صلى الله عليهِ وسلم أأستأذِنُ على أُمّى؟ قالَ نعَمْ، قالَ ليسَ لهَا خادِمٌ غيرى أأستأذِنُ عليها كلّما دخلتُ؟ قالَ أتحبُّ أنْ تَراها عُرْيانَةً قالَ لا — قالَ فاستأذِنْ عليها — وإذَا قصَدتُم دخولَ بيتٍ وَوجدْتُموهُ خاليًا من أهلهِ فلا تَدْخلوهُ واصبرُوا حتّى تجِدُوا من أهلِهِ مَنْ يأذَنُ لكُمْ بدخولهِ لأنْ دُخولَ البُيُوتِ الخاليةِ من غيرِ إذْنٍ سبَبٌ

للتُّهَمِ والقيل والقالِ ، وتَصَرُّفٌ فى مِلْكِ الغيرِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يكونَ بِرِضاهُ ، وإذا استأذنتم فلا تُلِحُّوا فى الطّلبِ ولا تَقْرَعُوا الأَبوابَ بِعُنْفٍ . ولا تَصيحُوا بِصاحِبِ الدّارِ ، ولا تَقِفوا حَيْثُ تَطّلِعُونَ على العَوْراتِ فإنّ هـذا مما يَجْلِبُ الـكَرَاهةَ ، ويَقْدَحُ فى المُرُوءةِ . بَل الواجِبُ إذا أُمِرتُم بالرُّجُوعِ أَنْ تَرْجِعوا فإنّ ذلِكَ أَبْعَدُ عنِ التُّهمَةِ وأَطْهرُ لـكُمْ مِنْ دَنَسِ الدَّناءةِ — أما البُيُوتُ غير المسكونةِ إذا كانَتْ عامةً كالفَنادِقِ والحماماتِ وحَوانيتِ الباعَةِ فلا حَرَجَ ولا إِثْم فى دُخولها بدون أَنْ تَستأذِنوا مِمَّنْ يَتَوَلَّى أَمْرَها ويقوم بِتَدْبيرها إذَا كانَ لـكُمْ فيها مَنْفَعَة كالاسْتِكْنانِ مِنَ الحرِّ والبردِ ، وكالْبَيعِ والشِّراء والاسْتِحْمامِ . كما قال تعالى (لَيْسَ عَلَيكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلوا بُيُوتاً غيرَ مَسْكونَةٍ فيها مَتاعٌ لَـكُمْ واللهُ يعلم ماتُبْدونَ وما تكْتُمُونَ) أى ماتُظْهِرُونَ وما تُخْفونَ وفى هـذا وَعيدٌ لمَنْ يَدْخُلُ محلاًّ للإفسادِ أوْ للاطّلاعِ على العَوْراتِ

﴿ آدابُ الزِّيارَة ﴾

من أَهمّ آدابِ الزِّيارةِ الاستئذانُ في الدُّخول على مَنْ تَزُورهُ ومنها أَنْ تختارَ الوَقتَ المناسبَ لها ، فلا تَزُرْ في وقتَ الأَكل أو النَّوم أو القيلولةِ أو الشُّغْلِ ، وأنْ تكونَ نَظيفَ الملبَسِ حَسَنَ الهيئَةِ ، وأنْ تُسلِّمَ على مَنْ تدْخلُ عليهم ، وتُصافِحَهُمْ ، مُبْتَدِئًا بصاحِبِ البَيْتِ ، وأَنْ تجلِسَ في المكان اللائق بمثلكَ ، وألاَّ تحاوِلَ النَّظرَ إلى نوَافذِ البَيْتِ أَوْ قراءة كتبٍ أَوْ أوْرَاقٍ غيركَ ، وأنْ تشارِكَ مَنْ تَزُورهم في سَرَّائِهمْ وضَرَّائِهمْ . فتظْهِرَ علامَاتِ السُّرُور في مَقامِ الفَرَحِ ، وتُبدِي أَماراتِ الأَسَفِ والكَدَرِ في وَقْتِ الحُزْنِ *
وإِذا وَجدْتَ مَنْ تزورهُ مُشتَغِلاً بأمرٍ مُختَصّ بهِ ، أوْمُستعِدًّا لِلخُرُوج ، أَوْ يكرِّرُ النَّظرَ في ساعَتِه ، فاستأذِنهُ في الانصرَافِ بدُون أنْ تظهِرَ أَنّكَ فهِمتَ مِنْ أمْرِهِ شيئًا ، وإذا لم تجدْ مَنْ قَصدْتَ زِيارَتَهُ فاترُكْ مَع خادِمِهِ أَوْ مَنْ تجدُهُ في البَيْتِ مِنْ

أقاربِهِ أوْ أتباعِهِ ورِقةً فيها أسمعك . وإذا عُدْتَ مَرِيضاً فاسأله كَيْفَ أصْبَحَ وَكَيْفَ أمْسَى ، وَصَبِّرْهُ على احْتِمالِ الدّاء وتَعَاطِي الدّواء بِألفاظٍ رقيقةٍ ، وبَشِّرْهُ بِسُهُولَةِ مَرَضِهِ وقربِ شِفائِهِ ، وحَدِّثْهُ عمّنْ كَانَ في حالَة أصْعَبَ منْ حالَتِهِ فبرأَ ، ولاَ تحَدِّثْهُ عمّنْ كانَ مِثلهُ فماتَ ، ولاَ تُطِلِ الإقامةَ عِنْدَهُ إلاّ إذَا كانَ يأنسُ بِكَ . ووَدِّعهُ بلُطفٍ عِنْدَ انْصِرافِكَ داعياً لهُ بالشّفاء . ويَنْبَغي أنْ يكونَ عَدَدُ مرّاتِ الزّيارَةِ على حَسَبِ رابطَتِكَ بمَنْ تزُورُهُ وقدْ ورَدَ في الحَدِيثِ الشّريفِ « زُرْ غِبّاً تزْدَدْ حُبّاً

﴿ ٤ — احترامك لغيرك ﴾

قالَ اللهُ تعالى (يأيُّها الذينَ آمَنُوا لايَسْخَرْ[1] قَوْمٌ منْ قَوْمٍ عَسى أنْ يَكونُوا خيْراً مِنْهمْ ولا نِساءٌ منْ نِساءٍ عَسَى أنْ يَكُنَّ خيْرًا مِنْهُنَّ ولاَ تلْمِزُوا أنفُسَكمْ[2] ولا تَنابَزُوا

(١) لايحتقر (٢) أى لايعب بعضكم بعضاً

بالألقاب[1] بئسَ الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمانِ ومَن لم يَتُبْ فأولئِكَ همُ الظالمونَ)

من هذه الآياتِ الكريمةِ تعلمُ أنَّ احترامَ النّاسِ أمرٌ واجبٌ لا يُخالفُهُ إلاّ مغرورٌ بنفسِهِ ومالِهِ . وجاهلٌ بتقلّباتِ الأيامِ وأحوالِها * (الدّهرُ بالنّاسِ قلّبٌ * إنْ دانَ يوماً لشخصٍ * ففي غدٍ يتقلّبْ) — أعرفُ تِلميذاً صادفَهُ حُسْنُ الحظِّ ، وساعدَهُ القدرُ حتى صارَ أوّلَ السّنَةِ الرّابعةِ في إحدَى المدارسِ الابتدائيّةِ ، وكانَ ثريّاً حسَنَ الهيئةِ ، قويَّ البنيةِ ، فصيحَ اللّهجةِ ، وكانَ من خُلقِهِ السيءِ أنْ يزدرِيَ كلَّ متأخرٍ عنهُ في فرقتِهِ ، بلْ كلَّ تلاميذِ الفرَقِ الأخرَى : لأنَّهُ يراهُمْ دُونَهُ ويهزأُ بالفقراءِ والضّعفاءِ وذوي العاهاتِ ، ولمْ يُلاحِظْ أنّهُمْ إخوانُهُ ورُفقاؤُهُ ، ولمْ يلتفِتْ إلى نصائحِ أساتذتِهِ — استمرَّ هذا التّلميذُ في غيِّهِ حتى جاءَ امتحانُ الشّهادةِ الابتدائيّةِ فلمْ ينجحْ ونجحَ كثيرُونَ ممنْ كانَ يستخِفُّ بهِمْ ويحتقرُهُمْ وتقدّمَ إلى الامتحانِ عِدّةَ مرّاتٍ فرجعَ بالخيبةِ والندامةِ ثمّ

---

(١) اى لا يدع بعضكم بعضاً بلقب يكرهه

دَالَتِ الدُّوَلُ وتَغيرَتِ الأيّامُ وافتقرَ والِدُهُ . فذَهبَتْ نَضرَتُهُ، وتَبدّلَتْ أحْوَالهُ ،وأصبَحَ فى حاجـةٍ إلى مُساعدَةِ إخْوانهِ لهُ، وقدْ صارَ مِنْهمُ المُهنْدِسُ الشهيرُ . والحَاكمُ الكَبيرُ، والتّاجرُ الثرىُّ ، والصانعُ المُتَفنّنُ ، والزّارعُ المَاهرُ ، ولمَّـا رأى نَفْسَهُ خِلوًّا منَ المَـالِ والأعمَالِ ، أفاقَ منْ سَكْرَتهِ، وقال : أوّاهُ : كانَ الأساتِذَةُ يَقولونَ إنّ الأيّامَ دُوَلٌ وكَمْ منْ غنيّ صارَ فَقيرًا . وفقيرٍ أصبَحَ غنيًّا ،وخادمٍ أصبَحَ سيّدًا ، وسليمٍ أصبَحَ سقيمًا ، ومُستَغنٍ عَنِ النّاسِ أصبَحَ فى حاجَةٍ إليْهمْ . ولقَـدْ سَمِعْتُ الأُسْتاذ فى دَرْسِ الدّينِ يُـكرِّرُ تِلْكَ النّصائحَ ويُنْشِدُ قَوْلَ الشّاعر :

ولاَ تُهينَ الفَقـيرَ عَلّكَ أنْ

تَرْكعَ يَوْماً والدّهْرُ قدْ رَفَعهُ

فَمـا انتَصَحْتُ بِنُصْحِهِ . ثمّ استَمرّ بهِ الفَقْرُ واستَحْكَمَتْ حلَقاتُهُ فازْدَادَ ألمُهُ ، ونَدِمَ على غُرُورهِ واحتِقارِهِ النَّاس وَقتَ لايَنفعُ النّدَمُ ؛ ثمّ استَوْلى عليْهِ اليأسُ وأحاطَ بهِ الذّلُّ والهَوَانُ

فقصدَ بعضَ إخوانهِ وبثَّ إليهم حزنَهُ وما هوَ فيهِ من سُوءِ الحَالِ وشظفِ العَيْش فرثَوا لحالهِ وساعدوهُ بما استطاعوا وقابلوا السيئةَ بالحسنةِ — وقد عرفَ كثيرونَ قيمةَ احترامِ النَّاسِ وارتباطِ بعضهم ببعضٍ وتساويهم في الإنسانيةِ

النَّاسُ من جهةِ التمثيلِ أكفاء
أبوهمُ آدمُ والأمُّ حوَّاء

فعاملوهم بما يحبُّونَ أن يُعاملوا بهِ . ولم يغرَّهم علوُّ المنزلةِ واتِّساعُ الثروةِ ونفوذُ الكلمةِ وعظمةُ الجاهِ — كانَ أحدُ الملوكِ يتفقَّدُ مزارعهُ ، فمرَّ بفلاحٍ قصيرِ القامةِ حافي القدمين عاري البدنِ ، رثِّ الثيابِ ، قد علا الترابُ جسمَهُ ، وتخلَّلَ لحيتَهُ ، وعمَّ العرقُ بدنَهُ ، وهوَ يشتغلُ في حرثِ الأرضِ فتقدَّمَ إليهِ الملكُ منشرحَ الصدرِ مبتسمَ الثغرِ ، وحيَّاهُ ولاطفَهُ وأحسنَ إليهِ وانصرفَ ، فرأى من بعضِ حاشيتهِ امتعاضًا من منظرِ ذلكَ الفلاحِ . فقال له الملكُ : إنَّ هذا الفلاحَ المسكينَ إنسانٌ مثلُنا يقومُ هوَ وأمثالُهُ بالزراعةِ

الّتي عليها مَدارُ حياتِنا ورُقيُّ بلادِنا : فنحنُ مَدينونَ لهُ : فلا أقلَّ مِنْ أنْ نحترِمَهُ ونعتبِرَهُ إنسانًا — ممّا تقدَّمَ ترَونَ أنَّ من أقدَسِ واجباتِنا أنْ نحترِمَ إخوانَنا التلاميذَ فلا نسخرَ بهِمْ ولا نعيبَهُمْ ولا نُناديهِمْ بأسماءٍ يكرَهُونَها ، وأنْ نحترِمَ الفلّاحَ والصّانعَ والتّاجرَ والزّارِعَ والخادمَ . لِأنّهُمْ اناسٌ مِثلُنا وليَحترِمَنا غيرُنا وأنْ نجعَلَ قُدوتَنا قولَ أحدِ الحُكماءِ لِعمرَ بن عبدِ العزيز « اجعَلْ النّاسَ أبًا وأخًا وابنًا فبرَّ أباكَ واحفَظْ أخاكَ وارْحَمْ ابنَكَ »

﴿ ٥ — سُوءُ الظّنِّ ﴾

قالَ اللهُ تعالى (يا أيُّها الّذين آمَنُوا اجْتَنِبوا كثيرًا مِنَ الظّنِّ إنّ بَعضَ الظّنِّ إثمٌ)

أدّبَ اللهُ المُؤْمِنينَ في هذهِ الآيةِ بأدَبٍ من أهمِّ أنواعِ الآدابِ ، وذلِكَ هو تَركُ سُوءِ الظّنِّ بالنّاسِ لما فيهِ مِنَ الضّرَرِ ، وهاكَ أمثِلةٌ تُبيِّنُ لكَ ذلكَ (١) أمَرَ بعضُ المعلّمينَ تلاميذَهُ

بإخراج كتاب المطالعة فأخرجوه إلا واحدًا منهم فسأله عنه — فقال له : إنى تركت الدرج مفتوحا ، وأظن أن الخادم قد سرقه — فنادى المعلم الخادم وسأله عنه — فأجاب بأنه لم يره ، وأن له فى المدرسة عدة سنين ولم يتهمه أحد بمثل هذه التهمة الشنعاء ، ثم أوصل المعلم الأمر إلى الناظر يرى رأيه فى هذه المسألة . وفى صباح اليوم الثانى جاء التلميذ ومعه كتابه وقال لأستاذه : إنى قد اتهمت الرجل بالسرقة وهو برىء فقد وجدت الكتاب فى بيتى (٢) قابل رجل بعد أن عاد من سفر طويل أحد أصدقائه فسلم عليه بدون بشاشة ، على خلاف عادته معه ، فرماه بالكبر وعدم احترام إخوانه ، وشكاه إلى بعض أحبابه فقص له قصصه وأخبره خبره وهو أنه قد مات أكبر أولاده الذى كان يساعده فى أعماله ويتكل عليه بعد الله فى كل شئونه ، ومن ذلك اليوم تراه ذاهل العقل مشتت الفكر ، فأسف الرجل على ظنه السيئ بأخيه ولازمه كثيرًا وخفف عنه ما ألم به من

الأحزان (٣) رأى خفيرٌ ليلا رجلاً على بُعْدٍ فى ليلةٍ شديدةِ الظلمةِ فقالَ لهُ (وحّدْ) وكرّرَها فلم يجبْهُ فظَنّ أنّهُ لِصٌّ فأسرعَ نحوهُ ليقبضَ عليهِ ، فلمّا شعرَ بهِ فرّ هارباً يتخبّط فى طريقهِ ، فتبعهُ حتى أدركهُ ولم يتركْهُ حتى آذاهُ بعُكّازتهِ ويدهِ ، وبعدَ برهةٍ تبيّنَ لهُ أنّهُ أصمُّ لا يسمعُ ، وضعيفُ النظرِ لا يكادُ يُبْصِرُ ، فأدركتْهُ الشفقةُ عليهِ واستسمحهُ واعتذرَ لهُ واجتهدَ فى توصيلهِ إلى مقصودهِ ، ممّا تقدّمَ ترى أنّ التسرّعَ وعدمَ التروّى فى الحكم ، والظنّ السّيئَ بالناسِ كانَ سبباً للندمِ ومجلبةً للأسفِ ، فيجبُ على العاقلِ أنْ يحترسَ منَ الوقوعِ فيهِ ليكونَ ممّنْ تأدّبوا بآدابِ الدّينِ القويمِ وقدْ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « إنّ اللهَ حرّمَ منَ المسلمِ دمَهُ وعِرْضَهُ وأنْ يُظَنّ بهِ ظنّ السوءِ » وليسَ منَ الظنّ السّيءِ الظنُّ بأولئكَ الذينَ اتّخذُوا الفسقَ شِعاراً لهمْ فقدْ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فى ذلكَ « منَ الحزمِ سوءُ الظنّ » وقالَ « احترسوا منَ الناسِ بسوءِ الظنّ »

﴿ التَّجَسُّسُ ﴾

التَّجَسُّسُ هوَ الْبَحْثُ عنْ عوْرَاتِ النَّاسِ ومَعايبِهِمْ ، وكَشْفُ ماسترُوهُ منْ أسْرَارِهمْ ، وقدْ نهىٰ اللهُ عنْهُ لِما يَترتَّبُ عليهِ منَ الْعدَاوةِ والْبَغْضاء — إذَا نَظرْتَ إلى كرّاسةِ جارِكَ للْوقوفِ على خَطَئِهِ منْ غيرِ رِضاهُ كُنْتَ مُتَجَسِّساً ، وكذلكَ إذَا دَخلْتَ بَيْتاً لِتتعرّفَ أسْرَارَهُ ، أَوْ وقفْتَ لِتَسْمعَ كلامَ أُناسٍ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ — وَسأقُصُّ عليكَ حِكايَتيْنِ يَتبيّنْ لكَ مِنْهُما مِقْدَارُ جِنايةِ التَّجَسُّسِ وانحِطاطِ أهْلِهِ — الأُولىٰ — أملىٰ أُستاذٌ على تلاَميذِهِ عبارَةً يَخْتبرُهمْ بها ، وبعْدَ أنْ خرَجُوا إلى الْغَداء دَخلَ أحدُهمُ الْحُجْرَةَ وفتحَ دُرْجَ تِلميذٍ وأخَذَ كُرَّاسَتَهُ ، وبَيْنما هوَ يَعُدُّ أغلاَطَهُ رَآهُ صاحبُهُ ، فبلَغَ الأمْرَ إلى ناظرِ المدْرَسةِ ، ولمّا مَثَلَ ذلكَ المُتجَسِّسُ بينَ يدَيْهِ قال لهُ : إنّكَ قدِ ارْتَكبْتَ ثلاثَ جرائمَ : دَخلْتَ الْحُجْرَةَ بلاَإذْنٍ ،

وفتحت دُرْجَ التلميذِ فى غيبتِهِ ، والثالثةُ وهى أشنعها أنك تلمست عيوبَهُ وتجسستَ عليهِ واللهُ تعالى يقولُ (ولاتجسَّسُوا) ثمَّ حذرَهُ من العودةِ إلى هذهِ العادةِ الدنيئةِ وعاقبهُ العقوبةَ اللائقةَ بهِ ، فماذا ترونَ فى هذا التلميذ : أظنكم تتبرءونَ منهُ ، وتقولونَ ليسَ بيننا مثلُ هذا ، وأنا أعيذكم باللهِ أنْ يكونَ منكمْ منْ يقرُّ عملَهُ أوْ يستحسنُ فعلَهُ — الثانية — جلسَ أحدُ الأغنياءِ ذاتَ ليلةٍ يتسامرُ فى بيتهِ معَ بعضِ أصدقائهِ فبصُرَ بإنسانٍ يتسمّعُ كلامَهمْ منْ ثقوبِ النوافذِ فأشارَ إلى خادمِهِ فقبضَ عليهِ وأحضرَهُ أمامَهُ فوبّخهُ على عملِهِ وكادَ يضربُهُ لولا شفاعةُ الحاضرينَ ، إذا حصلتْ هذهِ الحادثةُ معكمْ فماذا كنتمْ تصنعونَ ؟ لا شكَّ أنَّ بعضكمْ كانَ يكتفى بنهيهِ عنْ هذهِ الخصلةِ الذميمةِ ويُطلقُ سراحَهُ ، وبعضكمْ الآخرُ لا يملكُ نفسَهُ وقتَ الغضبِ فيضربُهُ ، وأمثالُ هذا كثيرونَ ، ولوْ تيقنَ هؤلاءِ أنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى مطّلعٌ عليهمْ وسيجازيهمْ على أعمالهمْ ما أقدموا على هذا الفعلِ القبيح

لاَتَهتِكَنْ عَنْ مَساوِى النّاسِ ماستَرُوا
فَيَهتِكَ اللهُ سِترًا عن مَساوِيكا
اذْكُرْ مَحَاسِنَ ما فيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا
ولا تَعِبْ أَحَدًا مِنهمْ بما فِيكا

فَلْنَبرَأْ جَميعًا منَ التَّجَسُّسِ على إِخْوَانِنا التَّلاَميذِ ، وعلى بُيوتِ جِيرانِنا ، وعلى أَسْرارِ غيرِنا ، ولْنَبْتَعِدْ عمّا لا يَعْنِينا لِئَلاَّ يُصيبَنا مالاَ يُرْضِينا فِى الحدِيثِ الشّرِيفِ « منْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المرْءِ تَرْكُهُ مالاَ يُعْنِيهِ »

﴿ ٧ — الغيبة ﴾

الْغِيبَةُ أَنْ تَذْكُرَ إِنسانًا بما يكْرَهُ وَلوْ كانَ فيهِ ، سواءٌ أَكانَ فى بَدَنِهِ كالقِصَرِ والحَوَلِ والسَّوَادِ ، أَمْ فى نَسَبِهِ كابْنِ حَجّامٍ مَثلاً ، أَمْ فى خُلقِهِ كالشَّرَهِ والطَّمعِ ، أمْ فى دِينِهِ كالتّهاوُنِ بالصلاَةِ ، أمْ فى أىِّ أمْرٍ يُفهَمُ منْهُ نَقصُهُ ، ومثلُ الْغِيبَةِ باللِّسَانِ الإِشارةُ بالرَّأسِ أوْ بالعينِ أَوْ بأىِّ عُضوٍ من

الأعضاء، ومحاكاة الحركات والأقوال، وهكذا من كل ما يدل على تنقيص الشخص ويكدره، من يغتاب غيره تنحط قيمته بين الناس: لأنهم يرونه مجردًا عن الفضيلة، ويعتقدون فيه أنه يغتابهم في غيبتهم كما يغتاب أمامهم غيرهم، فإن من نقل إليك ينقل عنك، وزد على ذلك أن الناس تغتابه كما اغتابهم، فكما يدين الفتى يدان، وبالضرورة تكثر أعداؤه وتقل أصدقاؤه. فإن الناس مطبوعون على كراهة المذمة وحب الثناء (حب الثناء طبيعة الإنسان) المغتاب يتسبب في تبغيض بعض الناس إلى بعض، وقطع العلائق الودية بينهم، فتنتشر العداوة والبغضاء ويصير الصديق الحميم عدوًا مبينًا، ويعرض نفسه لسخط الله وشديد عقوبته والبعد عن رحمته. لارتكاب كبيرة من الكبائر التي نهى الشارع عنها أبلغ نهي فقال. (ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه) أي فكرهتم أكل لحم الأخ الميت فحق عليكم أن تكرهوا

الغيبةَ المُشابهةَ لذلكَ ، ثمَّ أشارَ إلى أنَّهُ ينبغي لمَن صدرَ منهُ هذا الذنبُ العظيمُ أنْ يُبادِرَ إلى التوْبةِ منهُ ولا يَعُودَ إليْهِ ، وأنّهُ تعالى يَقبَلُ تَوْبتَهُ ويَرْحمُهُ إنْ شاءَ فقال (إنَّ اللهَ توّابٌ رَحيمٌ

وكما يَحْرُمُ على المُغتابِ الغيبةُ كذلكَ يَحْرُمُ على المُستمعِ سَماعُها قالَ الشّاعر

وسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَماعِ القَبيحِ
كَصَوْنِ اللِّسانِ عَنِ النُّطْقِ بهْ
فإنّكَ عِنْدَ سَماعِ القَبيحِ
شَريكٌ لِقائلِهِ فانْتَبِهْ

فيَجِبُ على من يَسْمعُ إنْسانًا يَبتَدِئُ بغيبةٍ أنْ يَنْهاهُ إنْ لمْ يَخَفْ منهُ ضَرَرًا ، فإنْ لَمْ يَفعَلْ كانَ شَريكَهُ في الإثمِ

وليسَ منَ الغيبةِ المَنْهيِّ عنها أنْ تذكُرَ لأحدِ أولياءِ الأمُورِ صِفَةَ شَخصٍ شِرّيرٍ ليمْنعَ ضَرَرَهُ ، أوْ أنْ تسألَ عَنْ شَخصٍ أمامَ حاكِمٍ فتذكُرَ أوصافَهُ ، أوْ أنْ تَعلمَ أنّ شخصًا

عزمَ على ارتكاب جريمةٍ فتخبرَ عنهُ مَنْ يمنعهُ إذا عجزتَ أنتَ عنْ منعهِ . علمتمْ قبحَ الغيبةَ عقلاً وشرعاً وفهمتمْ ما يترتبُ عليها منَ المضارِّ وإنى واثقٌ أنْ ليسَ منكمْ منْ يستحسنها ولا منْ يذكرُ فى مجلسٍ منَ المجالسِ سيئاتِ الناسِ ومساويهمْ أوْ يصغى إلى أولئكَ الأشرارِ الذينَ جعلوا الغيبةَ فى المجالسِ عادتهمْ استجلاباً للقمةٍ يأكلونها ، أوْ دراهمَ يصطادونها — اغتابَ رجلٌ رجلاً أمامَ أميرِ المؤمنينَ علىّ كرّمَ اللهُ وجههُ فقال لهُ . يا هـذا ، نحنُ نسألُ عمّا قلتَ فانْ كنتَ صادقاً مقتناكَ ، وإنْ كنتَ كاذباً عاقبناكَ ، وإنْ شئتَ أنْ نقيلكَ أقلناكَ — فقال . أقلنى يا أميرَ المؤمنينَ فأقالهُ على شرطٍ ألاّ يعودَ إلى الغيبةِ بعدَ ذلكَ أبدًا — ودخلتِ امرأةٌ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم تسألهُ عنْ شىءٍ ، فلمّا خرجتْ قالتْ عائشة رضىَ الله عنها ما أقصرَها ، فقال لها : مهْلاً إيّاكِ والغيبةَ ، فقالتْ يا رسولَ اللهِ إنما قلتُ ما فيها — قال أجلْ ولوْلا ذلكَ لكانَ بهتاناً — فاقتدوا بعظماء الرّجال ، وطهّروا

ألسِنَتِكمْ ومَسامِعِكمْ من دَنَسِ الْغِيبَةِ لِتَحفَظوا أنفسكمْ من شرِّها ، ولا تَكونوا ممَّنْ يأكلونَ لحومَ النّاس موْتى وهُمْ لا يَشعُرُونَ

﴿٨ — الأمانة﴾

الامانَةُ خلقٌ شَريفٌ تَنشأُ عنهُ المُحافَظَةُ على كلِّ ما يُعْهَدُ إلى الشَّخْصِ القيامُ بهِ ، سواءٌ أكانَ تَكليفاً منَ الخالِقِ كالزَّكاةِ والصلاةِ ، أمْ منَ الخَلْقِ كالوَدائعِ . أظنُّ أنّ كثيرًا منكمْ يَتذَكَّرُ حكايَةَ ابن الفلاَّحِ الذي وجدَ كيسَ تاجرٍ وسَلَّمَهُ إلى والدِهِ ، وبَقِيَ عِنْدَهُ حتى حضرَ التّاجرُ وتسلَّمَ كيسَهُ ، وتَوَدُّونَ سَماعَ حكاياتٍ منْ هذا القبيلِ ، إني أوَدُّ الأمناءَ كثيرًا ، وأعتقِدُ أنَّ كلَّ إنسانٍ يَوَدُّهمْ ، ويُسَرُّ بِسَماعِ أخبارِهمْ ، ولهذا سأقصُّ عليكمْ شيئًا منْ قِصَصِهِمْ :

(١) وجدَ شحّاذٌ في أحَدِ شوارعِ القاهرَةِ عَيْبَةً[1] صغيرَةً فيها

(١) سطة

نُقُودٌ وحَلْىٌ ذو قِيمَةٍ ، ولم يَرَهُ أحَدٌ حينَ وجدَها فسلّمَها إلى مأمُورِ القِسْمِ ، ولمّا جاء صاحبُها وتحقّقَ المأمُورُ أنّها عَيْبَتُهُ سلّمَها إليهِ — (٢) وكانتِ امرَأةٌ عَجُوزٌ فقيرَةٌ تَبيعُ فُجلاً فوَجدَتْ بينَ النقُودِ التى باعتْ بها جُنَيْهًا ، وأنتم تَعلمُونَ أنّ الفُجْلَ يُباعُ بالمليمِ ونِصفِهِ ورُبعِهِ ، وأنّ كلَّ ما تجمَعُهُ فى اليوم لا يَبلغُ عشَرَةَ قُرُوشٍ ، فاعتقَدَتْ طَبْعًا أنّ هذا الجُنَيْهَ وقعَ فى يَدِها خَطأً ممّن اشترَوا منها ليلاً ، فأخذَتْ تَبحَثُ عن صَاحِبِ الجُنَيْهِ حتى عرَفَتْهُ وسلّمَتْهُ إليهِ وأخذَتْ منه نِصفَ المليمِ الذى كانَ قدْ وقعَ الجُنَيْهُ بدَلاً مِنْهُ — (٣) وكانَ ولَدٌ فلاّحٌ يَرْعَى غنَماً فى بعضِ الأوْدِيةِ فمرَّ بهِ أحدُ الأغنياء وسألهُ أنْ يَترُكَ الغنَمَ ويَذهبَ معَهُ لِيرشِدَهُ إلى طَريقِهِ أوْ يذهَبَ هوَ ويُحضِرَ لهُ مُرْشِدًا منْ بَلدٍ قريبٍ منْهُ فلمْ يَقبلْ، فوعَدَهُ أنْ يُعطِيَهُ نقودًا تُساوى ما يأخُذُهُ منْ صاحِبِ الغنمِ فى السَّنةِ فأبَى ، وقال : إنّ صاحِبَ الغنمِ قدِ استأجرَنى لِرِعايَةِ غنمِهِ فصارَ زَمنى كلُّهُ مِلكَهُ ، فإذا صرَفْتُهُ فى شىْءٍ

آخرَ كانَ خيانةً منى فسُرَّ الرَّجلُ منهُ وألحقهُ بإحدى المدارسِ على نفقتِهِ وصارَ بعدَ ذلكَ منْ كبارِ الرِّجالِ ، هلْ كانَ ذلكَ الشحَّاذُ غنيًا ؛ هلْ بائعةُ الفجلِ فى غِنى عنِ الجنيهِ ؛ هلْ كانَ الرَّاعى ثريًّا ؛ كلاَّ . ولكنَّهمْ أمناءُ أغنياءُ النفْسِ أعلياءُ الهمةِ. وهلْ هؤلاءِ همُ الأمناءُ فقط ، أظنُّكمْ كلُّكمْ تقولونَ كلنا أمناء . كلُّنا يحافظُ على أوقاتهِ ويشغلها بالعلومِ كما أرادَ آباؤنا ، كلنا يحافظُ على الأماناتِ التى تودَعُ لديهِ ، كلُّنا إذا وجدَ شيئًا لا يطمعُ فيهِ ، بلْ يجتهدُ فى توصيلهِ إلى صاحبهِ ، كلُّنا إذَا وقعَ فى أيدينا ما ليسَ منْ حقِّنا رددْناهُ إلى صاحبهِ ، نعمْ كلُّكمْ كما قلتمْ أمناء ، وأنا لا أريدُ منكمْ أنْ تكونوا أمناءَ فقطْ فى المدرسةِ ، وفى الودائعِ التى تودَعُ لديكمْ ، وفى الأشياءِ التى تجدونَها ، بلْ أريدُ منكمْ إذَا بلغتمْ مبلغَ الرِّجالِ أنْ تكونوا أمناءَ فى مناصبكمْ ، أمناءَ فى تجارتكمْ ، أمناءَ فى صناعتكمْ ، أمناءَ فى جميعِ أعمالكمْ ، أمناءَ فى دينكمْ ، أمناءَ فى كلِّ شىْءٍ . فالأمانةُ أساسُ نجاحكمْ ، وهىَ منْ

علامات الايمانِ الكاملِ التي أمرَ اللهُ بها في كتابهِ فقال (إنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إلى أهلِها) ونفى رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّم الايمانَ عنِ الخائنِ فقال « لاَ إيمانَ لمَنْ لاَ أمانةَ لهُ » فلنكنْ أُمناءَ لِنطيعَ اللهَ ورسُولهُ وننفعَ أنفُسَنا وأهلنَا وبِلادَنا

﴿ ٦ — العدل ﴾

قال اللهُ تعالى (إنَّ اللهَ يأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهلِهَا وإذَا حكمتمْ بينَ النَّاسِ أنْ تحكمُوا بالعَدْلِ)

ظَهرَتْ نَتيجة امتحان الشَّهادةِ الثانويّةِ غيرَ سارَّةٍ في سنةٍ منَ السِّنينَ : لأَنَّ النَّاجحينَ فيهِ كانوا قليلينَ ، وكانَ السَّاقطونَ على كثرَتهِمْ مُطمئنّينَ ، هادِئِي البَالِ : لِاعتِقادِهِمْ أنَّ المُمتحِنينَ يَزنونَ الدّرَجاتِ بميزانِ العدل ، ولا يعرفونَ وقتَ تصحيحِ الأَوْرَاقِ أسماءَ التَّلاميذِ ولاَ أشخاصَهُمْ ، ولا يُؤثِّرُ فيهِم مُؤَثِّرٌ ما ، فانظرُوا كيفَ اطْمأنّتْ نفُوسُ هؤُلاءِ بالعدلِ وإنْ

لمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ فائِدَةٌ . ستقولونَ انّ مُدَرِّسِينا عادِلونَ أيضاً لا يُميّزُونَ بينَ تلميذٍ وآخرَ في التّعْليمِ ، ولا في وَضْعِ الدّرجاتِ لِأَجلِ قَرَابةٍ أوْ صداقةٍ ، أوْ أيّ سببٍ منَ الأسْبابِ إِني أُوافِقُكُمْ على ما تقولونَ ، وأقولُ لَكُمْ : انّ هُناكَ اناساً لا تأخذُهُمْ في العَدْلِ لوْمةُ لائمٍ ، يحكمُونَ بالعَدْلِ ولوْ كانَ فيهِ ضَرَرٌ على أنْفُسِهِمْ أوْ أقارِبِهِمْ أوْ أعزّ النّاسِ عنْدَهُمْ وينْصِفونَ غيرَهُمْ كَيفَما كانَتْ حالُهُ ، يَنْظُرُونَ إلى الأعمالِ ويقدّرُونَها قدْرَها ، غيرَ مُرَاعينَ قرابَةً أوْ صداقَةً أوْ عُلوّ منزلةٍ وسيَتَجلّى لَكُمْ في الحِكاياتِ الآتيَةِ مقْدارُ العَدْلِ وقيمَةُ الإِنْصافِ —

(١) كانَ في أَحَدِ البِلادِ بَدّالٌ ، وكانَتْ موازِينُهُ ومكاييلُهُ مغْشوشةٌ — فقال له بعضُ أصدقائِهِ : إِنّ مُفتّش المَكاييلِ والموازينِ سيحضرُ قريباً ، وأنْتَ تَعلمُ أنّ قانونَ بلادِنا يحكُمُ على مَنْ يَستَعْمِلُ الموازينَ النّاقِصةَ بالغَرامَةِ والحَبْس ، فَضَحِكَ البدّالُ وقال : إِنّ القاضيَ الذي سيَقْضي في أمْثالِ هذهِ الأشْياء هُوَ ولَدِي ، والأوْلادُ طَبعاً يكرِمُونَ آباءَهمْ ويُحِبُّونَهُمْ ، وما

لبثَ أنْ جاءَ المفتشُ ومعهُ أحدُ الضباطِ واختبرُوا موازينهُ ومكاييلهُ وتبيّنَ لهمْ نقصُها، فساقوهُ إلى القضاء، فحكمَ عليهِ ابنهُ بالسجنِ، وبعدَ ذلكَ اقتربَ منهُ ونظرَ إليهِ، والدموعُ تسيلُ منْ عينيهِ، ووقفَ أمامهُ خاشعاً، وقال. إنِّي قدْ أدَّيتُ الواجبَ عليَّ يا والدِي. وإنِّي أحبُّكَ كلَّ الحبِّ، ولكنْ العدلُ فوقَ المحبةِ — (٢) ورُفعتْ إلى أحدِ القضاةِ قضيةٌ بينَ خادمٍ وسيدِهِ فأوقفهُما أمامهُ متجاورَينِ كتفاً لكتفٍ وسمعَ أقوالَهما، ثمَّ حكمَ على السيِّدِ لخادمهِ، ولمْ يبالِ غناهُ ووجاهتَهُ وعلوَّ رتبتِهِ — (٣) وأرسلَ قيصرُ ملكُ الرُّومِ رسولاً إلى كِسرَى أنوشِرْوانَ ملكِ فارس، فلمَّا شاهدَ عظمةَ الإيوانَ وأُبهةَ كِسرَى وشهرتَهُ، تأمَّلَ الإيوانَ فرأى في بعضِ جوانبِهِ اعوجاجاً فسألَ الترجمانَ عنْ ذلكَ — فقال إنَّ هُناكَ بيتاً لعجوزٍ كرهتْ بيعَهُ عندَ بناءِ الإيوانِ ولمْ يرَ الملكُ إكراهَها على البيعِ فكانَ ما ترَى — فقال الرُّوميُّ: لعدلُ الملكِ في رعيتِهِ خيرٌ منْ استقامةِ قصرِهِ — (٤) وكانَ

لِفلاحٍ فقيرٍ فدّانُ أرضٍ بجوارِ ضيعةٍ كبيرةٍ لأحدِ الأمراء وكانتْ نفسُ الفلاحِ تحدثُهُ بأنّ الأميرَ ربما يُضايقهُ حتى يَضطرَّهُ إلى بيعِ فدّانِهِ بأبخسِ ثمن ، ولكنْ عَدلُ الأميرِ كانَ على غيرِ ظنِّ الفلاحِ وحِسبانهِ ، فإنهُ أوصَى جميعَ عُمّالهِ بأنْ يُساعِدُوهُ ولا يَتعرّضُوا لهُ بأذى مُطلقاً ، فكانَ يأخذُ من ثمرَةِ فدّانِهِ هذا أكثرَ مما يأخذُه من أيّ فدّانٍ آخرَ ، وأنتمْ أيُّها التلاميذُ سيكونُ منكمْ المدرّسُونَ والمُمتحِنونَ والمفتّشونَ والضبّاطُ والقُضاة والعُظماء والأمراءُ وأربابُ المَناصِبِ وستَعرِضُ عليكمْ أقضيةٌ منْ قبيلِ ما سمِعتمْ فاجعلوا العدْلَ في أحكامِكمْ فوقَ الشفقَةِ والرأفةِ والثروَةِ والجاهِ ، وحافِظوا على حُقوقِ النّاسِ ولا تَظلِمُوهمْ ، واللهُ تعالى يُسدّدُ أعمالَكمْ ، ويَجعلَ النجاحَ رائِدَكمْ ، والعدلَ شيمتَكمْ إنهُ على ما يَشاءُ قديرٌ

﴿ ١٠ — وفاءُ الكيلِ والميزانِ ﴾

جاء قرَوِىٌّ إلى تاجرٍ ليبيعَ لهُ قمحاً ويبتاعَ منهُ فولاً ، فأخذَ التاجرُ يكيلُ القمحَ ويُوفى الكيلَ تماماً أوْ ينقصُ قليلاً ولمَّا أخذَ فى كَيْلِ الفولِ كانَ يُوفى الكيلَ أوْ يَزيدُ قليلاً — فقال له القرَوِىُّ : لماذَا تتحرَّى التمامَ أو النقصَ فيما تأخذُ ؛ وتقصِدُ الكمالَ أو الزِّيادةَ فيما تُعطى ، فأجابَهُ : إنَّ العدْلَ فى الكَيْلِ والوَزْنِ أساسُ نجاحِ التاجرِ ولا يتأتى لهُ العدْلُ تماماً إلاَّ بزِيادةٍ طفيفةٍ على ما يُعطِى ونقصٍ قليلٍ ممَّا يأخذُ هذا الشىءُ الطفيفُ لا يَضُرُّ التاجرُ ، ولا يُؤثِّرُ فى رِبحِهِ بلْ يَكسبُهُ شُهْرَةً وثِقةً بيْنَ النَّاسِ ، فيُقْبِلونَ عليهِ ، ويَزْدادُ كَسبُهُ . أمَّا إذَا طفَّفَ التاجرُ فى كَيْلِهِ أوْ وَزْنِهِ ، فزَادَ على ما أخذَ أوْ نقَصَ ممَّا أعطى ، فإنَّ ثِقةَ النَّاسِ بهِ تَضعُفُ ، ورُبَّما عُدِمَتْ ، فتخسَرُ تجارَتُهُ ويكون من المُطفِّفينَ الذينَ أعدَّ اللهُ لهُمُ العذابَ والهلاكَ فقال : (وَيْلٌ لِلْمُطفِّفينَ الذينَ إذَا

اكتالوا على النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) أىْ إذا أخذُوا منهُم مَكيلاً يأخذُونَهُ وافياً كاملاً (وإذَا كالوهُمْ أوْ وَزَنوهُمْ يُخْسِرُونَ) أىْ إذا أعْطَوْهُمْ مَكيلاً أوْ مَوزُوناً يُعْطونَهُ ناقِصًا — قال القَرَوىّ — وكانَ على مَعرِفةٍ وعلمٍ كالتَّاجرِ — : إنَّ تَطْفيفَ الكَيْلِ والميزَانِ ، واختِلاسَ أموَالِ النَّاسِ بهذا العَمَلِ الدَّنىءِ لا يَصْدُرَانِ إلاّ ممَّنْ يَظُنُّ أنهُ لا يُبْعَثُ يومَ القيامَةِ ، وأنهُ لا يُحاسَبُ على عمَلِهِ ، ولهذا وَبَّخَهُمُ اللهُ شَرَّ تَوْبيخٍ ، فقال (ألاَ يَظُنُّ أولئِكَ أنَّهُمْ مَبْعُوثونَ لِيَوْمٍ عَظيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لرَبِّ العالَمِينَ كَلاّ) إنَّهمْ يُبْعَثونَ ويُحاسَبُونَ على النَّقيرِ والقِطْميرِ والحَبَّةِ والذَّرَّةِ ، ويُساقونَ إلى النَّارِ وبِئْسَ القَرَارُ — فقال التَّاجرُ : إنَّ الشَّرَفَ أحْسَنُ طَرِيقٍ للرِّبْحِ ، وقدْ رَأَيْتُ كَثِيرِينَ أفلَسُوا بِسببِ دَنَاءَتِهِمْ وغِشِّهِمْ ، ولقدْ قَلَّ الغِش الآنَ : فإنَّ النَّاسَ قدْ فَطِنوا وتَنَبَّهُوا ، وأعدَّ بعضُهُمُ المَكاييل والموَازينَ فى بَيْتِهِ ، فإذا اشترَوْا شيْئًا وزَنوهُ أوْ كالوهُ . فإنْ نَقَصَ أعادُوه إلى صاحبِهِ إنْ قَبِلَ أوْ حاكموهُ أوْ تَرَكوا

مُعامَلتَهُ ، وأَذاعُوا غِشَّهُ وخيانَتَهُ ، وإذا أَرادُوا بَيعَ شَيْءٍ باعُوهُ بموازِينِهم أوْ مكاييلِهِم أيضًا لِيتحققوا من تمادُلِها — فقالَ القرَوِيُّ : وأرَى عُقلاءَ النّاسِ يَنظرُونَ صنجَ التّاجرِ قَبلَ الشّراءِ منهُ ويقرءُونَ ما عليْها أوْ يُضاهِئونَ مَكاييلَهُ وموازِينَهُ بغيرِها ، ثمّ يُلاحِظونهُ وقتَ الكيلِ أو الوزْنِ حتى لا يَتمكّنَ من غِشّهِمْ بأيّةِ وَسيلةٍ ، وإنّ التّجّارَ الخائنينَ لاَ يَغُشّونَ إلاّ الجهلاءَ أو المُتساهِلينَ في حُقوقِهِمْ . فقالَ التّاجرُ : التحرّي أمرٌ لازمٌ لكلّ مُشترٍ ، ما دامَ غيرَ واثِقٍ بالبائعِ ، وَليسَ بتاجرٍ أمينٍ مَنْ يجتنِبُ الغشّ خوفًا منْ مُراقبةِ المُشترينَ ، إنما الأمينُ مَنْ يُراقبُ اللهَ تعالى ويتيقنُ أنّهُ يُجازي كلَّ امرِئٍ بما عمِلَ إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ — فقال القرَوِيُّ مثلكَ لابُدّ أنْ تكونَ تجارَتُهُ رائِجَةً وإقبالُ النّاسِ عليهِ شديدًا — فقالَ بدأتُ في الاتجارِ بما لا يَبلغُ عشرةَ جُنيهاتٍ ، وإني أتّجرُ الآنَ فيما يَزيدُ على ألفيْ جُنيهٍ ، وعِندِي رأسُ مالٍ لا يَفنَى وهوَ الذّمّةُ والأمانةُ والشّرفُ وثِقةُ

النَّاس — فقال القَروِيُّ : هَنيئًا لكَ فقَدْ كسَبْتَ بِشَرَفِكَ وأَمانَتِكَ مَيلَ النَّاسِ وعَظِيمَ الثَّروَةِ ورِضَا اللهِ تعالى

﴿ ١١ — الحَلِف ﴾

(١) طُلِبَ تلميذٌ لِيُؤَدِّيَ شهادَةً أَمامَ ناظِرِ مدرَسَتِه ، فَصَدَّرَ شَهادَتَهُ باليَمِينِ ، فوَبَّخَهُ النَّاظرُ ولمْ يَقبَلْ شَهادَتَهُ . وقال لهُ : إنَّ الحَلِفَ منْ غيرِ طلَب، عُنْوَانُ الكَذِبِ ، وإذا كُنْتَ واثِقًا بِصِدْقِ قَوْلِكَ ، ولمْ نَطلُبْ منكَ الحَلِفَ ، فَلِماذَا تحْلِفْ ؟ ثمَّ طلَبَ تِلميذًا آخرَ فأدَّى الشَّهادَةَ منْ غيرِ يَمِينٍ — فقال لهُ النَّاظرُ أحَقٌّ ماقُلْتَ قال نعمْ — فقال أتحْلِفُ ؟ قال لا — فقال ولِماذَا ؟ قال لأَنَّ أُستاذِي نَهانِي عنِ الحَلِفِ ، وأَمرَنِي أنْ أقولَ الصِّدْقَ لِي أَوْ عليَّ ، فَقَبِلَ شَهادَتَهُ وقال نِعمَ التِّلميذُ أنتَ وَنِعمَ الأُستاذُ أُستاذُكَ

(٢) ودَخلَ أحَدُ العقلاءِ دُكَّانَ تاجِرٍ لِيَشترِيَ منهُ بِضاعةً

واختارَ الأصنافَ التي يريدُ شِراءها ، ثمّ أخذ يُساوِمُ التاجرَ في الثمنِ ، فرآهُ يحلِفُ كثيرًا فتركَهُ ولم يأخذْ منهُ شيئًا : وقالَ لرفقتِهِ : إنّ حلِفَ التاجر من غيرِ مُقتضٍ علامةُ غِشِّهِ وكذبِهِ

(٣) وأُعجِبَ رجلٌ بِشكلِ امرئٍ فأرادَ أنْ يتخذهُ صديقًا لهُ فسألَ عنْ أخلاقِهِ ليقفَ على سيرتِهِ قبلَ مُصادقتِهِ فقيلَ لهُ إنّهُ حلّافٌ (أيْ كثيرُ الحلِف) فعدلَ عنْ اتخاذِهِ صديقًا قائلًا إنّ الأيمانَ الكثيرةَ دليلٌ على ضعفٍ في النفسِ ودناءةٍ فيها فيتخذُ الإيمانَ لتقويتِها ورفعةِ شأنِها . ولمّا كانَ الحلِفُ يُقلّلُ مهابةَ الإنسانِ ويُضعِفُ ثقةَ النّاسِ بهِ ، نهى اللهُ سبحانَهُ وتعالى عنهُ إلا عندَ الحاجةِ فقال (ولا تجعلوا اللهَ عُرضةً لِأيمانِكمْ أنْ تبرّوا وتتقوا وتُصلِحوا بينَ النّاسِ) أيْ لا تكثِروا الحلِفَ باللهِ تعالى لِتكونوا بارّينَ مُتقينَ ، ويَعتمِدَ عليكمُ النّاسُ فتُصلِحوا بينهمْ ، لأنّ في ذلكَ جُرأةً على اللهِ تعالى وإضعافًا لثقةِ النّاسِ بكمْ . وقدْ قال الإمامُ

الشّافعي (ما حلفتُ باللهِ صادقًا ولا كاذبًا) وإذا لاحظتم أحوالَ النّاسِ الآنَ ترونَ أنّ الخاصةَ والعقلاءَ لا يحلفونَ وأنّ كثرةَ الأيمان منتشرةٌ بينَ العامةِ والجهلاء ، لأنهم لا يخشونَ اللهَ ويظنّونَ أنهم لا يُصدّقونَ إلا بالحلفِ . وإذا دعتِ الحالُ إلى الحلفِ ، فلا يحلفُ أحدُكم بأبيهِ أو جدّهِ أو ذمتهِ أو شرفهِ أو النبيّ أو الوليّ كما يفعلُ العوامُّ ، فإنّ الدّينَ لا يجيزُ الحلفَ إلا باللهِ تعالى ، فقد جاء في الحديثِ الشريفِ « ألا إنّ اللهَ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كانَ حالفًا فليحلفْ باللهِ أو ليصمتْ » — وإذا حلفَ أحدُكم ليفعلنّ أمرًا من الأمورِ فإن كانَ خيرًا أمضاهُ وإن كانَ شرًا رجعَ عنهُ وكفّرَ عن يمينهِ بإطعامِ عشرةِ مساكينَ أو كسوتِهم أو صيامِ ثلاثةِ أيامٍ إن عجزَ عنِ الأوّلينَ ، وتجنّبُ الحلفِ ، وتعوّدُ الصّدقِ خيرٌ وأولى

﴿ ١٢ — مُقابلةُ الإساءةِ بالإحسانِ ﴾

منَ النّاسِ الحليمُ والغضوبُ ، والكريمُ واللئيمُ ، والمتكبرُ والمتواضعُ ، والبشوشُ والعبوسُ : طِباعٌ مُختلِفةٌ وأخلاقٌ مُتبايِنةٌ ، والكلُّ في حاجةٍ إلى الائتلافِ والمودّةِ والمُصافاةِ والمُصادقةِ ، إذْ لا غِنَى لأحدٍ عنْ غيرِهِ ، فأحسنُهُمْ وأنجحُهُمْ في الحياةِ مَنْ قدَرَ على تألُّفِ النّاسِ واستمالتِهِمْ إليْهِ وأهمُّ طريقٍ إلى ذلكَ الإحسانُ إلى مَنْ أساءَ إليْكَ : فتَصِلُ مَنْ قطعَكَ وتُعطِي مَنْ حرمَكَ ، وتعفو عمَّنْ ظلمَكَ ، وأنْ تعمَلَ بقوْلِ الشّاعرِ

أُحِبُّ مكارِمَ الأخلاقِ جُهْدِي
وأكرَهُ أنْ أَعِيبَ وأنْ أُعابا

وأصفحُ عنْ سِبابِ النّاسِ حِلْماً
وشَرُّ النّاسِ مَنْ يَهوَى السِّبابا

فإنْ شتَمكَ سفيهٌ أغضيْتَ عنهُ وتذكّرْتَ قوْلَ الشّاعرِ:

إذا نَطَقَ السفيهُ فلاَ تُجبْهُ ... فَخيرٌ من إجابَتِهِ السكوتَ

هذهِ الطَّرِيقةُ — طريقةُ الإحسَانِ إلى مَنْ أسَاءَ إليْكَ تأسِرُ قلوبَ أحْبَابكَ وتُصيِّرُ أعْدَاءكَ أصْدِقاء قال الله تعالى: (ولاَ تَستَوِي الحَسَنةُ ولاَ السيِّئَةُ ادْفعْ بالّتي هِيَ أحْسَنُ فإذا الذي بَيْنكَ وبينَهُ عَدَاوَةٌ كأنَّهُ وَليٌّ حَمِيمٌ) أيْ لَيْسَتْ السيِّئَةُ مثْلَ الحَسنةِ فإنَّ الحَسنةَ تترتّبُ عليْها المودَّةُ والألفةُ ويُثيبُ اللهُ فاعِلَها، والسيِّئةَ يترتّبُ عليْها النفورُ والشقاقُ، ويُعاقِبُ اللهُ عليْها، فقابِلْ سيِّئةَ منْ يُسيءُ إليْكَ بالإحْسانِ إليْهِ

شَتَمَ رجُلٌ الشّعْبيّ فقالَ له الشّعبيُّ: إنْ كُنْتُ كما قلْتَ فغفرَ اللهُ لي، وإنْ لمْ أكُنْ كما قلْتَ فغفرَ اللهُ لكَ، وقال رجلٌ للأحْنفِ في مُشاجرَةٍ وقعَتْ بيْنهُما: لوْ قلْتَ لي كلِمةً لسمِعْتَ عَشْرَ كلِماتٍ — فقال الأحنف: لوْ قلْتَ عشْراً لمْ تسْمع واحِدَة.

وكانَ أهْلُ مكةَ يؤذُونَ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلم قبْلَ الهجْرَةِ أشدَّ الإيذاء، فلمّا نصرَهُ اللهُ عليْهِمْ وفتحَ مكة. قامَ فيهِمْ خطيباً فحمِدَ اللهَ وأثْنى عليْهِ. ثم قالَ لهمْ: ما تقولونَ

وما تَظنّونَ أنّى فاعلٌ بكمْ؟ فقال أحدُهمْ: نقولُ خيرًا ونظنُّ خيرًا: أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ. وقدْ قدرْتَ — فقال أقولُ لكمْ كما قال أخي يوسفُ: (لاَ تثريبَ عليكمُ اليومَ يغفرُ اللهُ لكمْ وهوَ أرحمُ الرّاحمينَ)

❊ ١٣ — الولدان ❊

(الأب)

فضلُ الأبِ — أىْ بُنىّ. لاَ يُنكرُ ضوءَ الشّمسِ إلاّ مَنْ فى عينيهِ رَمَدٌ كما أنّهُ لا يجحدُ فضلَ الأبِ إلاّ منْ ختمَ اللهُ على قلبهِ وإنى أعيذُكَ باللهِ أنْ تكونَ منَ الفئةِ المطرودةِ منْ رحمةِ اللهِ تعالى، أىْ بُنىّ: إنّ الأبَ إنْ لمْ نحترمْ لأنّهُ مصدرُ وجودِنا فلْيُحترمْ لِما يبذلُهُ منَ النّصَبِ لراحتِنا والشّقاء لِسعادتِنا، إنْ كنتَ ممّنْ يصعبُ عليهمْ معرفةُ الأشياءِ بأنفسِهمْ فاسألْ منْ تشاءُ — سلِ التّاجرَ لمَ تُبكّرُ إلى دُكّانِكَ وتقضى فيهِ عامّةَ نهارِكَ وجزءًا ليسَ باليسيرِ منْ ليلكَ، مُجدًّا فى ترويجِ

تجارتك وإذاعة اسمك بين الناس — سل الصانع لماذا أنت باذلٌ وسعك في إتقان صنعتك، مهتم بمنافسة غيرك، وإن كلفك ذلك من العناء مالا قبل لك به — سل الجندي لأي شيء تقف ليلك ونهارك في المحافظة على أعراض الناس وأموالهم ودمائهم، بل لماذا أنت معرض حياتك للخطر — سل الزارع لماذا تسهر ليلك والناس نيام وتقاسي ألم الحر اللافح والبرد النافح، في حرث الأرض وزرعها وإروائها والعناية بأمرها — سل الصياد لماذا تقضي ليلك على شاطئ البحار، وسواحل الأنهار عرضة للحيوانات الضارية، والبرد القاتل، وانتقل من هؤلاء إلى غيرهم ترَ الجواب واحدًا، ألا وهو: أولادي أولادي، فلذة كبدي، ريحانة نفسي، برؤيتهم يزول بؤسي، وأنسى الآمي، وإذا سألنا هؤلاء لم تتعبون أنفسكم لراحة أولادكم؟ وما الذي تنتظرونه منهم؟ أجابونا نحن لا نود إلا محبتهم لنا، وميلهم إلينا وبقاءهم سالمين — يا للعجب يتعب الآباء أنفسهم لراحتنا ونحن نضن عليهم بالمحبة

والاحترام مع أنا لا نتكلف في ذلك شيئاً ، ما أشفق الأب وما أرحمه . يعترض ولده ذئب في الطريق فيعرض نفسه له ويحفظ ولده ، يصيب ولده مرض من الأمراض ، فيشتت فكره وينفق دراهمه في المحافظة على صحته وتخليصه مما ألم به ، ترى الرجل أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه لا يرضى بهذا لابنه فيبذل كل ما في وسعه ، ويضيق على نفسه ليعلمه ويحفظه من الجهل وآفاته — أنا معتقد أنكم تقولون : إننا نحب آباءنا ونحترمهم ولا ننسى متاعبهم ومشاقهم ، وإننا سنبذل كل ما في طاقتنا لمساعدتهم متى قدرنا على ذلك . وأنا أقول لكم ، إن هذا من علامات رضا الله عليكم وأمارات نجاحكم ، فما أجل فضل الوالد وما أعظمه

طاعة الأب — بني : ترى المريض يذهب إلى الطبيب ليعالجه فتارة يصف له شرابا مرا ، وأحيانا يشق له جسمه وآونة يقطع عضوا من أعضائه ، وهو في كل ذلك يتألم ويستغيث ، والطبيب مستمر في عمله ، ومع هذا كله تراه

يُثنى عليه وقد يُعطيه أَجرَهُ مُضاعفاً ، السرُّ في هذا أنّ المريضَ يعلمُ أنّ الطبيبَ يعملُ ما يعملُ لمصلحتِهِ ، وللوصولِ إلى شفائِهِ فهو لا يسأمُ منهُ ولا يتضجّرُ وإن أغلظَ لهُ في القولِ وآلمَهُ في العمل

فأنتَ أيُّها الولدُ كالمريضِ ووالدكَ كالطبيبِ ، فإذا رأيتَ منهُ شدّةً أو قسوةً ، فاعلمْ أنّ ذلكَ لإزالةِ ما بكَ من مرضِ الكسلِ والإهمالِ ، ولتطهيركَ من الأخلاقِ السيّئةِ والصفاتِ الرديئةِ ، فلا تخالفْ لهُ أمراً ، وإن شقَّ عليكَ ، ولا تتأفّفْ منهُ وإنْ آلمكَ ، واعلمْ أنّ ذلكَ منهُ رحمةً بكَ وشفقةً عليكَ .

فقسا ليزدجروا ومَنْ يكُ حازماً
فليقسُ أحياناً على مَنْ يرحَمُ

أيْ بُنيّ إنّ والدكَ يتمنّى لكَ أنْ تكونَ أكملَ النّاسِ وأحسنَهُمْ ، وإنّهُ ليُسَرُّ إذا رآكَ محبوباً ممدوحاً ، كما أنّهُ يتألّمُ لألمكَ ولا يؤذيكَ إلاّ مُرغماً ، انظرْ ما كتبهُ بعضُ الآباءِ لمعلّمِ ولدِهِ واستنبطْ منهُ مقدارَ الرحمةِ بكَ والشفقةِ عليكَ :

تَرْكَ الصَّلَاةَ لِأَكْؤُبٍ يَلْهُو بِهَا
طَلَبَ الْهِرَاشِ مَعَ الْغُوَاةِ الرُّجَّسِ

فَلَيَأْتِيَنَّكَ غَادِيًا بِصَحِيفَةٍ
يَغْدُو بِهَا كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ

فَإِذَا أَتَاكَ فَعَضَّهُ بِمَلَامَةٍ
أَوْعِظْهُ مَوْعِظَةَ الْأَدِيبِ الْكَيِّسِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا فَعَلْتَ فَإِنَّهُ
مَعَ مَا يُجَرِّعُنِي أَعَزُّ الْأَنْفُسِ

وقال بعضُ الشعراء

وإنما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشى على الأرض

ومنْ هذا تفهمُ مقدارَ محبةِ الآباءِ لأبنائِهم فتجتهدُ في طاعةِ ما يأمرونَ بهِ واجتنابِ ما ينهونَ عنهُ

احترام الآباء — أبلى بعضُ القوادِ بلاءً حسنًا في واقعةٍ منَ الوقائعِ ورأى أهلُ وطنِهِ أنْ يحتفلوا بهِ عندَ عودتهِ

شُكْرًا لهُ على عمَلِهِ. فأعدُّوا لهُ مَوْكبًا حافِلاً اجْتَمعَ فيهِ منْ كلِّ طبقَاتِ الأُمَّةِ عدَدٌ لاَ يُحْصَى، وبَيْنما كانَ ذلكَ المَوْكِبُ سائرًا فى شَكلِهِ الْبَهيجِ، والقائِدُ رَاكِبٌ فى عربَتِهِ وحوْلَهُ الجُنودُ والضبّاطُ إِذْ أمرَ بإِيقافِ العرَبةِ ونَزلَ منها، وسارَ على رِجلَيهِ مُختَرِقًا الصفُوفَ حتى وصلَ إلى رَجُلٍ كبيرِ السِّنِّ ضئيلِ الجِسمِ، يظهرُ عليهِ أنّهُ منَ الطَّبقةِ المُتَوسِّطةِ، فسلَّمَ عليْهِ وقبّلَ يدَهُ، ثمَّ عادَ إلى عرَبَتِهِ وسارَ فى مَوْكبِهِ، فعَجِبَ النّاسُ لذلِكَ الحادِثِ، وصارُوا يتَساءلونَ مَنْ هذا الرَّجُلُ؟ ومَا الذِى عملهُ حتى استَحقَّ ذلكَ التبْجيلَ والاحتِرَامَ؟ أظنُّ أنّكمْ مُشْتاقونَ كهؤُلاءِ النّاسِ إلى معْرِفةِ هذا الرَّجُلِ — هٰذا الرَّجلُ هوَ أبو ذلكَ القائِدِ، وهٰذا العَملُ الذى عملهُ القائِدُ هوَ الاحترَامُ بعَيْنِهِ يترُكُهُ المُحتَفِلِينَ بهِ. ثمَّ ينزِلُ منْ عربَتِهِ ويَسيرُ على رِجليهِ حتّى يَصلَ إلى ذلكَ الشيخِ الفَانِى، ويُقبِّلُ يدَهُ ثمَّ يَرْجعُ إلى مَكانِهِ، نعَمْ هٰذا العَملُ هوَ الاحتِرَامُ بعَيْنِهِ.
إنّى مُعتَقِدةٌ أنّكمْ مسرُورُونَ منْ عملِ ذلكَ القائِدِ مُعْجبُونَ بهِ.

أيُّها التَّلاميذُ: احترِمُوا آباءَكم في الصِّغَرِ لتَعتادُوا ذلكَ في الكِبَرِ (ومَنْ شبَّ على شيْءٍ شابَ عليهِ) أيُّها التَّلاميذُ: احترِمُوا آباءَكمْ ولاَ تَنظُرُوا لِعلمِهِمْ ولا لجَهلِهِمْ، ولاَ لِفقرِهِمْ ولا لِغِناهمْ، بَلِ احترِمُوهمْ لأنَّهمْ آباؤُكمْ. أيُّها التَّلاميذُ: احترِمُوا آباءَكمْ لأنَّ اللهَ أمَرَكمْ باحترامِهِمْ

﴿ الأُمُّ ﴾

شَفقةُ الأُمِّ وفضلُها — مَرِضَ ولَدٌ صغيرٌ، فَبدَتْ على وجهِ أمِّهِ آثارُ الكآبةِ والحُزنِ. دَمعُها سائلٌ، وقلبُها مُضطربٌ، ولونُها مُمتقِعٌ، وفِكرُها مُشتَّتٌ تبيتُ ليلَها ساهرةً، لاَ تأكلُ إلاَّ ما تَسُدُّ رَمَقَها وتَحفَظُ حَياتَها، استمرَّتْ كذلكَ مُدَّةً طويلةً حتى رَثَى لها كلُّ مَنْ رآها. ولمَّا أذِنَ اللهُ لذلكَ الطِّفلِ بالشِّفاءِ تَحوَّلَ بُؤسُها نَعيماً، وحزنُها سُرُوراً: ثغرٌ باسِمٌ، ووَجهٌ مُشرِقٌ، وسِنٌّ ضاحكةٌ، وصدرٌ مُنشرِحٌ

ورأيتُ فلاَّحةً تحمِلُ جرَّةً مَلأَى بالماءِ، ومعَها طِفلُها تحمِلُهُ

على يَدِها اليُسْرَى وتُرْضِعُهُ وهىَ سائِرَةٌ فى الطَّرِيقِ ضاحِكَةُ السِّنِّ مَسْرُورَةٌ بهِ ، ولمْ تقبَلْ أَنْ تترُكَهُ فى البَيْتِ حتى نَعُودَ شَفَقَةً عليهِ ورَأْفَةً بهِ — ماأشفَقَ الأُمَّ . وماأَرْحَمَ قَلْبَهَا. هٰذِهِ الشَّفَقَةُ عامَّةٌ فى كلِّ الأُمَّهاتِ لافَرْقَ فيهَا بيْنَ المَلِكَةِ فى قَصْرِها، والفلاَّحَةِ فى كوخِها ، والبائِعةِ فى سُوقِها — انْظُروا إلى أُمَّهاتِكم ومَا يُقاسِينهُ كلَّ يَوْمٍ مَعَ إخْوَتِكم الصِّغارِ . لاَحِظوا إذا كانَتْ امُّكمْ معَ جماعَةٍ منَ النِّساءِ وبَكى أخُوكُمُ الصَّغيرُ أَتَرَوْنَ أنَّ أحَدًا يَسْمَعُ بُكاءَهُ قَبلَ أنْ تَسْمَعَهُ ، وهَلْ تَرَوْنَها تبْقَى فى مكانِها بعدَ ذَلكَ . ألاَ تَرَوْنَها تقُومُ مُسْرعةً إلى ولدِها تاركةً كلَّ عمَلٍ فى يَدِها — وإذَا ضاعَ ولدٌ صَغيرٌ فماذا يكونُ حالُ أُمِّهِ . أظُنُّكمْ رَأيتمْ بعضَ الأُمَّهاتِ ذَاهلةَ العَقْلِ سائِرَةً فى الطَّرِيقِ تُنادِى بأعْلَى صَوْتِها ودَمْعُها سائِلٌ ، وكلُّ النّاسِ يُشْفِقونَ علَيْها ويَسْعَوْنَ فى مُساعَدَتِها ، وذلكَ لِعلْمِهمْ بِشِدَّةِ شَفَقَتِها ورَأْفتِها . أتَظُنُّونَ أنَّ هذِهِ المرْأةَ تأكلُ أَوْ تَشْرَبُ أو تَنامُ قَبْلَ أنْ تجِدَ ولدَها إنَّ هٰذا لاَ يكونُ أبَدًا — أىْ بُنَىَّ

مَنِ الذِي علَّمَكَ الحبْوَ والمَشْيَ . مَنِ الذِي علَّمَكَ النُّطقَ والكلامَ مَنِ الذِي عَلَّمكَ الأَكلَ والشُّربَ . مَنِ الذِي رَبَّاكَ ونمَّاكَ . مَنِ الذِي غَسَلَ ثِيابَكَ وخاطَها . مَنِ الذِي يُهيّئُ لكَ الآنَ كل وَسائِلِ الرَّاحةِ — أَظنُّ أنَّ الجَوابَ على هذا كلِّهِ لاَ يكونُ سِوَى (الأُمّ) إنَّ مَنْ يَعمَلُ هذهِ الأعمَالَ الهَامّةَ يَستَحِقُّ العِنايةَ الكُبرَى والاحترَامَ التَّامَّ

طاعة الأُمَّهاتِ — مَرِضَ ولَدٌ صَغير فأمَرَ الطّبيبُ أُمّهُ أَنْ تمنعَهُ منَ الأَكلِ فاجتَهدَتْ فى تَنْفيذِ أمْرِ الطّبيبِ، ولكنْ الوَلَدُ صارَ يُلِحُّ عليْها لتُعْطيَهُ تُفّاحةً وهِىَ تَمتَنعُ منْ إعطائِهِ . وبَعْدَ بُرْهَةٍ جاءتْ اختُهُ الصّغيرَةُ وطَلبَتْ منها تفّاحَةً فأعْطتْها إيّاها فَبَكي وبَكَتْ أُمُّهُ بكاءً مُتوَاليًا فقالَ الوَلدُ يا أُمّاهُ أنا أَبكي لأنكِ أعطَيْتِ أُخْتي تفّاحَةً ولمْ تعطى ولِمَاذَا تَبكِينَ أَنْتِ ، فقالَتْ لهُ إنّى أَبكي لأنكَ مَرِيضٌ مَمنوعٌ مَنْ أنْ تأكلَ التُّفّاحَةَ كأُختِكَ — ومَرِضَ تِلميذٌ فأمَرَهُ الطّبيبُ أَنَ يَبْقَى فى البيتِ ثمانيَةَ أيّامٍ وبعدَ مُضِيِّ خمْسَةٍ مِنها جاء،

إِخوَانهُ فرَأَوا صِحتهُ جَيِّدَة ، فرَغبُوا أنْ يُرَافِقهُمْ في نُزْهَةٍ أَزْمَعُوا علَيْها وكانَ منْ عادَتِهِ أَنْ يُرَافِقَهُمْ فيها ، فذَهَبَ إِلى أُمِّهِ وأَخبرَها الخبرَ ، فأظهَرَتْ لهُ مقدَارَ الضّرَرِ الذِي يَنجُمُ منْ مخالَفةِ الطَّبيبِ ، ومَنَعَتْهُ منَ الخُرُوجِ ودَمعُها منْحَدِرٌ فتألَّمَ من ذلكَ ، وذَهبَ إلى إخوَانهِ وأخبرَهمْ أَنّ والدَتهُ مَنعتْهُ منْ هذهِ النزْهَةِ الجميلةِ وذَكرَ لهمُ السَّبَبَ فأبانُوا لهُ مِقدَارَ ما عملَتْهُ أُمهُ وأنها تَبغي راحتَهُ وسَعادَتَهُ ، فاقتنعَ بذلكَ وَعلمَ أنَّ هذا المَنعَ لَمنفعتِهِ — واعتادَ ولدٌ عدَمَ ترتيبِ ثِيابهِ وأَدَواتِهِ : فإذا جاءَ منَ المَدْرَسَةِ رَمى حِذَاءَهُ في جهَةٍ . وَحُلّتَهُ في جِهَةٍ أُخرَى ، وكُتُبَهُ في ناحيَةٍ وكُرّاساتِهِ في ناحيَةٍ أُخرَى ، ثمَّ إِذَا أَرادَ الذَّهابَ إلى المدْرَسَةِ يَبحَثُ هوَ ويُكلِّفُ كلّ مَنْ في البيتِ بالبَحثِ معهُ عَنْ هذِهِ الأَشياءِ ، فنَصَحتْهُ أُمُّهُ مِرَارًا فلمْ يَنجعْ ذلك فضَرَبَتْهُ مرَاتٍ حتى صارَ النِّظامُ لهُ عادَةً فتألَّمَ منَ الضَّرْبِ ولكِنهُ لمّا عرَفَ النَّتيجَةَ شكرَها على عملِها مِمّا تَقدَّمَ تَرَوْنَ مِقدَارَ شَفقَةِ الأُمّ وأَنّها إِنْ عمِلَتْ أَمرًا يُخالِفُ

الشفقة في الظاهر ، فإنه لا يخالفها في الباطن . حافظوا على نصائحها وامتثلوا أوامرها وإن كانت شاقة ، فإنها ساعية في صلاحكم وتكميلكم والله تعالى يتولى هداكم

احترام الأمهات — هب (١) محمودًا أتى من المدرسة إلى البيت متأخرًا عن عادته . فقالت له أمه : أين كنت ياولدى فأجابها لا تسأليني عن ذلك فليس هذا من شأنك ، أتستحسنون جوابه وتقولون إنه ممن يحترمون أمهاتهم . أنا معتقدة أنكم تستقبحون عمل هذا الولد وتكرهون جوابه كما أني معتقد أن مثل ذلك لا يحصل وإنما هذا مثال فرضي فقط

(٢) أعجبت جارة ببنت جارتها ، وكانت تمدحها كثيرًا لأنها تراها مؤدبة في الطريق ، وتسمع منها أن المعلمات يثنين عليها ، فصادف أن وجدت عندها جارتها في يوم مطير فسمعت أمها تقول لها اذهبي يا بنتي إلى السوق واشترى لنا شيئًا قد عينته لها — فقالت البنت أنا لا يمكنني أن أخرج

(١) أي افرض ذلك وقدره

فى المَطر ، ولماذا لم تخبريني قبلَ الآن ؟ قالت لها يابنتي ما كُنتُ أعلمُ أنَّنا فى ضَرُورةٍ إلى هذا الشيء . فدهشتِ الجارةُ من ذَلكَ وقالت : ياسُبْحانَ اللهِ : أتَكونُ البِنتُ مُؤدَّبةً فى الطَّريقِ مُؤدَّبةً فى المدرسةِ ولا تَكونُ مُؤدَّبةً فى البَيتِ ؛ إنّ هذا لَشيءٌ عَجيبٌ ؛ يَجبُ أنْ تَكونَ البِنتُ مُؤدَّبةً فى البَيْتِ قبلَ كلِّ شيء فإنْ لم تَكنْ كذَلكَ فلا عِبرةَ بهذا الأدَب : إنَّكم ستَحكُمُونَ على هذهِ البنتِ أنَّها غيرُ مُؤدَّبةٍ ولا تُحبُّونَ أنْ تَكونَ لكُمْ أخَواتٌ على هذا النَّحوِ . قدْ تَكونُ الأُمُّ جاهِلةً بالواجبِ عليها ، لا تَعرِفُ نِظامَ البَيْتِ ولا تَربيهَ أولادِها وتُرزَقُ بأولادٍ وبَناتٍ قدْ تَعلَّمُوا وتَهذَّبوا . افرِضْ أنكَ ابنٌ لوَاحِدَةٍ منْ هؤلاء فماذَا تَصنعُ معَها ؟ أتَهزأُ بِها وتَسخَرُ بأوَامِرِها . أمْ تُرشِدُها باللُّطفِ واللِّينِ . أمْ تَكلُ ذلكَ إلى مَنْ هُمْ أكبرُ مِنكَ سِنًّا وأوسَعُ عَقلاً ؟ أظُنُّ أنكَ ستُساعِدُها بكلِّ ما يُمكِنُكَ معَ إظهارِ الاحترامِ لها وعدمِ الاشمئزازِ

من أعمالها — أذكر لك حكاية عن سيدنا على بن الحسين تفهم منها كيف كان الناس يحترمون أمهاتهم . وأكتفى بتلك الحكاية ففيها الكفاية : كان سيدنا على بن الحسين من أطوع الناس لأمه . وكان لا يأكل معها فى اناء واحد . فقال له أصحابه : إنك من أبر الناس بأمك . ولماذا لا تأكل معها فى صحفة واحدة ؟ فقال : أخشى أن تسبق يدى إلى شىء كانت تحب أن تأخذه فأكون قد عققتها ، لله هذا الأدب ما أكمله ! وما أعجبه !

﴿ وصية الله تعالى بالوالدين ﴾

قال الله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)

بالتأمل فى هذه الآيات الكريمة ترى - أولاً أن الله سبحانه وتعالى قرن الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما بالأمر بعبادته وتوحيده سبحانه وفيه إشارة إلى أهمية بر الوالدين وتأكده حتى كأنه جزء من الإيمان. ثانياً حث على حسن معاملتهما فى الكبر، لأنه مظنة التضرر والتأذي منهما، فإن الكبير تصير حاله كحال الطفل. لما يعرض عليه. من العجز عن الكسب ومن الخرف وفساد التصور ثالثاً أنه أمر بخفض الجناح لهما والتواضع، واحتمال ما يصدر منهما مع إظهار المحبة لهما والرأفة بهما. رابعاً أنه أمر بطلب الرحمة لهما منه سبحانه ليكون ذلك كبعض المكافأة على إحسانهما وشفقتهما، وفى الحديث الشريف « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج » وفيه أيضاً « إن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وأفظع الفظائع » وقد أوجبت الشريعة المطهرة نفقة الوالدين الفقيرين على أولادهما - فلأى سبب كان للوالدين هذه المنزلة؟ وكان

عقوقهما موجباً لغضبه تعالى وعموم سخطه وشديد عقابه ؟ إنك لو تأملت ما يقاسيه أحدهما فى تربية ولده . ومقدار شفقته وحنوه عليه ، والنعم العديدة التى أسداها إليه ، لتبين لك السبب الذى استحقا من أجله تلك العناية الإلهية ، وحكمت بأن هذا أمر يوجبه العقل ، وتقضى به الشهامة والمروءة

طاعة أولى الأمر

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)

طاعة الله ورسوله تكون باتباع الشرع الشريف ، واجتناب منهياته ، وأولو الأمر كل من لهم الولاية عليك من والديك ومعلميك وأساتذتك وحكامك . ينشأ الطفل جاهلاً بما يحيط به ، وبكل ما ينفعه وما يضره حتى إنك لتراه يمد يده إلى النار الملتهبة ليمسكها ، وإذا حالت بينه

وبينها بكى كأنك منعته من لذة عاجلة. يأمر الوالد ابنه بغسل عينيه بالصابون فيتبرم قائلاً: إن الصابون يحدث في العين ألماً. ويستحسن أن يبقى بدون غسل والخطر محدق به — يحث الرجل ابنه على الاشتغال بدروسه فيعد ذلك قسوة منه، فلا يشتغل إلا إذا كان حاضراً، وكلما رأى فرصة للإهمال أهمل — يأمر القائد جنوده في الليل الحالك والبرد القارس بمهاجمة العدو فيظنون أن ذلك منتهى الجبروت فيجتهدون في التباطؤ أو الهرب، وما علموا أن في ذلك راحتهم الدائمة وسعادتهم المستقبلة — هذه الأعمال وأمثالها تحدث كثيراً، ونعلم أن عاقبتها سيئة ونتيجتها شنيعة، ولكننا مع ذلك نحجم عنها — والسر في ذلك أننا نفضل المنفعة الوقتية على المنفعة المستقبلة. وأننا ننسى أن من لهم الولاية علينا هم أكبر منا سناً وأكثر منا خبرة وتجربة فهم أدرى منا بالمستقبل — أصحاب الولاية والسلطان علينا، والمتصرفون في أعمالنا، لا يأمروننا إلا بما فيه مصلحتنا

وفائِدَتُنا — تَبَصَّرُوا فى أَوَامِرِ والدِيكمْ ومُعلّميكُمْ هَلْ تَرَوْنَ فيها شيئاً في غيرِ فائدَتِكمْ ومَنفعتِكمْ . قيسُوا عليها مالمْ تَرَوْه من أوَامرِ الأميرِ لرَعيَّتِهِ والمُدِيرِ لمَرْؤوسيهِ ، والطَّبيبِ لمَرْضاه وهكذا؛ أَيَنْتَظِمُ للأُمَّةِ أَمرٌ وتَصلُحُ لَهَا حالٌ إذَا كانَ النَّاسُ يَنْبِذُونَ الطّاعَةَ ولا يَعملونَ بالأَوامِرِ ، وصارَ المَرْؤوسُ لا يُطيعُ رَئيسَهُ ، والجُنديُّ لا يَسمعُ أَمرَ قائِدِهِ ، والوَلدُ لا يَمتثلُ أمرَ والدِهِ ، وَالتّلميذُ لاَ يَعملُ بكلاَمِ مُعلّمِهِ . وهلمَّ جرّا ، أَنا وَاثِقٌ بأنّكَ ستَقولُ إنّ الدُّنيا حينئِذٍ تَكونُ فَوْضَى وإِذَا كانَتْ كذَلكَ فلاَ بَقاءَ لَها

لا تَصلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ
وَلا سَرَاةَ إِذَا جُهالُهُمْ سادُوا

حدُودُ الطّاعةِ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكونَ مُطيعاً فاعمَلْ ما تُؤمَرُ بِهِ بمُجرَّدِ الأمرِ ، ولا تَتلكأْ فى عَمَلِه ، ولا يَمنَعكَ منْ إِنجازِهِ خَفاءُ سَبَبِهِ علَيْكَ فإنَّ عَقلكَ قاصِرٌ لا يمكنكَ أَنْ تُدْرِكَ كلَّ شيْءٍ وإنْ كانَ لاَ بُدَّ منْ مَعْرفةِ السَّبَبِ ، فليكُنْ

ذلكَ بعدَ الفراغِ من العَمَلِ أَوْ أَثناءَ تأدِيَتِهِ ، وإنْ بدَا لكَ وكانَ يخالِفُ رأيكَ ولا يُوافِقُ هواكَ فلا يكونُ ذلكَ داعياً إلى إهمالِ العَمَلِ وتَرْكِهِ ، فقدْ علِمْتَ أنَّ أُولى الأَمرِ أكثرُ منكَ خبرَةً وأدرَى بعوَاقِبِ الأُمُورِ ، إذَا كلِّفتَ بعَمَلٍ فاعملْهُ معَ البَشاشَةِ والسُّرُورِ وإنْ ثقُلَ عليكَ القيامُ بهِ وصَعُبَ عليكَ طريقُ تأديتِهِ : فإنَّ التضجُّرَ منهُ يَزيدُ فى صُعوبَتِهِ ، وإذَا وُكِلَ إليكَ عملٌ فاعملْهُ بأمانَةٍ وإخلاصٍ ، ولاَ تجعَلْ ظاهِرَكَ مخالفاً لباطِنِكَ ، فإنَّنا نرَى بعضَ النَّاسِ يَمتثلونَ أوامرَ أصحابِ السُّلْطانِ عليْهِمْ ويُسْرِعُونَ بتأدِيتِها ولَكِنَّهُمْ لاَ يُؤَدُّونَ ذلكَ عنْ رَغبَةٍ وإخلاصٍ بَلْ نَرَاهُمْ يُؤَدُّونَهُ خالياً منَ الأمانَةِ اللاَّزمةِ والصِّدْقِ الوَاجبِ وأمثالُ هؤلاَءِ لا قِيمَةَ لأَمْتِثالِهِمْ ، ولاَ مَنْفَعةَ لِعَمَلِهِمْ ، ولَكِنَّهُمْ يَعْمَلونَ ذَلكَ نِفاقاً ومَلَقاً ومَهْمَا تَستَّرُوا فلاَبدَّ أنْ يأتى يومٌ يَنْكَشِفُ فيه ماخَفِى ويَظهرُ فيهِ ما اسْتَترَ فيَنْدَمُونَ على عدَمِ الإخلاَصِ والاَستِقامةِ فى أعمالِهِمْ حيْثُ لاَ يَنفَعُ النَّدَمُ . جعلنا اللهُ منَ المخلِصينَ الطائعينَ العاملين بسنة سيد المرسلين وخاتم النبيين آمين



دروس

الديانة والتهذيب

للمدارس الابتدائية

الجزء الرابع

مقرر السنة الرابعة

أقرته وزارة المعارف العمومية

تأليف

مصطفى عناني و عطية الأشقر

المدرس بالمدرسة الخديوية — المدرس بالمدرسة السعيدية

أقر هذا الكتاب صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر
شيخ الجامع الازهر الشيخ سليم البشري رحمه الله

« يطلب من نجيب متري صاحب مكتبة المعارف ومطبعتها »

« الطبعة التاسعة بالمطبعة الرحمانية بمصر في رجب سنة ١٣٤٠ هـ »

(صورة ما كتبه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ سليم البشرى رحمه الله تقريظاً لكتاب دروس الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أكرم أهل الديانة بتهذيب الأخلاق ، ومنحهم إقامة الدليل على أنه الواحد الأحد المحسن الخلّاق ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر الأسرار وأُس الديانة ، وعلى آله وأصحابه الدين نشروا الأخلاق الفاضلة وأدّوا الأمانة . وبعد فقد اطلعت على كتاب الديانة والتهذيب للمدارس الابتدائية صنيع حضرتى الاستاذين الجليلين الشيخ مصطفى عنانى والشيخ عطية الأشقر فوجدته من أنفع التآليف ، وأحسن التصانيف ، صحيح المبنى ، صادق المعنى . جمع من المعارف ما تشتت مع سهولة العباره ، وحسن الإشاره . فلله درّ مؤلفيه ! كم أبدعا فيه . رزقه الله الإقبال والقبول ! انه أكرم مسئول ؟

٤ محرم سنة ١٣٢٩	شيخ الجامع الازهر
٥ يناير سنة ١٩١١	الختم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ . والصلاةُ والسلامُ على رَسولِهِ وآلهِ ، وبعدُ فهٰذا مُقرَّرُ السَّنةِ الرَّابعةِ مِنَ المدَارسِ الإبْتِدائيَّةِ ، فى العَقائِدِ والعِبَاداتِ والأخلاَقِ ، على حَسَبِ آخرِ مِنْهاجٍ أقَرَّتْهُ وزارة المعارف العمومية ، رأَيْنا جَمْعهُ وطَبعهُ رجاءَ الإنْتفاعِ بهِ ، واللهُ يَهْدِى من يشاء إلىٰ صراطٍ مُسْتقيمٍ !

عطية الأشقر . مصطفى عنانى

العقائد

١ — سورة الإخلاص

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

(التفسير)

الأحد الواحد ـ الصمد المقصود فى قضاء الحاجات ـ الكفو المماثل

قالَ الله تعالى إرشاداً للنَّاس إلى ما يجبُ أنْ يَعتَقِدُوهُ فى جانبِهِ تعالى ، وجَواباً عن سُؤَالِ الدينَ طَلَبُوا من النبيِّ عليه الصلاة والسلامُ أنْ يصفَ لهم ربَّهُ

(قلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) الربُّ المَسئولُ عنهُ هو الإلٰهُ الواحِدُ فى ذاتِهِ وصِفاتِه وأفعالِهِ — واتِّصافهُ تعالى بالوحْدَانيَّةِ أمْرٌ جاءَ بِهِ الشَّرْعُ وأثبتَهُ العقلُ : لأنَّهُ لو تَعَدَّدَت الآلهة لَتَخالَفَتْ أفْعالهُمْ لِتَخالف علومِهِمْ وإِرادَاتِهِمْ لِأنَّ كلَّ واحِدٍ منهم بِمقتَضَى كَوْنِهِ إِلٰهاً لهُ السُّلْطان التَّامُّ . على الإيجادِ والإعدام

فى جميعِ المُمكِناتِ ، وبَدَهِيٌّ أَنَّ كُلاً مِنهُمْ يتصَرَّفُ على حسَبِ علمِهِ وإرَادَتِهِ ، ولا مُرَجِّحَ لِنَفاذِ ما يُرِيدُهُ أحَدُهم دُونَ الآخَرِ فتَتَضارَبُ أفعالهمْ فيَفسُدُ نِظامُ الكَوْنِ . بلْ لا يكونُ لهُ نِظامٌ ، بلْ يَستَحيلُ وُجُودُ شَيْءٍ منَ الأَشياءِ (لوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفسَدَتا) والفَسادُ مُمتَنِعٌ بالمُشاهَدَةِ — فهُوَ واحِدٌ لا شريكَ لهُ

(اللهُ الصَّمَدُ) هُوَ الذِي يَلتَجِئُ إليْهِ كلُّ مَخلُوق ، ويقصِدُهُ فى جَميعِ حاجاتِهِ : جَليلِها وحَقيرِها ، وهوَ الغنيُّ عن كلِّ ماسواهُ المُفتَقِرُ إليْـهِ كلُّ ماعدَاهُ ، وهُوَ الذِي يُعينُ على الوُصُولِ إلى المَطالِبِ ، وما سِوَاهُ منَ الشُّفَعاءِ والوُسَطاءِ لَيْسَ فى قُدْرَتِهِمْ أنْ يَصِلوا إلى شَيْءٍ منْ ذلِكَ

وهذا رَدٌّ على مُشرِكِى العَرَبِ وغيرِهم ممَّنْ كانُوا يَعبُدُونَ الأَصنامَ أوْ يَعتَقِدُونَ أنَّ لِرُؤَسائِهِمْ منزِلةً عِندَ اللهِ يَنالونَ بها التَّوَسُّطَ لغيرِهم فى نَيْلِ مُبتَغياتِهِمْ فيَلتَجِئُونَ إليهِم أحياءً أو أَمواتاً ، ويَقُومُونَ بيْنَ أَيدِيهمْ أوعِندَ قُبُورِهم خاضِعِينَ خاشِعِينَ ،

فأبانَ اللهُ لهم في هذهِ الآيةِ أنَّ هؤلاءِ لا يملِكونَ لِأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا، وأنَّهُ هو الذي يُقصَدُ في كلِّ أمرٍ

(لَمْ يلِدْ ولَمْ يُولَدْ) تنزيهٌ للهِ تعالى عَنْ أنْ ينفَصِلَ عنهُ أحَدٌ أو ينفصِلَ هُوَ عن أحدٍ: لِأنَّ ذلِكَ يستدعِي الحُدُوثَ والفَناءَ واللهُ تعالى قديمٌ باقٍ

(ولَمْ يكُن لهُ كُفُوًا أحَدٌ) تنزيهٌ لهُ أيضًا عن أن يكونَ لهُ شبيهٌ أو نظيرٌ، إذْ لو كانَ لهُ مماثِلٌ لتعدَّدَتِ الآلِهَةُ وقَدْ علِمتَ بُطلانَ ذلِكَ فهوَ واحدٌ لا شبيهَ لهُ

اشتمَلَتْ هذهِ السُّورَةُ على توحيدِ اللهِ تعالى وتنزيهِهِ ونفي جميعِ أنواعِ الإشراكِ عنهُ. فبيَّنَتْ أنَّهُ تعالى واحِدٌ لهُ النفوذُ الشامِلُ والتصرُّفُ العامُّ، لا شريكَ لهُ في مُلْكِهِ، كما بيَّنَتْ أنَّ كلَّ النَّاسَ في حاجةٍ إليهِ وهوَ في غِنًى عنهم، ونفَتْ عنهُ المماثِلَ والوَلَدَ والوالِدَ، سُبحانَهُ وتعالى عمَّا يقولُ الجاحِدُونَ علوًّا كبيرًا

﴿ ٢ - آية الكرسى ﴾

(اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولاَ نَوْمٌ لَهُ ما فى السَّمٰوَاتِ وما فِى الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ ولاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ والْأَرْضَ ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وهُوَ العَلِىُّ العَظِيمُ)

(التفسير)

الاله المعبود بحق ـ القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم ـ والسنة النعاس ـ كرسيه علمه ـ يؤوده يعجزه

من هــذهِ الآيَةِ الـكَرِيمَةِ تَعـلَمُ أنَّ اللّهَ تعالى واحدٌ لا شريكَ لهُ فى مُلْكِهِ ، وأنهُ دُونَ سِواهُ المُسْتَحِقُّ لجِمِيعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ . وأَنَّهُ حىٌّ دائمٌ لا يَفْنَى . مُدَبِّرٌ لِخَلْقِهِ ، له السُّلْطانُ المُطْلَقُ والتصَرُّفُ التَّامُّ فى جميعِ المخْلُوقات ، وأَنَّهُ مُنَزَّه عن صِفاتِ الأَجْسامِ فَلاَ يَغْفَلُ ولا يَذْهَلُ ولا يَنامُ ، وأَنَّ السَّمٰوَاتِ والأَرضَ وما بيْنَهما وما فيهما خاضِعةٌ له ، وفى قَبْضَةِ

تَصَرُّفِهِ . قَدْ تَفَرَّدَ بِالكِبْرِياءِ والعَظَمَةِ فَلاَ يَتأَتَّى لِأَحَدٍ أَنْ يَدْفَعَ ماأَرَادَهُ أو يَرُدَّ ما قَضاهُ بشَفاعةٍ أَو نحوِها ، وأَنَّ عِلمَه تعالى مُحيطٌ بِكلِّ شىءٍ . يَعلمُ ما كانَ فى الماضى وما يكون فى المُستَقبَلِ . لا يَعزُبُ عنهُ مِثقالُ ذَرَّةٍ فى الأَرض ولا فى السَّماء وأَنهُ سبحانَهُ هو الحافظُ لِنِظامِ العالَمِ بِقُدْرَتِهِ الكاملةِ وعِلمِهِ المحيطِ ، لا يُعجزهُ شَىءٌ ولا يَشُقُّ عَليْهِ ، وأَنهُ تعالى رَفيعٌ شأْنُهُ ، عَظيمٌ سُلْطانُهُ

﴿ أثر هذه العقائد فى النَّفْس ﴾

إِنَّ مَنْ يَعتقد هذهِ العقائِدَ اعتقاداً حازِماً تَنبَعِثُ نَفسُهُ إِلى التَّصديقِ باللهِ تعالى ، والعَملِ بِشريعَتِهِ ، والوُقُوفِ عندَ حُدُودها ، ويَنْشَرِحُ صَدْرُهُ لِاتِّباعِ ما أَمَرَ بهِ واجتِنابِ ما نهى عنه ولا يَتَصَرَّفُ فى أىِّ عملٍ من أعمالهِ إلاَّ على مُقتَضى حُكمِهِ تعالى وإِرْشادِهِ : فَلاَ يَلْجأُ إِلى أَحد سوى الله ولا يَعتَمِدُ إلاَّ عَليْه . وذلكَ هو الإِيمانُ الكاملُ المُوَصِّلُ إلى السَّعادَتَيْن

﴿٣ — المأمورات والمنهيات﴾

قال الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

خلَقَ اللهُ الإنسانَ ليَعبُدَهُ ويقدِّسَهُ، وليَعمَلَ لِسَعادةِ نَفسِهِ ونَوعِهِ، وبيَّنَ لهُ على لِسانِ رُسلِهِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ طَريقَ الخيرِ والسَّعادةِ، وسَبيلَ الشَّرِّ والشقاء: فَطريقُ السَّعادةِ أنْ يأخُذَ ما جاءَ بهِ الرَّسُولُ فيأتمرَ بأوامرِهِ وينتَهي عمَّا نهى عنهُ، وطَريقُ الشَّرِّ مُخالَفَتُهُ وعدَمُ العَمَلِ بشَريعتِهِ — والأوامرُ والنَّواهي التي جاءتْ بهَا الرسُلُ يُقالُ لهَا شرعٌ أوْ شَريعَةٌ. وكلُّها مَبنيَّةٌ على مَصالحِ العِبادِ ومَنفَعتِهِمْ، فَضلاً منَ اللهِ ونِعمَةً لم يأمرِ الشَّرْعُ بأمْرٍ إلاَّ وفيهِ مصلَحةٌ ومَنفَعَةٌ، ولم ينهَ عَنْ شَيْءٍ إلاَّ وفيهِ مَفسَدَةٌ ومَضَرَّةٌ، غيرَ أنَّ العقُولَ مُتفاوِتَةٌ في إدْراكِ المَنافعِ والمَضارِّ، وأسْرارِ الشَّرْعِ وحِكَمِهِ، فَمِنَ الحِكَمِ ما يَفهَمُهُ العامَّةُ والخاصَّةُ، ومِنْها مالاَ يَعلَمُهُ إلاّ اللهُ والرَّاسِخونَ في العِلمِ. فَما على المرْءِ إلاَّ أنْ يتَّبعَ أحكامَ الشَّرْعِ. ويُحاوِلَ

فهمَ أسرَارها أَو يسألَ عنها أهلَ الذّكرِ (لاَ يكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا)

﴿ أنواعِ المأمُوراتِ والمنهيَّاتِ ﴾

أَنواعُ المأمُورَاتِ ثَلاَثةٌ : فرْضٌ ووَاجِبٌ وسُنَّةٌ

فالفَرْضُ ما يُثابُ على فِعلِهِ ويُعاقَبُ على تَرْكِهِ — ومِنهُ فَرضٌ عيْنٍ وهُوماخُوطِبَ بهِ كلُّ مُكلَّفٍ بذَاتِهِ كالصلاَةِوالصَّوْمِ وفَرْضُ كِفَايَةٍ : وهُوَ ما إذَا قامَ بهِ بَعْضُ النَّاس سقَطَ الإثْمُ عَنِ الباقِينَ : كَرَدِّ السلاَمِ وصلاَةِ الجَنازَةِ

والوَاجبُ ما يُثَابُ على فِعلِهِ ويُعاقَبُ على تَرْكِهِ عِقَاباً أَخَفَّ مِنْ عِقابِ تَرْكِ الفَرْضِ كَصلاَةِ الوِتْرِ

والسُّنَّةُ ثَلاَثةُ أقسامٍ (١) سُنَّة مُؤَكَّدَةٌ وهي ما فعلَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلم وواظَبَ عليْهِ كَصلاَةِ الجماعَةِ وحُكْمُها الثَّوَابُ على الفِعْلِ والعِتابُ على التَّرْكِ (٢) سُنَّةٌ غيرُ مُؤَكَّدَة وهيَ ما تَرَكَهُ النَّبيُّ أحياناً بلاَ عُذرٍ كتثليث الغَسْلِ في الوُضوءِ وحكْمُها الثّوَابُ على الفِعْلِ ولاَ شَيْءَ في التّرْكِ (٣) مندُوبٌ

ويسمّى نَفْلاً ومُسْتَحَبًّا وتَطَوُّعًا : وهوما فَعَلَهُ النَّبيُّ مرّةً أو مرّتين كالإتيانِ بالشهادتينِ بعدَ الوُضوءِ ، وحُكْمُهُ الثّوابُ على الفعلِ ولا شيْءَ في التَّرْكِ

والمَنهيّاتُ نَوْعانِ . مُحَرَّمٌ ومكْرُوهٌ :

فالمُحَرَّمُ ما يُثابُ على تَرْكِهِ لِلامْتِثالِ ويُعاقَبُ على فعْلِهِ كالكَذِبِ والسَّرِقةِ

والمكْرُوهُ قِسْمانِ : مكروهٌ تحريمًا ، يُثابُ على تَرْكِهِ ويُعاقَبُ على فعلهِ بأَخَفَّ من عقاب المُحَرَّم : كالإسْرافِ في الماء حينَ الوضوء — ومكْرُوهٌ تنْزيهًا يُثابُ على تَرْكِهِ ولا عِقابَ في فِعْلِهِ كضَرْبِ الوَجْهِ بالماء في الوضوء . وما عدَا المأمورات والمَنْهيّات مُباحٌ : وهو ما يُخَيَّرُ الإنسانُ بيْنَ فِعْلِهِ وتَرْكِهِ كالتَّمتّع بالأشْياء المُباحةِ مِنْ أكلٍ وشُرْبٍ وزينةٍ . وكلُّ فعْلٍ من أفْعالِ المكَلَّف إمّا أنْ يكونَ فَرْضًا أو واجبًا أو سُنّةً أو مُحَرَّمًا أو مكْروهًا أو مُباحًا . وهذهِ الأَحكامُ يُقالُ لها الأَحكامُ الشّرْعيّةُ ، وتذْكَرُ بالتّفْصيل في عِلمٍ يُقال له علمُ الفِقْهِ

﴿ مأخَذُ علم الفقه ﴾

مأخَذُ هذا العلم الكِتابُ ، والسُّنَّةُ ، والإجْماعُ ، والقِياسُ فالكِتابُ هو القرآنُ الكريمُ . والسُّنَّةُ ما رُوِيَ عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم من قَوْلٍ أو فِعْلٍ أو تَقْرِيرٍ . والإجماعُ هو اتِّفاقُ مُجتَهِدِي أُمَّةِ محمدٍ في عَصْرٍ من العُصُورِ على حُكْمٍ شَرْعِيٍّ . والقِياسُ إثباتُ حُكْمِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ آخَرَ لِتَشابُهِهِما في عِلَّةِ الحُكمِ كَتَحْرِيمِ بَيْعِ الذُّرَةِ بالذُّرَةِ مُتفاضِلاً قياساً على تحْرِيمِ بيعِ الحِنْطَةِ بالحنطةِ مُتفاضِلاً لِتَشابُهِهِما في علة الحكم وهي التماثل

﴿ ٤ — القَتْلُ ﴾

قال الله تعالى (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالحَقِّ) (١)

القتْلُ رأْسُ الخطايا وأُسُّ الخرابِ ، يَهْدِمُ صُرُوحَ المَدَنِيَّةِ ويَدُكُّ أطْوادها . تَقْشَعِرُّ منهُ الجُلودُ وتَنْخَلِعُ من هَوْلِهِ القُلوبُ . وهو دَليلٌ على جُمُودِ القلْبِ وقَسْوَتِهِ بِهِ تَتَيَمَّمُ

(١) أي عند القصاص

الاولاد، وتئيم النساء، ويضطرب الأمن، ما فشا فى أمة إلا ذهبت الثقة من بين أفرادها، وطمع فيها عدوها وقل ناصرها، واستولى عليها من لا يرحمها

القاتل عاص لله سبحانه وتعالى، خائن لبلاده ووطنه الذى يعز بعزه ويذل بذله، ساع فى اضمحلال العالم وفناء الخلق، معرض نفسه للإعدام، وبنيه لليتم والانتقام، لأن من قتل يقتل، وقاتل النفس الواحدة كقاتل الناس جميعا لأن من أقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية السورة والغضب على داعية الطاعة وإذا ثبت الترجيح بالنسبة إلى واحد ثبت بالنسبة إلى كل أحد. لأن كل إنسان يدلى من الكرامة والحرمة بما يدلى به الآخر، ولذلك كان إثمه شنيعا وعذابه أليما. فيجب على من علم بعزم إنسان على قتل آخر أن يمنعه من تنفيذ عزمه كما يمنعه عن نفسه، للمقتول أولياء وأقارب يطالبون بدمه، ولا يهدأ بالهم إلا إذا اقتصوا من القاتل،

والحكومة تعمل جهدها فى الاقتصاص من الجانى لتحافظ على حياة أفراد الأمة (ولكم فى القصاص حياة) — يقال إن بعض القضاة حكم على رجل قد سرق شاة بالحبس الطويل وقال له: إنى ما حبستك هذه المدة لأنك سرقت الشاة وإنما حبستك محافظة على باقى الشياه ولقد اتفقت جميع الكتب السماوية على معاقبة القاتل فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بعذاب النار. وقد نهى الله عنه فى القرآن الكريم فقال. (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وفى الحديث (اجتنبوا السبع الموبقات[1] قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف،[2] وقذف المحصنات[3] الغافلات المؤمنات) فأى عاقل يقدم على القتل ويرضى لنفسه الهلاك فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة، هذا أمر لا يرضاه إنسان ولو كان غير معتقد للأديان

(١) المهلكات (٢) الحرب والقتال (٣) العفيفات

﴿ ٥ — الربا ﴾

قال الله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقومُونَ إلاَّ كما يَقومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ ذلِكَ بأَنَّهُمْ قالوا إِنَّما الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ ربِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ وأَمْرُهُ إلى اللهِ ومَنْ عادَ فأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا ويُرْبِى الصَّدَقاتِ واللهُ لا يُحِبُّ كلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)

(التفسير)

الربا — الزيادة فى المعاملة بالنقود والمطعومات فى القدر أو الأجل — يتخبطه يصرعه — المس الجنون — عاد رجع — الخلود الإقامة وعدم التحول — يمحق يمحو ويذهب البركة — ويربى يزيد ويضاعف — أثيم فاجر

الرِّبا مِنَ الأَشْياء الَّتِى عَمَّ ضَرَرُها، وتَفاقَمَ خَطَرُها، وكَثُرَ التَّعامُلُ بِها حتى تُنُوسِىَ تَحْرِيمُها . أَنْكَرَ قَوْمٌ مِنْ مُشْرِكِى العَرَب تَحْرِيمَ الرِّبا وقاسُوهُ على البَيْعِ فَقالوا (إِنَّما الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا) يُرِيدونَ بِذلِكَ أَنَّهُ كما يَجوز للإِنْسانِ أَنْ يَبِيعَ السِّلْعَةَ التِى ثَمَنُها عشرةَ دَراهِم نَقْدًا بِخَمسةَ عشرَ دِرْهَمًا إِلى

أَجَلٍ يجوز له أَنْ يُعطِيَ شَخْصاً عَشَرَةَ دَرَاهِمَ لِيَرُدَّها إِليهِ بعد سَنةٍ مَثَلاً ثلاثةَ عشرَ درهماً ، فنَفَى اللهُ هذهِ المماثَلَةَ بقولهِ (وأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا) واللهُ تعالى لا يُحِلُّ إلاَّ ما فيهِ المَصلحة ولا يُحَرِّمُ إلاَّ ما هوَ مُحَقَّقُ الضَّرَرِ . فأَحَلَّ البَيْعَ لِأَنَّهُ يُلاَحَظُ فيهِ دائماً انْتفاعُ المشتري بالسِّلْعةِ انْتِفاعاً حقيقياً ومُقابَلَةُ الثمنِ لِلْمَبيعِ مقَابَلَةً مَرْضِيَّةً للبَائعِ والمشتَرِي باخْتيارهما فَيذهبُ كلٌّ منهما فرِحاً بما أَخذ شاكِراً لِصاحبِهِ الذي أَنالَهُ قَصْدَهُ ، وحَرَّمَ الربا لأَنَّ ما يُؤْخَذ فيهِ منَ الزِّيادَةِ لا مقابِلَ له وهي لا تعطَى بالرِّضا والاِخْتيارِ بل بالكُرْهِ والاِضْطرارِ حَرَّمَ الربا لِأَنَّه يَمْنعُ المرَابِيَ عنِ العَمَلِ اعتماداً على ما يَكْتَسِبُهُ بنقودِهِ وهو جالسٌ في مكانهِ ولا يَتحمَّلُ مَشَقَّةَ الاشْتغال بمَنابعِ الثَّرْوَةِ الأَصليَّةِ · الزراعَةِ والتِّجارَةِ والصِّناعَةِ · حَرَّمَ الربا لِأَنَّه يَحْصُرُ الثَّرْوَةَ في أَفْرَادٍ معْدودِينَ ويَقْطَعُ حبْلَ التَّراحمِ والعَطْفِ بينَ النَّاسِ فَلاَ يقْرِض شخصٌ أَخاه ولا يعطيهِ مالَه بدونِ زِيادةٍ عليهِ ، فيُبْغِضُ المحْتاجُ الغنيَّ وتتوَلَّدُ العَدَاوَة

والشحناء . وقد حفظ المسلمون في هذه البلاد أنفسهم من هذه الرذيلة زمناً طويلاً ، إلا أنه من زمن غير بعيد فشت بينهم المراباة فشواً كاد يقضي على ثروتهم حتى إنك لا تجد متمولاً من المصريين سالماً من التعامل بالربا إلا نادراً فتضاعفت المصائب مصائب التعامل بالربا واحتكار الأجانب الأموال . ويا ليت هؤلاء الناس أنفقوا ما أخذوه بالربا فيما يفيدهم أو وقفوا في الاستدانة به عند الضرورة حتى يقال (الضرورات تبيح المحظورات) ولكنهم ينفقونها في سبيل البذخ والرياء ويستدينون لداع ولغير داع حتى ساءت الحال . ولو أننا اتبعنا الدين لحفظنا أموالنا وبقينا لأنفسنا . وقد نهى الله عن الربا وبين عقوبايه أحسن بيان ، ونص على أن مصيره المحو والزوال فقال (يمحق الله الربا) ونص على أن صاحبه مخلد في النار فقال (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولو تأملت البيوت التي تعامل أهلها بالربا وما آلت إليه من الخراب

أَكَانَ لكَ فى ذلكَ أعظمُ زاجرٍ ، وأكبرُ واعظٍ

وا أسفا ، قستِ القلوبُ ، وعميتِ البصائرُ ، فصارتْ لا تؤثّرُ فيها الزواجرُ ولا تنفعُها العِبَرُ ، يرى الناسُ الثروةَ تغيضُ والبيوتَ تُغلقُ ، والأغنياءَ تفتقرُ ، ويتحققونَ الأسبابَ ولكنهم عنْ ذلكَ الخطرِ لا يبتعدُونَ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ!

﴿٦ — السرقة﴾

(والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نكالاً منَ اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)

(التفسير)

النكال العقاب الرادع — العزيز الغالب القوى — الحكيم الذى يضع الاشياء فى محالها

السرقةُ أخذُ الشخصِ مال غيرِهِ خفيةً منْ غيرِ حقٍّ ، وهى منْ دلائلِ الخِسّةِ والدناءةِ ، وعلاماتِ الضعةِ والنذالةِ ، تأباها النفوسُ العاليةُ ، وتتحاماها الأيدِى الطاهرةُ ، ويستقبحُها الشرعُ والعقلُ ، ألم يفكرْ ذلكَ السارقُ أنّهُ مهما اجتهدَ في إخفاءِ حالهِ وسترِ عملِهِ فسينكشفُ أمرُهُ يوماً مّا

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

السارق معرض نفسه لانتقام صاحب المال وعداوة الناس وعقاب الحكومة وعذاب الله تعالى، والمال الذي يسرقه حرام لا بركة فيه يذهب من حيث أتى — سرق رجل حصانا وذهب ليبيعه فقابله رجل وأظهر أنه يود شراءه منه ثم ركبه ليختبره وفر به إلى حيث شاء فرجع اللص حزينا كئيبا، لم يكتسب غير الإثم والخيبة

السرقة كغيرها من الخصال الذميمة يجب التباعد عنها والاحتراس من الوقوع فيها ولو كانت أصغر الأشياء، فلا تستسهل سرقة ورقة أو قلم من جارك أو أخذ شيء حقير لأبيك أو أخيك أو أحب الناس إليك، فإن هذا يجر إلى ما هو أكبر منه بحكم العادة فصغار الأمور تولد كبارها

سطا لص على بيت فاستيقظ أهله وحصلت بينهم وبينه معركة قتل فيها أحد سكان البيت ثم ضبط اللص وسيق إلى المحاكمة فحكم عليه بالإعدام، وعند ما أريد

إعدامه أحضرت إليه أسرته لتراه فاستدعى من بينهم واحدة وطلب منها أن يقبّل لسانها فأخرجته فانقض عليه وقطعه ولما سئل عن السبب، قال إنى سرقت فى صغرى بيضة من دار جارنا فأتيت إليها بها فقبّلت ما بين عينى فرحا بما فعلت فاسترسلت فى السرقة حتى وقعت فيما ترون، ولو أنها نهتنى عنها فى مبدإ أمرى ما شنقت اليوم

عدّت الشريعة الإسلامية السرقة من الكبائر وجعلت عقوبتها أن تقطع يد السارق ليكون ذلك زاجرًا له ورادعًا لغيره، ولا تقطع يده إلا بشروط مخصوصة، أما إذا لم توجد تلك الشروط فإن القاضى يقدّر من العقوبة ما يراه زاجرًا له فى الدنيا والله تعالى يتولى عقوبته فى الآخرة بما تقتضيه عدله وحكمته

﴿٧ — الخمر والميسر﴾

قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)

(التفسير)

الخمر — كل مسكر سواء أكان من عصير العنب أم من نبيذ التمر أم من الحنطة أم من الشعير أم من غير ذلك .

الميسر — القمار وكل أنواعه محرمة إلا ما أباحه الشرع من الرهان فى السباق والرماية ترغيباً فيهما

والانصاب — أصنام من حجارة وكانت تنصب أى تقام حول الكعبة وتعبد من دون الله تعالى

والازلام — هى القداح التى كانوا يستقسمون بها

(رجس) — قذر تأباه العقول الراقية وتعافه النفوس الطاهرة (من عمل الشيطان) — من تحسينه وتزيينه

كَيفِيَّةُ الْقِمارِ عِنْدَ الْعرب — كانَ لهم عشَرَةُ قِداحٍ يقالُ لهَا الأَقلامُ ، وأَسْماؤُها الفَذُّ ، والتَّوْءَمُ ، والرَّقِيبُ ، والحِلْسُ ، والنَّافِسُ ، والمُسْبِلُ ، والمُعَلَّى ، والوَغْدُ . والسَّفِيحُ . والمَنِيحُ . ولِكلٍّ واحِدٍ منَ السَّبْعةِ الأُولى نَصيبٌ مَعْلُومٌ مِنْ جَزُورٍ يَنْحَرُونه ويُجزِّئُونَهُ ثمانيةً وعِشرِينَ جُزْءاً فَلِلفَذِّ سَهْمٌ ، وللتَّوءَمِ

سَهْمان ولِلرَّقيبِ ثلاثة . ولِلحِلْسِ أرْبَعَة ، وللنَّافسِ خمْسة . وللمُسْبَل سِتَّةٌ ، وللمعَلَّى سَبعة ، وهو أَعلاها ، وليْسَ للثَّلاثة الأَخيرة شئٌ فإذا أرادُوا المَيْسِرَ اشتَرَوْا ناقةً نَسيئةً ونَحَرُوها وقَسَّمُوها وَوَضَعوا القِداحَ في خَرِيطةٍ ثمّ يُجيلها (١) عَدْل ويدْخلُ يدَهُ فيُخْرِجُ منها واحدًا باسْمِ رجلٍ منهمْ ثمَّ آخرَ باسْمِ آخرَ وهكذا ، فمَنْ خرجَتْ لهمُ القِدَاحُ ذواتُ الأَنصباء أخذُوا نَصيبَهُمْ ، ومنْ خرجَتْ لهم القِدَاحُ التى لا نَصيبَ لها لم يأخذُوا شيْئًا وغرموا ثمَنَ الجَزُورِ كلّه ، والغالبُ أنَّهم كانُوا يدفَعُونَ تلكَ الأَنصبَاءَ إلى الفُقَرَاء ولا يأكلونَ منها ، ويعُدُّونَ ذلكَ فخرًا

﴿ كيفية الاستقسام بالازلام ﴾

كانَ منْ عادَةِ العَرَبِ أنَّهمْ إذَا أَرادوا سَفرًا أَو نحوهُ أَجالوا عِنْدَ أصنامِهِمْ ثلاثةَ قِدَاحٍ قَدْ كُتِبَ على أحدِها (افْعَلْ) وعلى الثَّانى (لاتفْعَلْ) والثَّالثُ غُفْلٌ (لم يُكْتَبْ عليهِ شئٌ) فإذا خرَجَ الأَوَّلُ أقْدَموا على العَمَلِ ، وإنْ خرَجَ الثَّانِي أَحجَموا

---

(١) أى يديرها لتختلط بعضها ببعض بحيث لايعرف الرابح من غيره

عنهُ وإنْ خرَجَ الغُفْلُ أعادوا الاستقسامَ

هذهِ الأشياءُ الأربعةُ المذكورةُ فى الآيةِ أعمالٌ قبيحةٌ يُحسّنها الشّيطانُ للنّاس ولا يَرضى بها اللهُ تعالى بل يُعاقِبُ عليها ويأمُرُ عِبادَهُ بتركِها لِيَنجحُوا دُنيا وأُخرى ، أمّا عِبادةُ الأصنامِ فهىَ إشراكٌ باللهِ تعالى وهوَ الذنبُ العظيمُ الذى لا يُغفرُ وأمّا الاستقسامُ بالأزلامِ فطلبٌ للغيبِ الذى اختصَّ اللهُ تعالى به وتعطيلٌ لِلفكرِ منْ أنْ يُؤدّى عمله ، وفى ذلكَ الضررُ العظيمُ . وأمّا الخمرُ والمَيْسرُ فقدْ بيّنَ اللهُ سُبحانهُ علّةَ النهى عنهما فقالَ (إنّما يُرِيدُ الشّيطانُ أنْ يوقِعَ بينَكُم العَداوَةَ والبَغضاءَ فى الخمْرِ والمَيْسِرِ) أى بِسبَبِ تعاطِيهِما (ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وعَنِ الصّلاةِ) يمنعُكُمْ ويَصْرِفُكُمْ عن عبادَةِ اللهِ سُبْحانهُ وإذا كانَ هذا شأنَهما فيَجِبُ أنْ تَنتَهوا عنهما ولا تقربوهما

﴿ مَضارُّ الخمر ﴾

الخمرُ مُتلِفَةٌ لِلجِسْمِ ، مُذهِبَةٌ لِلمالِ ، مُغضِبَةٌ للرّبِّ ، مَجلَبَةٌ

لِلْعَدَاوَةِ والبَغْضاء . مُضْعِفَةٌ للنَّسْلِ ، مُفْسِدَةٌ للعَقْلِ ، مذيعَةٌ للسِّرِّ ، لها من سيِّءِ الآثار ووَخيمِ العَوَاقِبِ ما تَقشعِرُّ منْهُ الأَبْدَانُ وتتفتتُ لهُ الأكبادُ اتَّفَقَ الأَطبَّاء على أنَّ الخمرَ تؤثِّرُ فى الكُلى فَتُتلِفُهَا ، وفى الكَبِدِ فَتَضُرُّها ، وفى المَعِدَةِ فَتُضْعِفُها . لا يُصِرُّ على مُدْمنِي الخمر زَمَنٌ طويلٌ حتى يتَسَرَّبَ إليهِمْ السُّلالُ فيَذْهَبَ بأرواحِهِمْ وقَد قيلَ إنَّ نِصفَ الوَفَيَاتِ فى أوْرُبَّى (أُورُبَّا) من ذلكَ الدَّاءِ الوَبيلِ وقالَ أحَدُ الأَطبَّاءِ : أَقفِلوا لى نِصفَ الحَانَاتِ أضمَنْ لَكُمْ الاستِغناءَ عن نِصفِ المُستَشفَيَاتِ والسُّجُون .

منْ مضَارِّ الخمر فى التَّعامُلِ وقوعُ النزَاعِ والخصامِ بيْنَ السُّكارَى بعضهم مع بَعض وبَينَهُمْ وبينَ من يُعامِلُهمْ وهـذا من أكبرِ الدَّواعي إلى تحريمهَا ومنها إفشاءُ السِّرِّ ، وناهيكَ بما ينْشأُ عنهُ مِنَ المَضَرَّاتِ الكثيرَةِ ولا سيَّما السِّرُّ الذى يتَعَلَّقُ بالحكومات أو بالأُمور العَظيمةِ ، ولا شكَّ أنَّ ذلكَ يكُونُ سبباً لفقدِ الثِّقَةِ بالسِّكِّيرِ وعَدَمِ الاهتمامِ بأمرهِ ومنهـا

الاحتقارُ وذهابُ الهَيبةِ والوَقارِ منْ أعيُنِ النَّاسِ فإنَّ السكْرَانَ يكونُ في هيئتِهِ وكلامِهِ وحركاتِهِ بحَيثُ يَضحكُ منْهُ ويُستهزَأُ بهِ ويَستَخِفُّ بهِ كلُّ مَن يَرَاهُ حتى الصِّبْيانُ لأنَّهُ يكُونَ أقلَّ منْهُمْ عقلاً

مَرَّ ابْنُ أبي الدُّنيا بسكْرَانٍ فوَجَدَهُ على حالةٍ يُرْثَى لها : يَبولُ في يَدِهِ ويَمسَحُ بها وجْهَهُ كمَن يَتوضأُ ويقولُ الحمدُ للهِ الذي جَعَلَ الإسلامَ نوراً والماءَ طَهوراً ، فانظُرْ كَيفَ تفعلُ الخَمرُ بالعقلِ وكيفَ تجعلُ الإنسانَ عُرْضةً للهُزْءِ والسُّخْرِيةِ

الخَمرُ تُجرِّئُ على ارتِكابِ جميعِ المَعاصي لأنَّها تجرِّدُ الإنسانَ منَ العقلِ فيفعَلُ فِعلَ البَهيمِ ولذا سمِّيَتْ أمَّ الخَبائثِ

قال ابن الوَردي .

واهجرِ الخمرةَ إنْ كُنتَ فَتًى كيفَ يَسعى في جُنُونٍ مَن عقَلْ

الخَمرُ تُذهِبُ الثروةَ ، وتُضيعُ الأموالَ ، وتُوَصِّلُ إلى الفَقْرِ المُدْقعِ والخرابِ العاجلِ من أقرَبِ الطُّرُقِ ، ولقَدْ حَرَّمَ الخَمرَ في الجَاهلِيَّةِ أُناسٌ على أنفُسِهِم منهم العبَّاسُ بنُ مِرداسٍ

قِيلَ لهُ ألاَ تَشربُ الخمرَ فقال ما أنا بآخذٍ الجَهْلَ بيدِي فأدخِلهُ جَوْفِى، ولاَ أرضَى أنْ أُصبحَ سيِّدَ القومِ وأُمسِيَ سفيهَهُم

ولَقدْ أُلِّفَتْ جَمِيَّاتٌ فى (أُوربا) وأَمريكا لِلسَّعى فى إبْطالِ المسكِرَاتِ فتَعاهَدوا على عدَمِ شُربِها وعلى الدَّعوَةِ إلى ذلكَ والسَّعى لَدَى الحكوماتِ فى التَّشْدِيدِ على بائِعِى الخُمورِ، وكلَّما تَقدَّمَتِ الأُمَمُ وارتَقت أيَّدَتْ ماجاءَ بهِ القُرآنُ الكَرِيم

﴿مضارُّ القِمارِ﴾

القِمارُ أنْ تُغالِب شَخصاً على مال فإنْ غَلَبتَه أخذتَه منه وإنْ غَلَبَكَ أخذَه منكَ، وهوَ مُحرَّمٌ حتَّى باللَّعِبِ بالجَوزِ واللَّوْزِ وما شاكَلَهُما ، والمُقامَرَةُ على القِرْشِ تجرُّ إلى المُقامَرَةِ على الجُنيهِ ثُمَّ على المِئَاتِ والألوفِ، القِمارُ يُورثُ العَداوَةَ والبغْضاءَ بيْنَ لاعِبيهِ لانَ المَغلُوبَ الذِي يَخسَرُ مالَهُ يَكونُ غيرَ رَاضٍ ألبتَّةَ عمَّنْ أخذَهُ منه فيَحنَقُ عليهِ ويجتهِدُ فى فتحِ بابِ المُنازَعةِ معهُ ، والغالِبُ يَمنَعهُ الطَّمعُ عن أنْ يرُدَّ عليهِ ما أخذَهُ فتتولَّدُ الشَّحناءُ وتربو العَداوةُ والبغضاءُ ، القِمار أقطع الطُّرقِ لأكلِ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ (أَىْ بِغيرِ عِوَضٍ حَقِيقِىّ) وهُوَ مُحَرَّم بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (ولاَ تأْكلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) ما تغَلَّبَ الْقِمارُ على شَخْصٍ إلاَّ أَذَاقَهُ ذُلَّ الْفَقْرِ، وأَلْبَسَهَ ثَوْبَ الهوانِ، إنْ كَسَبَ مرةً خَسِرَ مَرَّاتٍ، وإنْ رَبِحَ قرشاً أضاعَ قرُوشاً، يُطمِعُ الشَّيْطانُ الخَاسِرَ فى تعويضِ خَسارَتِهِ ويُغرِى الرَّابِحَ بِمضاعَفَةِ رِبْحِهِ فيستَمِرُّ كِلاَهُما فى مَيْدَانِ اللَّعِبِ حتى تَلْصقَ يَدُهُما بالتُّرابِ. كَمْ خَرَّبَ الْقِمارُ منْ بُيوتٍ، وأوقعَ ذَوِى اليسارِ فى عُسْرٍ مَمْقُوتٍ، كَمْ أَفْسدَ أَخْلاَقَ الشُّبَّانِ، وحَطَّ منزلةَ الشُّيوخِ وسبَّبَ فضيحَةَ الْبُيوتِ، وقَضى على مُسْتقبَلِ أُسَرٍ نشأتْ فى التَّرَفِ والعِزِّ. وانحصَرَتْ ثَرْوتُها فى رِجالٍ أضاعُوها فى ليلَةٍ أو لَيالٍ فأمسَتْ لا قُدْرَةَ لها على أنْ تَعيشَ على ما تعوَّدَتْهُ من الرَّفاهيةِ — الْقِمارُ يُفسِدُ التَّرْبيةَ ويُلْهِى عَنِ العَمَلِ لأَنه يُعوِّد النَّفسَ الْكَسلَ وانْتِظارَ الرِّزْقِ منَ الطُّرُقِ الوهميَّةِ، وتَرْكَ مَنابعِ الثَّرْوَةِ الحَقيقيَّةِ فيُقْفَلُ بابُ الاكتِسابِ ويَقِفُ دَوْلابُ الاعمالِ التى عليها

مَدَارُ حياةِ الغنيِّ والفقيرِ ، والعظيمِ والحقيرِ ، يَتوهّمُ المُقامرُ أنّهُ يَكسِبُ بقرشِهِ جُنَيْهًا ويَبْنِي على وَهْمِهِ الفاسِدِ بناءً شامخًا فلا يَلْبَثُ أَنْ يَتبيّنَ لهُ خَطَوةً حيثُ يفرُّ منهُ دِرْهَمُهُ ودِينارُهُ ولا يَستطيعُ إلى رَدِّهما سَبيلاً . مَنْفَعةُ القِمارِ وهميّةٌ ومَضرّاتُهُ حَقيقيّةٌ ولا يُقْدِمُ عليهِ إلاّ فاسِدُ الرّأيِ ضَعيفُ العقلِ، انتهى الأمرُ بكثيرٍ منَ المُقامِرينَ إلى قتلِ أنفُسِهِم غمًّا وحزنًا أو الرِّضا بعيشةِ الذُّلِّ والمهانَةِ

حكى بعضُ الثّقاتِ أنّهُ كانَ يَعرِفُ رَجلاً لا تَقِلُّ ثَروتُهُ عنْ ثلاثةِ ملايينَ من الفرنكاتِ فما زالَ شيطانُ القِمارِ يُغريهِ حتّى فقدَ ثروتَهُ كلَّها وعاشَ بقيّةَ حياتِهِ فقيرًا مُعْدِمًا إلى أَنْ ماتَ جائعًا ، وأنّه ربحَ في ليلةٍ تِسعَمائةَ ألفِ فرنكٍ فقال لا أَبرحُ حتّى أُتمَّها مِليونًا فلم يبرحْ حتّى خسرَها وخسرَ مِليونًا آخرَ ، وهكذا شأنُ أكثرِ المُقامرينَ . يَغترُّونَ بِسرابِ الرِّبحِ الذي يكونُ لهمْ أو لغيرِهم أحيانًا فيسترسِلونَ في المُقامرةِ حتّى لا يَبقى لهمْ شيءٌ — رأى بعضُ العُقلاءِ منْ ولدِهِ ميلاً إلى

المقامرة فقال له يا بنىّ إذا شئت أن تقامر فابحث عن أقدم مقامر فى البلد والعب معه فأخذ الولد يبحث حتى انتهى به البحث إلى رجل رث الثياب ظاهر الاكتئاب فتبين له من حاله ومقاله وما صرفه عن القمار وعرف أنه عمل ما آله الخراب والدمار، فلم يقامر بعد، ولم يشهد للقمار مجلساً. قلّما يقدر المقامر على ترك القمار لأنه كلما ربح طمع فى الزيادة وكلما خسر طمع فى تعويض الخسارة فتضعف قواه عن مقاومة هذا الطمع — ومن أمثال المقامرين (شاهد القمار لا بدّ أن يصير لاعباً) (من لعب مرّة لا ترجعه عن اللعب إلا الفقر) (المقامرة لجّة يغرق الغائص فيها لا محالة)، فالعاقل يتباعد عن مشاهدته ولا يقرب له مجلساً حتى لا يكون لشيطانه عليه سبيل (فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه)

﴿٨ — حكم أكل الميتة ولحم الخنزير﴾

قال الله تعالى (حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة

وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ)

(التفسير)

الميتة هى ما فارقتها الروح من غير ذبح شرعى (١) الدم هو السائل الاحمر الذى يسيل من الجسم — الخنزير — هو الحيوان المعروف وليس المراد اللحم فقط بل المراد جميع أجزائه وخص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وما أهل لغير الله به — أى ذكر غير اسمه تعالى عند ذبحه — المنخنقة — التى خنقت أو انخنقت حتى ماتت — الموقوذة — التى ضربت بعصا أو حجر أو نحوهما فماتت — المتردية — التى وقعت من جبل أو فى بئر ونحوهما فماتت — النطيحة التى نطحها غيرها فماتت — ذكيتم — ذبحتم — النصب الانصاب — الازلام القداح وقد تقدم شرحهما — فسق — خروج عن طاعة الله تعالى وهو ذنب عظيم

﴿ فوائد ﴾ (١) الذبح الشرعى (وهو قطع الحلقوم والمرىء) يحل مأكول اللحم ويجوز الانتفاع بغيره إلا الخنزير فانه لايجوز الانتفاع به لنجاسة عينه

(٢) يشترط لصحة الذبح أن يكون الذابح ذا دين سماوى مسلما أو كتابيا وأن تعلم حياة المذبوح عند الذبح وأن لا يتعمد الذابح ترك اسم الله تعالى وأن لا يذكر مع اسمه تعالى غيره (٣) لا تجب ذكاة السمك فيحل أكله من غير ذكاة

﴿ حكمة تحريم أكل هذه الأشياء ﴾

إنما حُرِّمَتِ المَيتةُ لما في الطِّباعِ السَّليمةِ من استقذارها ولما يُتوقَّعُ من ضررها لأنها إمَّا أنْ تكونَ ماتتْ بمرضٍ سابقٍ أو بعلةٍ عارضةٍ وكلاهما لا يُؤمَنُ ضررُهُ لأنَّ المرضَ قد يكونُ مُعْدِياً والموتَ الفُجائيَّ قدْ يقتضي بقاءَ بعضِ ما يضُرُّ في الجسم كالكربون الذي يكونُ سببَ الاختناق — وحرَّمَ الدَّمُ لأنَّهُ قذرٌ ضارٌّ كالمَيتةِ ولأنَّهُ محلٌّ للجراثيمِ المُعديةِ القتَّالةِ ومثلهما المُنخنقةُ والمتردِّيةُ والنَّطيحةُ وما أكلَ السبُعُ — وأمَّا تحريمُ لحمِ الخنزيرِ فلقذارتهِ . لأنَّ غِذاءهُ منَ الأقذارِ والنجاساتِ ولأنَّهُ محدثٌ للدُّودةِ الوحيدةِ وهيَ مرضٌ فتَّاكٌ وأكلهُ ضارٌّ في جميعِ الأقاليمِ وقدْ ثبتَ ذلكَ بشهادةِ الأطباءِ وبالتَّجربةِ وهي أصدقُ شاهد — وأما تحريمُ مالم يذكرِ إسمُ اللهِ عليهِ خاصةً فلأنَّ الذي منَّ علينا بالحيوانِ وأرشدَنا إلى الانتفاعِ بهِ هو اللهُ سبحانهُ وتعالى فذكرُ اسمِ غيرهِ عندَ ذَبحهِ إشراكٌ وهو منْ أعمال الوثنيةِ وقد ذكرَ الفقهاءُ أنَّ

كلُّ ماذُكِرَ عليه اسمُ غيرِ اللهِ فقطْ أو كانَ مَصحُوبًا باسمِه تعالى فهوَ مُحرَّمٌ . ومنهُ مايَجرِى فى الأَزيافِ كثيرًا ولاسيّما عندَ ذَبحِ الحيَوانِ المنذُورِ وهوَ قولهم باسمِ اللهِ اللهُ أكبر (ياسيِّد يا بَدوى) يَزعمُونَ أنَّ السيِّد البدَوىَّ يلتفِتُ إليهمْ ويتقبَّلُ منهم النّذرَ

﴿ ٩ — أكل أموال الناس بالباطل ﴾

كلُّ مالٍ أَخذتَهُ منْ غيرِكَ بِدُونِ وجهٍ شرْعىٍّ فقدْ أكلتهُ بالباطل ومنْ طُرُقِ ذَلكِ الرِّبا، والقِمارُ، والسَّرقةُ، والخيانة وشهادةُ الزُّور، واليمينُ الكاذِبةُ، والرّشوةُ، والغِشُّ فى البَيعِ والشِّراء، وفى الكَيلِ والميزانِ، وتَسخيرُ النّاسُ فى الأعمالِ (إستِعمالهم فيها مجّانًا مُكرَهين) وكتابةُ التَّمائِمِ والعزائِم والكهانةُ والسِّحرُ وماشاكلَ ذلكَ، ومنها أنْ تدفعَ إلى حاكِمٍ رَشوَةَ ليحكمَ لكَ بما ليْسَ لكَ فيهِ حقٌّ وقد دلَّ على ذلكَ كلّه قولهُ تعالى (وَلا تأكُلوا أموَالكُمْ بَينَكُمْ بالبَاطِلِ وتُدلوا بها إلى الحكّام لِتأكُلوا فَرِيقًا منْ أموالِ النّاس بالإثمِ وأنْتمْ تعلَمُون)

وعن ام سلمة « أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال : إنما أنا بشر ؛ وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها »

من يأكل مال غيره بالباطل فهو عرضة لأن يأكل غيره ماله
وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

ولقد تفنن الناس في أكل الأموال بالباطل حتى صار كل إنسان مع أخيه (كالذئب يأكل حين الغرة الذيبا) فعظم الخطب وعم البلاء ، ولو سلك الناس سبيل الهدى فاتبعوا الشرع الشريف وأكلوا من الطيبات وتعففوا عن أكل الحرام لطاب عيشهم وأمنوا على أموالهم وانتظم أمرهم ولقد كان السلف الصالح يتحرون [1] أكل الحلال كل

(١) تحرس في الامر طلبت أحدى الامرين وهو أولاهما والسيء قصدته

التَّحَرِّى ، مُعتَقِدِينَ أَنَّ أَكل الحرامِ مُفسِدٌ للدِّينِ ، منافٍ للإيمان . جاءَ فى الحَدِيث مامعناهُ أنَّ مَنْ نَبَتَ لحمُهُ من سُحتٍ فالنَّارُ أَولى بهِ (والسُّحتُ الحرامُ) . وقال سُفيان الثَّورىُّ رضى اللّهُ عنهُ من أَنفَقَ الحرامَ فى الطَّاعةِ فهو كَمَنْ طَهَّرَ الثَّوبَ بالبَوْلِ ، وقالَ أَحد الصَّالحين إِذا تَعبَّدَ الشَّابُّ قال الشَّيْطانُ لِأَعوانه : انظُرُوا من أَينَ مَطعَمُهُ فإِنْ كانَ مَطعَمُهُ سُوءًا يقولُ دعُوهُ يتعَب ويجتهِدْ فقد كَفاكم نَفْسَهُ : لأَنَّ اجتهادَهُ مَعَ أَكلِهِ الحرامَ لا يَنفَعُهُ . فلْيَتّقِ كلُّ امرئٍ مالَ أخيهِ ولْيَتَجَنَّبْ البَاطلَ فى قَولهِ وعملِهِ وكَسبِهِ : ليكونَ حلالا مُباركاً فيه مُثاباً عليهِ

﴿ ١٠ — العَدْل والإِحْسان ﴾

قال اللّهُ تعالى (إِنَّ اللّهَ يأمُرُ بالْعَدْلِ والْإِحسَان وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشاء والْمُنكرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)

(التفسير)

امرنا الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة بثلاثة أشياء ونهانا عن ثلاثة أمرنا بالعدل، وهو التسوية فى الحقوق، وترك الظلم، وإيصال كل ذى حق إلى حقه، والاعتدال فى كل شىء وبالاحسان وهو الاتيان بالاعمال المطلوبة شرعاً على أكمل وجه. وبإيتاء ذى القربى أى عطاء الاقارب حقوقهم من الصلة والبر.

ونهانا عن الفحشاء والمراد بها الذنوب المفرطة فى القبح. وعن المنكر وهو ما ينكره الشرع والعقل لقبحه وضرره. وعن البغى وهو الاستعلاء على الناس والتطاول عليهم بالجور والظلم

فى هذهِ الآيةِ مالوْ عَمِلَ بهِ الانْسانُ لَسَعِدَ فى دُنْياهُ وآخرتِه، فانّ المَرْءَ إِذَا كانَ عادِلا، مُحْسِناً، قائِماً بما يجبُ عَلَيْهِ لأَقارِبهِ، مُجْتَنِباً مانَهى عنْهُ الشّرْعُ وأنْكَرَهُ، متَباعِداً عنْ ظلمِ النّاس والتَّعَدّى عَليهِمْ، أَمِنَ تَعَدّى النّاس عَليهِ وأَمِنَ سخْطَ اللهِ تعالى وشَدِيدَ عِقابهِ، وكانَ لهُ جزاءُ العَامِلينَ الْمُحْسِنينَ

ولما كانَتْ هذهِ الأَشْياءُ مِلاكَ النّظامِ وأَساسَ السّعادَةِ، عقّبها سُبحانهُ وتعالى بقَوْلهِ (يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ) أىْ يُنَبّهكم بما يأْمُرُ و يَنْهى أحْسَنَ تَنْبيه لِتَتّعِظُوا، وتَتَنَبّهوا،

وتَعملوا بأوامرِهِ ، وتجتنِبوا نواهيَـهُ ، فتُفْلِحوا وتفوزُوا بالسعادتَيْنِ .

﴿ العدْلُ والإحسان فى عمَلِ الإنسانِ ﴾
(ومُعاملتِهِ للنَّاس)

العَدْلُ والإحْسانُ يكونانِ فى عمَلِ الشَّخصِ لنفْسِهِ وفى مُعامَلَتِهِ لِغيْرِهِ منَ الإنْسانِ والحَيَوانِ . فَعَدْلُ الانسان فى نَفْسِهِ أنْ يُؤَدِّيَ الواجِبَ عليْهِ كما ينْبغى . وإِحْسَانُهُ أَنْ يُتقِنَ تأْديَةَ ذلكَ الواجِبِ ويَزِيدَ عليْهِ الزِّيادَةَ النَّافعةَ ، فيُصلِّيَ الفَرْضَ ويُتْبِعَهُ النَّفْلَ ، ويُنْجِز الأَعمالَ التى عليها مدَارُ حَياتِهِ ويزيدَ عليْها الإتْقانَ وحُسْنَ الأَداءِ — سُئِلَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلم عنِ الإحْسانِ فقال « أَن تَعبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراهُ ، فإنْ لم تَكُنْ تَراهُ فإنه يَراكَ » . وعَدْلُهُ معَ أهله أَنْ يقومَ بما يجبُ عليه من حقوقِ الرِّياسةِ إنْ كانَ رئيسَ أُسْرَتِهِ ، أَو البُنُوَّةِ إنْ كانَ ابْناً ، أَو الأُخُوَّةِ إنْ كانَ أخاً — وإحسانُهُ إليهم الشَّفَقَةُ عليهم والرَّأْفةُ بهِمْ وحُسْنُ مُعاشرتِهِمْ ، والعَفْوُ عنْ

زَلاّتِهم، وتَجنُّبُ الغِلْظَةِ والفَظَاظةِ فى مُعاملَتهم. وفى البُخَارىّ أنَّ الأَقْرَع بنَ حابِسٍ رأَى رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وهو يُقبِّلُ الحَسَنَ بنَ علىٍّ فقالَ إنَّ لى عشرةً أَوْلادٍ ما قبَّلتُ واحداً منهمْ فقالَ عليه السَّلامُ «إنَّ مَنْ لايَرْحَمُ لايُرْحَمُ». ودَخَل على أمير المُؤْمِنينَ عُمَرَ بن الخَطَّاب أَحدُ عُمَّالِهِ، فوجدَهُ مُستلقياً علَى ظَهْرِهِ، وَصِبْيانُهُ يَلْعَبُونَ حوْلَهُ، فأنكرَ ذَلكَ عليْهِ — فقالَ لهُ عمرُ. كَيفَ أنتَ معَ أَهلكَ؟ فقال إذَا دَخلتُ سَكَتَ النَّاطِقُ — فقالَ لهُ اعْتَزِلْ عملَنا، فإنَّكَ لاتَرْفُق بأَهلِكَ وَولَدِكَ فَكَيْفَ تَرْفُقُ بأُمَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلم

وعَدْلُهُ معَ خدَمهِ أَنْ يَدْفَعَ إليْهِمْ أُجُورَهم تامَّةً فى أَوْقاتها، ولا يُكلِّفَهُمْ منَ العَمَلِ فَوْقَ طاقتِهمْ. وإحْسانُهُ إليهمْ العَفْوُ عنْ زَلاَّتِهمْ ومُعَامَلتُهُم بالشَّفَقَةِ والرَّأْفةِ والحِلْم. قيلَ للأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ (وهُوَ ممَّن يُضْرَبُ بِهِم المَثلُ فى الحِلم) ممَّنْ تعلَّمْتَ الحِلمَ؟ قال منْ قيسِ بنِ عاصِم، قيل فما بلغ منْ حِلْمِهِ؟ قالَ

بَيْنَمَا هو جالسٌ فى دَارِهِ إذْ أتتْهُ جاريةٌ بِسَفُّودٍ [1] عليه شِوَاءٌ [2] فَسَقَطَ السفُّودُ من يدِها على ابنٍ لهُ فعقرَهُ فماتَ ، فَدَهِشَت الجَارِيةُ فقالَ لا يُسكِّنُ رَوْعَها [3] إلاَّ العِتقُ فقالَ . أنْت حُرَّةٌ لا بأسَ عليْك : ووقفَ غُلام لجعفرِ الصَّادقِ يَصُبُّ المـاءَ على يَدَيهِ فوقعَ الإبْرِيقُ من يدِ الغلامِ فى الطَّشْت فطارَ الرَّشاشُ فى وجْهِهِ فنَظَرَ جعفرٌ إليهِ نظرَ مُغْضَبٍ — فقالَ . يامَوْلاى (والكاظِمِينَ الغَيْظَ) قالَ كَظَمْتُ غَيْظِى — قال : (والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قالَ عفوْتُ عنْكَ — قالَ (واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) قالَ : اذهَبْ فأنْتَ حُرٌّ لوجهِ الله تعالى — وعَدْلُ الإنسانِ معَ قَوْمِهِ وجيرانِهِ أنْ يقومَ بحقُوقِ الجِوارِ كما أوجبَهَا الشَّرْعُ ، وإحْسَانهُ إليهِمْ أنْ يَصِلَ مَنْ قطعَهُ منهمْ ، ويُعْطِىَ منْ حرَمَهُ ، ويُحبَّ لهُم ما يُحِبُّ لِنفسِهِ . شكا بعضُ الصالِحِينَ كَثْرَةَ الفِئْرَانِ فى دَارِهِ فقِيلَ لهُ لو اقْتَنَيْتَ هِرًّا لذَهَبَ ذَلك — فقالَ . أَخْشَى أنْ يَسْمَعَ الفأْرُ صوتَ الهِرِّ فيهْرُبَ إلى

---

(١) الحديدة التى يسوى عليها اللحم (٢) لحم مسوى (٣) خوفها

دُور الجيرانِ فأكونَ قدْ أَحْبَبْتُ لهُم مالا أُحِبُّهُ لِنَفْسى .
وقيلَ لرسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم : إنَّ فلانةَ تَصُومُ النَّهارَ وتَقومُ اللَّيلَ ، وهى سيِّئةُ الخُلُقِ : تُؤذى جيرانَها بِلِسانها فقال لاخيرَ فيها هِيَ منْ أهلِ النَّارِ — وعدْلُ الإنْسان مع بَقيَّةِ النَّاس تأدِيةُ حقُوقِهِمْ ،واجْتِنابُ إيذائِهِمْ وإحْسانهُ إليْهِمْ أَنْ يُخالِقَهُم بِخُلُقٍ حسَنٍ ،ويُوَقِّرَ كَبيرهُمْ ،ويَرْحَمَ صَغيرَهم ، وأَنْ يَتَعهدَهم بخَيرهِ ، ويساعِدَهم بمَا فى اسْتطاعَتهِ ، خَرَجَ سيِّدُنا عمرُ رضى اللهُ عنْهُ ذاتَ لَيْلةٍ لِيتَفَقّدَ أَحوالَ رَعِيَّتِهِ فرأى امْرَأَةً تُوقدُ تحتَ قِدر وأَطفالُها حَوْلها يَبْكونَ ، فسألها ، ماسَبَبُ بُكائِهِمْ ? فقالَتِ الجوعُ — فقال وما فى القِدْرِ ؟ قالتْ ماءٌ وحَصًى أُشاغِلُهُمْ به حتى يناموا ، فرَجَعَ وحمَلَ على ظهرِهِ دَقيقاً وسَمْناً ، وعاد إلى المَرْأةِ فأَلْقَى فى القِدرِ بعْضاً منَ السَّمنِ والدَّقيقِ وأوقدَ عليها حَتَّى نَضِجَ الطَّعامُ فأَكل الأَوْلادُ وشَبِعُوا ثمَّ لاعَبَهُم حتَّى ضَحِكُوا وناموا ، ثم عادَ إلى بَيْتِهِ ورَتَّبَ لِلمرْأَةِ وأَولادِها ما يَكْفيهم .

﴿ العدلُ والإحسانُ في مُعاملةِ الحَيوانِ ﴾

خَصّ اللهُ الإنسانَ من بيْنَ سائرِ الحيوانِ بفَضيلتَي العقلِ والبيانِ ، وسَخّرَ لهُ الحَيوانَ الأعْجَمَ ليرْكَبَهُ ويحْملَ عليهِ أثْقالَهُ ويَتّخِذَ منْهُ قوتَهُ ومَلابِسَهُ وأغطيتَهُ وفُرُشَهُ وأثاثَهُ ، وكما جَعلَ لهُ هذا جَعلَ لهُ سُلْطاناً على الطُّيُورِ في جوّ السماءِ ، وعلى الأسماكِ في جَوْفِ البِحارِ : يَصطادُ منها ويَنْتفِعُ بها في حاجاتِهِ وكمالياتِهِ .
هذهِ الحيواناتُ الكثيرَةُ النّفْعِ ، العاجِزَةُ عنْ حِمايَةِ نفْسِها ، وعنِ البيانِ عنْ حاجَتِها ، تَتألّمُ منَ الجُوعِ والعطَشِ ، ومنَ الحرّ والبردِ ، ومِنَ العمَلِ الشّاقّ كما يتألّمُ الإنسانُ ، لهذَا أوْجبَ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى علينا العَدْلَ فيها والإحْسانَ إليهَا . بأنْ نَرْفُقَ بها ونُشفْقَ عليها ، ونُعطِيَها حظّها منَ المآكِلِ والمَشارِبِ والمَنازلِ ونُداوِي مَرْضاها، ونُرَبّيَ صِغارَها ونَتعهّدَها بكلّ ما يَلزَمُها منَ المؤْنَةِ والخِدْمَةِ ، ولا نُحَمّلها فوقَ طاقتِها ، ولا نُغيّرَ خَلْقَها ، بِقَطعِ شيءٍ منْ أعضائِها كالذّنَبِ والأذُنِ في الحَديثِ (مَنْ

مَثَّلَ بحَيوَانٍ فَعلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والمَلَائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ)
والتَّمْثِيلُ تَغييرُ خَلْقِها بقَطْعِ شَيْءٍ من أجزَائِها — رُوِىَ أَنَّ
الزَّمَخْشَرِىَّ أَحدَ كِبارِ العُلماءِ كانَ قد أخذَ في صِغَرِهِ عُصفُورًا
ورَبَطَ بِرِجْلِهِ خَيْطًا طويلا وجَعلَ يَلْعَبُ بهِ، فرَأَتْهُ أُمُّهُ فرَقَّ
قَلْبُها لهذَا العُصفُورِ المِسكينِ، وأَدْرَكَتْها الشَّفَقَةُ عليهِ،
فطَلَبَتْ من ابْنِها أنْ يُطلِقَهُ فلَمْ يَفعَلْ وصارَ العُصفُورُ يَطيرُ
منْ محلٍّ إلى محَلٍّ، وهُوَ يَجْذِبُهُ بالخَيطِ حتَّى انقَطَعَتْ رِجْلُهُ،
فاغتاظَتْ أُمُّهُ ودَعَتْ عليه بِقَطْعِ رِجلِهِ كما قطَعَ رِجلَ العُصفُورِ،
فلَمَّا كَبِرَ سافَرَ إلى بَعضِ البلَادِ البَارِدَةِ فأصابَ رِجلَهُ شِدَّةُ
البَرْدِ من كَثْرَةِ الثَّلْجِ فتَلِفَتْ وقُطِعَتْ، ورُوِىَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى
اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ بينا رَجلٌ بطَرِيقٍ إذِ اشتَدَّ عليهِ العَطَشُ
فوجَدَ بِئْرًا فنزلَها فشَرِبَ ثمَّ خرَجَ فإذا كَلْبٌ يَلْهثُ[1] يأكُلُ
الثَّرَى منَ العطَشِ. فقالَ الرَّجُلُ. لقَدْ بلغَ العَطَشُ منْ هذَا

---

(١) يخرج لسانه من العطش

الكلبِ مِثلَ الّذي بلغَ منّي فنزلَ البئرَ فملأ خُفّهُ ماءً وسقى الكلبَ فشكرَ اللهُ لهُ وغفرَ لهُ .

ومنَ العدلِ والإحسانِ بالحيوانِ أنْ لا يَقتُلَ الإنسانُ منهُ إلاّ ما أباحَ الشّرعُ قتلهُ لِكونِهِ مُؤذياً كالثّعبانِ والعقربِ والفأرةِ والكلبِ العقورِ والغُرابِ ، وأنْ لا يُعذّبهُ أثناءَ قتلِهِ أو ذَبحِهِ ، فَفِي الحديثِ (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كَتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ فإذا قتلتمْ فأحسِنوا القِتلَةَ وإذا ذَبحتُمْ فأحسِنوا الذّبحةَ وليُحِدَّ أحدُكمْ شفرَتَهُ (١) وليُرِحْ ذَبيحتَهُ) وقد حثّتْ جميعُ الشّرائعِ والأديانِ على الرّفقِ بالحيوانِ ، وأنشأتِ الأممُ الرّاقيةُ جمعيّاتٍ للرّفقِ بها ، تُعالجُ مرضاها ، وتُعاقِبُ مَنْ يكلّفُها فوقَ طاقتِها أو يُدمّيها بالضّربِ أو بالجوعِ أو بالعطشِ أو ما شاكلَ ذلكَ ، ولقدْ أسّستِ الحكومةُ المصريّةُ جمعيّةً لهذا الغرضِ انتشرتْ فروعُها في حواضرِ الأقاليمِ ، فعلى العاقلِ أنْ يرْفُقَ بها ، ويُعامِلَها أحسنَ مُعاملةٍ لا خوفاً من عِقابِ

(١) سكينه

الْحُكومَةِ بَلِ امتِثالاً لأَمرِ اللهِ تعالى وأَملاً في رَحمتِهِ ، فإنَّ مَن يَرحَمْ يُرحَمْ

﴿ البَغْيُ ﴾

البَغْيُ هو الاعتِدَاءُ على النَّاسِ بالجَورِ والظُّلمِ بلا مُسوِّغٍ شَرعِيٍّ ، وهُوَ يكُونُ بقتلِ النُّفُوسِ ، وهَتكِ الأَعرَاضِ، وإتلافِ الأَموَالِ، وتخرِيبِ الدِّيارِ ، وغيرِ ذلِكَ مِمَّا يَسلُبُ الأَمْنَ ويُوهِي دَعائِمَهُ ، وينشُرُ جَرَاثيمَ الفَسَادِ في كلِّ بُقعةٍ ، وقد حَرَّمَهُ اللهُ تعالى في جميعِ الشَّرَائعِ لأَنَّهُ مُفسِدٌ للمُجتمَعِ الإِنسانيِّ ، مُقَوِّضٌ لِنِظامِ العُمرَانِ ، ومتى انتَشرَ هذا الدَّاءُ عُدِمَ الرَّجاءُ وخلَفَهُ اليأْسُ ، فلا يُبكَى على مَيِّتٍ ، ولا يُفرَحُ بمولودٍ

وَلِعِظَمِ قُبحِ البَغيِ شرعاً وعقلاً جَعلَتِ الشَّرِيعَةُ الإِسلاميَّةُ عقُوبَةً صارِمةً للباغِينَ الذينَ يُفسِدُونَ في الأَرضِ بالسَّلبِ والنَّهبِ والقَتلِ ومُحارَبَةِ عبادِ اللهِ في نفُوسِهِمْ وأَموالِهِمْ تلكَ العقُوبَةُ هيَ القَتلُ ، أَوِ الصَّلبُ ، أَو قطعُ الأَيدِي والأَرجُلِ ،

والنفىُ زيادةً على عذابِ الاخرةِ

قال تعالى فى سورةِ المائدةِ (إنما جزاءُ الذينَ يحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويسعَوْنَ فى الأرضِ فساداً أنْ يقتَّلوا أوْ يُصلَّبُوا أوْ تقطَّعَ أيديهِمْ وأرجلُهُمْ منْ خلافٍ أوْ يُنفَوْا منَ الأرضِ ذٰلكَ لهُمْ خزْىٌ فى الدُّنيا ولهُمْ فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ)

المَظلومُ وإنْ كانَ ضعيفاً لاَ يهْدَا لهُ بالٌ ولا يقرُّ لهُ قرَارٌ بل يُطالبُ بظُلاَمتِهِ. إمَّا بالشّكوَى إلى مَنْ هوَ أقدَرُ منهُ لينْصِفَهُ. وإما بالتَّضرُّعِ إلى المُنتقِمِ الجبَّارِ ليقتصَّ لهُ منْ ظالِمِهِ

لاَ تَظلمَنَّ إذا ما كُنتَ مقتدِراً
فالظلمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِى إلى النَّدَمِ
تَنامُ عيناكَ والمَظْلومُ مُنْتَبِهٌ
يَدعُو عليكَ وعيْنُ اللهِ لمْ تَنَمِ

وفى الحديثِ «اتّقِ دعوةَ المَظْلوم فإنها ليْسَ بينهَا وبيْنَ اللهِ حِجابٌ» وقدْ وعَدَ اللهُ وعدًا مؤكّدًا بنصرِ المَظلومِ وأىُّ نَصرٍ أعظمُ من نَصرِ اللهِ تعالى وانْتِقامِهِ لهُ . وانْتِقامُ

اللهِ تعالى منَ الظَّالمِ يكُونُ فى الآخرَةِ بالعذَابِ الأَليمِ فى نارِ الجحِيمِ ، وفى الدُّنيا بتَسلْيطِ الأَمرَاضِ والعِلَلِ عليهِ ، ونزُولِ البلايا وحُلولِ الفَقْرِ المُدقعِ بهِ ، وذَهابِ جاهِهِ وأَوْلادِهِ وأَحْبابِهِ وأَنصارِهِ فتُغَلُّ يَدُهُ ويتَجَرَّعُ مَرارَةَ الفَقْرِ ، ويذُوقُ عَذَابَ الذُّلِّ فيَتَمَنَّى مُفارَقَةَ الحياةِ . وزيادَةً على الانْتِقامِ الإِلهيِّ تجتَنِبُهُ النَّاسُ خَشْيَةَ أَنْ يَصلَ إِليهم ظُلْمُهُ يوْماً ما فيَتَمَنَّوْنَ لهُ الهلاكَ ، ومتى مال به الدَّهرُ القلَّبُ وغدَرَ بهِ الزَّمانُ الذى لا يَدُومُ على حال ، هَجَمَتْ أَصْحابُ القلوبِ المُفْعَمَةِ ببُغْضِهِ على الانْتِقامِ منهُ وأعانَتْ عَلَيْهِ الحَوادثَ فلا يجدُ لهُ نَصيراً وقَدْ تحامَى الظلمَ العُقَلاءُ وكَثيرٌ منَ العُظَماءِ استِجلاباً ومُحافَظَةَ على النِّعمَةِ

حُكِيَ أَنَّ هارونَ الرَّشيدَ حَبَسَ أَبا العَتاهيَةِ فكَتَبَ على حائِطِ السِّجنِ

أَما واللهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ وما زالَ الظَّلُومُ هوَ المَلومُ
إِلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِى وعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصومُ

سَتَعْلَمُ فى المَعادِ إذَا الْتقَيْنَا غَدًا عِنْدَ المَلِيكِ مَنِ الظلومُ

فأُخبِرَ الرَّشيدُ بذلك فبَكى بكاءً شديداً ، ودَعا أَبا العَتاهِيةِ فاستَسمَحَهُ ووهَبَ لهُ أَلْفَ دينار وأَطْلَقَهُ

ولوْ تأَمَّلَ الإِنسانُ ما آلَ إِلَيْهِ حالُ الظَّلَمَةِ مِنْ خَرابِ دِيارِهم، وسُوءِ مآلِهِمْ، لَكَفَّ يدَهُ عن الظُّلْمِ ، وسَلَكَ سَنَنَ العدْلِ، وعلِمَ أنَّ كُلًّا يُجازَى بما عَمِلَ (ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

﴿ ١١ — الْكَبائِرُ على الْعُمومِ ﴾

قال الله تعالى (قلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغيْرِ الْحَقِّ وأنْ تشْرِكُوا باللهِ مالَمْ يُنَزِّلْ بهِ سُلْطانًا وأنْ تَقُولوا على اللهِ مالا تَعْلَمُونَ)

(التفسير)

الفواحش الكبائر الزائدة فى القبح — بطن خفى — الاثم الذنب سلطانا حجة وبرهانا — تقولوا تتقولوا وتكذبوا

الإِثمُ الذَّنْبُ والمَعْصيةُ ، كالسَّرِقَةِ وتَرْكِ الصَّلاةِ أَوتأْخيرها عَن وقْتِها : والذُّنُوبُ قِسْمانِ صغائِرُ وكَبائِرُ ، فالصَّغائِرُ هى التى

لم يُوعِدِ اللهُ مُرتكِبَها بالنّارِ فى الآخرةِ ،والكبائرُ هى التى نَهى الشّارعُ عنها نهياً جازماً وأوْعدَ مُرْتكِبها بالعَذابِ فى الآخرةِ ، ووضعَ لبعضِها حُدُودًا فى الدُّنيا كالسَّرقةِ والقتلِ وتُسَمّى الكبائرُ فَوَاحِشَ لِفُحْشِها وزيادةِ قُبْحِها . ومن الكبائرِ الاشراكُ باللهِ تعالى وهو أعظمُها ، وعقوق الوالدَيْن، والقَتْلُ ، والسرِقَة ، وشهادَةُ الزُّورِ ، والظلمُ ، والكذبُ ، وإتلافُ الأموال بغيرِ حَقّ ، والحِقْدُ ، والحَسَدُ ، والسِّحْرُ وغيرُ ذلكَ منْ كلّ ما استقبحَهُ الشرْعُ وأعدّ لِمُرْتكِبه العذابَ الأليمَ

نَصّ اللهُ سُبحانهُ فى هذهِ الآيةِ الكريمةِ على تحريمِ جميعِ الكبائرِ : ظاهرِها كالقتْلِ والنّهبِ ، وخفيّها كالحِقْدِ والحَسَدِ . وخصّ البَغْيَ والشّرْكَ والكذبَ على الله بالذّكرِ معَ دُخُولها فى الفَواحِشِ للمُبالغةِ فى الزّجرِ عنها ، ولبَيانِ عَظيمِ إثمِها وضَررِها. وأمّا البَغْيُ فقدْ تقدّمَ لكَ بيانُ مَضارّهِ . وأمّا الشّرْكُ فهو اعتقادُ أنّ فى الخلق منْ يُشابهُ اللهَ فى استِحقاق

العبادةِ ، ويماثِلهُ في الصفّاتِ ،ويُشاركُهُ في الأَفعالِ أوْ يحْملهُ عَلَيها أَوْ يَصدّهُ عنها ، وهو ذنبٌ لا يُغْفَرُ ، يُخَلَّدُ صاحِبُهُ في النّار (إِنَّ اللّهَ لاَيَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بهِ) .

وأَمّا القولُ على الله بغيْرِ عِلْمٍ فهوَ الكَذِبُ والافتراء عليْهِ بِنِسبَةِ أحكامٍ إلى الشَّرعِ كذِباً وبهتاناً فيَضلُّ الكاذِبُ ويضِلُّ غيْرَه ، ويكونُ عليْهِ وِزْرُهُ وَوِزْرُ من تَبِعهُ إلى يوْمِ الدِّين قال الله تعالى(وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقيامَةِ عمَّا كانُوا يفترُونَ) وفي الحَديث الشّريف (لا تَكْذِبُوا عَلَيّ فإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عليَّ متعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ)

وقدْ جاءَ في القُرءانِ الكريم أَنَّ المفتريَ على اللهِ أظْلَمُ النَّاس قال تعالى (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترىٰ علىٰ اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وكفىٰ بهذا الوعيدِ تقبيحاً لهٰذا الذّنبِ العظيم ومنَ الكذِبِ والافتراء على اللهِ تعالى أنْ يَنْسُبَ إلى دِينهِ تلك البِدَعَ الْمُنْكَرَةَ التي انْتَشَرَتْ بينَ النّاس فدَنَّسَتِ اسمَ الدِّين

وهو بَرِىءٌ منها ، وذلك كالمُنْكرَات الَّتى تأتيها زائراتُ القُبورِ وكَحَمْلِ المبَاخرِ الفِضِّيَّةِ والأعلامِ أَمامَ الجنائزِ ، وما يأتيهِ أَرْبابُ الطُّرُقِ فى المواكبِ والاحْتِفالاتِ ، وغير ذلك ممّا يَطُولُ بنَا عَدُّهُ

لم يُحرّمِ الشَّرْعُ أَمرًا إلاَّ لِضَرَرٍ فيه يَلْحقُ البَدَنَ أَوِ النَّفْسَ أَوِ المالَ أَوِ العِرْضَ ، أَو يَضُرُّ بالتَّعامُلِ وارْتباطِ النَّاسِ بَعْضهم ببَعْض . فتَحْرِيمُ الكبائرِ والنَّهىُ عنها منَ المَصالحِ العامَّةِ التى يَسْتَفيدُ منها الفَرْدُ والأُمَّةُ

﴿٢ غايةُ تأديةِ المأمُوراتِ وتَرْكِ المنهيّاتِ﴾

قال اللهُ تبارَكَ وتعالى (قَدْ أَفلَحَ المؤْمِنُونَ الَّذينَ هُمْ فى صلاتِهِمْ خاشِعونَ والَّذينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ والذينَ هُمْ للزَّكاةِ فاعِلونَ والذينَ هُمْ لِفرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاَّ على أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فإنَّهمْ غيرُ مَلومينَ فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذلِكَ فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ والذينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وعَهْدِهِمْ راعُونَ

والَّذِينَ هُمْ على صلَوَاتِهِمْ يُحافِظُونَ أُولئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فيهَا خالدُونَ)

(التفسير)

أفلح فاز ونجا ـ خاشعون خاضعون ـ اللغو . مالا يعني من قول أو عمل ـ ملومين . معاتبين ـ العادون المتجاوزون لحدود الله ـ راعون . محافظون ـ الفردوس . الجنة

كلُّ عمَلٍ لهُ غايةٌ يَرْمى اليها العاملُ ، ويَنتَظِرُها من عمَلِهِ ، وتلكَ الغايَةُ هيَ التى تَبعَثُهُ على الجِدِّ فيهِ ، وتأدِيتِهِ على الوَجْهِ الذِى يَنْبغِى . وكلَّما جَلَّتِ الغايَةُ ، وعظُمَتِ النَّتِيجَةُ ازْدادَتْ رَغبَةُ العامِلِ فى عَملِهِ وجَدَّ فى إِنجَازِهِ . وإِنَّ غايةَ العَمَلِ بالأُمور الدِّينيةِ أَجَلُّ الغاياتِ ، وفائِدَتها أَعْظَمُ الفوَائِدِ . فوائِدُ عاجِلهُ وأُخرَى آجِله .

تأمَّلِ العاملَ بالشَّرْعِ فى جَميعِ أَحوَالهِ تجدْهُ قد حَفِظَ نَفْسَهُ منَ العُقُوباتِ الدُّنيوِيَّةِ فاكتَسبَ رِضاأَهلِهِ وعَشيرَتهِ ، تجدْهُ محبُوبًا ، موثُوقًا بهِ ، مرغوبًا فى مُعامَلَتِهِ ، مُصدَّقًا فى قولهِ وأىُّ فائِدَةٍ أَعظمُ من أَنْ يَقضِىَ الإِنسانُ حَياتَهُ بيْنَ قومٍ يُحِبُّهُم

ويُحِبُّونَهُ تلكَ بَعضُ الفوائِدِ العاجلةِ. أما الآجلةُ فهِيَ السَّعادة في الآخرَةِ، والخلودُ في الجَنَّةِ، نعيمٌ دائمٌ، ورِضوانٌ من اللهِ أكبَرُ، ذَلكَ هو الفوزُ العظيمُ، هذهِ السَّعادةُ الأُخرَويَّةُ وعدَ اللهُ بها عبادهُ المؤمنينَ في هذهِ الآياتِ الكريمةِ وفي غيرها من آيِ القرآنِ الكريمِ، ووعدُ اللهِ لا يتخلَّفُ (إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ)

أخبرَ سبحانهُ وتعالى في هذهِ الآياتِ بنجاةِ المؤمنينَ الخاشعِينَ في صلاتهم، المعرضينَ عنِ اللَّغوِ من الأقوالِ والأفعالِ المؤدِّينَ للزَّكاةِ، الحافظينَ فُرُوجَهُم، المُحافظينَ على الأماناتِ والعُهودِ، المؤدِّينَ للصلواتِ في أَوْقاتِها، وأخبرَ بأنَّهُم يستحِقُّونَ أعلى الجنَّاتِ خالدِينَ فيها أبداً

فالخُشُوعُ في الصَّلاةِ هُو التَّذلُّلُ والخُضُوعُ وخَشْيةُ اللهِ سُبْحانهُ وتعالى فلا يَشتغِلُ المُصلِّي بشيْءٍ خارجٍ عنِ الصَّلاةِ ولا يَعبَثُ بشيْءٍ من جَسدِهِ أَوْ ثيابِهِ، ولا يَلتَفِتُ، ولا يُشبِّكُ أصابِعَهُ ولا يُفرْقِعُ بها، ولا يأتِي أيَّ عمَلٍ غيرِ أعمالِ الصَّلاةِ.

رأى رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ رجلاً يعبثُ بلحيتِهِ فى الصلاةِ فقال : (لوْ خشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارِحُهُ)

والإعراضُ عنِ اللغوِ تركُ كلِّ مالا يعنى من قولٍ أوفعلٍ فَفى الحديثِ (منْ حُسنِ إسلامِ المرْءِ ترْكُهُ مالاَ يعنيهِ)

وحِفظُ الفُرُوجِ كِنايَةٌ عنِ العِفَّةِ إلاَّ عنِ الزَّوجاتِ منْ واحِدَةٍ إلى أربعٍ أوِ السَّرارىِّ والإماءِ المملوكةِ لهُ مهما كانَ عَدَدُهُنَّ فمَنْ تطلَّبتْ نفسُهُ أكثرَ منْ ذلكَ وتجاوزته إلى ماليسَ بمشْرُوعٍ فهوَ منَ العادِينَ الخارِجينَ عمَّا شرعَهُ اللهُ ، المُتناهينَ فى الاسترْسالِ معَ أهوائِهمْ قال تعالى (فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ)

ورعايةُ الأماناتِ والعُهُودِ أنْ تُؤَدِّىَ ما اؤْتُمِنْتَ عليهِ وما عُوهِدْتَ عليهِ على أكملِ وجهٍ ، سواءٌ أكانَ منْ جهةِ النّاسِ كالأموالِ المُودَعَةِ ، أم منْ جهةِ اللهِ تعالى كالتكاليفِ الشَّرْعيَّةِ والأيمانِ والنُّذُورِ والعهودِ

والمُحافظةُ على الصَّلواتِ تأديتُها فى أوقاتها ، مُستوفيَةً

الأَرْكانِ والسُّنَنِ والمَنْدُوباتِ — تَرَى في هاتهِ الآياتِ وفي غيرها من آيِ القرآنِ الحكيمِ أَنَّ الأَعمالَ الصَّالحةَ هيَ التي تُؤَهِّلُ المؤمنينَ للخلودِ في أعلى الجِنانِ والفوزِ بمَنِّ الرَّحمٰنِ، وأما الإيمانُ أو الإسلامُ وحدهُ فغيرُ كافٍ للحُصُولِ على تِلْكَ الدَّرجاتِ وبهذا تَفْهم تَساهُلَ مَنْ يتْرُكونَ الأعمالَ أَولاً يُؤَدُّونها على وجْهِها الأَكْمَلِ مُعْتمِدِينَ على اسْمِ الإسْلامِ، وإنْ عاتبْتَهُمْ قالوا (امَّةُ محمدٍ بخير) ألم يَعلَمُوا أَنَّ الإيمانَ أَصْلٌ لهُ فُرُوعٌ لا بُدَّ من تأدِيتِها قال الإمامُ الغزَالِيُّ: (الأَعمالُ التي هيَ فُرُوعُ الإيمانِ، هيَ تجَنُّبُ المَحارِمِ وأداءُ الفرائِضِ، وهيَ قِسْمانِ. أَحدُهُما بَيْنَكَ وبينَ اللهِ تعالى كالصَّوْمِ والصَّلاةِ. وثانيهما بَيْنكَ وبَيْنَ الخَلْقِ، وهيَ العَدْلُ والكَفُّ عنِ الظُّلمِ، والاصْلُ في ذلكَ أنْ تَعْمَلَ فيما بَيْنكَ وبَيْنَ الخالقِ تعالى منْ طاعةِ أَمرِهِ والازْدِجارِ بِزَجْرِهِ ماتختارُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ عبدُكَ في حقِّكَ، وأَنْ تَعْمَلَ فيما بَيْنَكَ وبينَ النَّاسِ ماتُريدُ أَنْ يَعْمَلَهُ مَعكَ مَنْ سواكَ) وقال بعضُ الحُكماءِ. قِوامُ الأَعمالِ الصَّالحَةِ أنْ تكونَ نافِعاً

لِنَفْسِكَ وَلِأَهْلِكَ وَلِقَوْمِكَ وَلِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بَعِيدًا عَنْ أَنْ تَضُرَّ أَحَدًا إِلاَّ لِكَفِّ ضَرَرٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَاعْمَلْ عَمَلَ الصَّالِحِينَ وَلا تَقْنَعْ بِاسْمِ الدِّينِ، فَالدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا

نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

وَلِكُلِّ عَامِلٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

﴿ الْمَذَاهِبُ ﴾

الْمَذْهَبُ فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ أَحْكَامٍ رَآهَا وَاسْتَنْبَطَهَا بَعْضُ الأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ

لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَةِ كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَسْتَنْبِطَ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ مَآخِذِهَا، لأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي قُوَّةَ إِدْرَاكٍ وَفَهْمٍ وَمَعْرِفَةً وَاسِعَةً بِعُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَعَانِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنَ الأَحْكَامِ، وَقَدِ اجْتَهَدَ

جماعةٌ من كبارِ العلماءِ الذينَ كَمَلَتْ فيهمْ كلُّ الصفاتِ التي توصِّلُهُمْ إلى استنباطِ تلكَ الأحكامِ، متحرِّينَ سبيلَ الحقِّ في تحريرِها وتحقيقِها. وقدِ اشتهرَ منْ تلكَ المذاهبِ أربعةٌ (١) مَذْهَبُ الإمامِ أبي حنيفةَ (٢) مذهبُ الإمامِ مالكٍ (٣) مَذْهَبُ الإمامِ الشافعيِّ (٤) مَذْهبُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبل (وكلُّهُمْ منْ رسولِ اللهِ ملتَمِسٌ) وكلُّها متفقةٌ في اصولِ الدِّين وإنَّما الخلافُ في بعضِ الأحكامِ الفرعيَّةِ — والإنسانُ مُخيَّرٌ في اتِّباعِ أيِّ مذهبٍ منها، وكلُّ امرئٍ اتبعَ مذهباً يُنْسَبُ إليهِ فيقالُ فلانٌ حنفيٌّ أيْ تابعٌ مَذْهَبَ أبي حنيفةَ، وفلانٌ مالكيٌّ أيْ تابعٌ مَذْهَبَ مالكٍ وهكذا

العبادات

(١ — الطَّهارَةُ)

الطَّهارَةُ في لغةِ العربِ النظافةُ، يقالُ طَهُرَ الثوبُ بمعنى تَنظَّفَ، وطَهُرَ الرَّجُلُ منَ العُيوبِ إذا خلا منها، وشرعاً زوالُ النَّجاسةِ الحقيقيَّةِ أوِ الحُكميَّةِ

﴿ ٢ — النَّجاسةُ الحقيقيَّة ﴾

النَّجاسةُ الحَقيقيّة هيَ الأَعْيانُ المُسْتَقْذَرَةُ شَرْعًا وهى قِسْمانِ مُغَلَّظَةٌ ومُخَفَّفَةٌ ، فَمِنَ المُغلَّظَةِ (١) الخَمْرُ (٢) الدَّمُ المَسفُوحُ (٣) لَحْمُ المَيْتَةِ ذَاتِ الدَّمِ وجِلْدُها الذى لم يُدْبَغْ (٤) بوْلُ مالا يُؤْكلُ لَحمُهُ كالآدَمىِّ (٥) رَجيعُ الكَلْبِ وسِبَاعِ البَهائِمِ ولُعابُها وخُرْءُ نَحْوِ الدَّجاجِ والبَطِّ من كل مالا يَزْرُقُ فى الهواء (٦) كلُّ ما يَنْقُضُ الوضوءَ بخُرُوجِهِ مِنْ بَدَنِ الإِنسانِ كالدَّمِ السّائِلِ والقَيْءِ مِلْءَ الفَمِ

ومن المخَفَّفَةِ (١) بَوْلُ كلِّ حيَوانٍ يُؤْكلُ لحمُهُ كالإِبلِ والبقَرِ (٢) رَوْثُ الحَيوانِ . سواءً كانَ روثَ مأكولٍ أَمْ لا (٣) زَرْقُ طَيْرٍ لا يُؤكلُ لَحمُهُ كالحِدَأَةِ

﴿ ٣ — ما يُعْفىٰ عنهُ مِنَ النَّجاساتِ ﴾

النَّجاسةُ إما مائِعةٌ وإمَّا مُتَجَسِّدَةٌ ، فإِذا كانَتْ مائِعَةً يُعْفى عن قَدْرِ مُقَعَّرِ الكَفِّ [١] منَ النَّجاسَةِ المغَلَّظَةِ ، وعنْ أَقَلَّ من

(١) وطريقة معرفة مقعر الكف أن تغرف الماء باليد ثم تبسط الكف فما بقى فيه من الماء فهو مقدار مقعر الكف

رُبُعِ الثَّوْبِ الكاملِ ، أو البَدَنِ كلِّهِ مِنَ النَّجاسةِ المخفَّفةِ ، وإذا كانَتْ متَجَسِّدَةً يُعفى عن قدر الدِّرهم من المغلَّظة ، وعنِ القَليلِ منَ المخفَّفةِ دُونَ الكَثيرِ (القَليلُ ما يَستقِلُّهُ النَّاظِر والكَثيرُ ما يَستَكثِرهُ الناظرُ) ويُعفى عمّا لا يُمكِنُ الاحترازُ عنهُ كَرَشَاشِ بَوْلٍ كَرُؤوسِ الإبَرِ وما يُصيبُ الثَّوبَ من طينِ الشَّوارِعِ بشَرْطِ أن لا تُعلَمَ فيهِ عينُ النَّجاسةِ

﴿ ٤ — المُطَهِّرُ للنَّجاسةِ ﴾

يُطَهِّرُ النَّجاسةَ أَشياءُ منها (١) الغَسلُ بكلِّ مائعٍ طاهرٍ مُزيلٍ للنَّجاسةِ كالماءِ والخلِّ — وتحصُلُ الطَّهارَةُ من النَّجاسةِ المرئيةِ بزوالِ عينِها بالغَسلِ ولو مرّةً واحدَةً — ولا يَضرُّ بقاءُ أثرٍ يَشُقُّ زوالُهُ — ومن غيرِ المرئيّةِ بالغَسلِ والعَصرِ حتّى يَغلِبَ على الظَّنِّ أَنّها طَهُرَتْ (٢) المَسحُ بخِرْقَةٍ ونحوِها لكلِّ صَقيلٍ لا تتخلَّلُهُ النَّجاسةُ كالسَّيفِ والزُّجاجِ (٣) الاستِحالة وانقِلابُ حقيقةِ الشَّيءِ كاستِحالةِ الخمرِ خَلّاً (٤) الإحراقُ بالنّارِ إذا زالَ به أثَرُ النَّجاسةِ (٥) الدَّلكُ للخُفِّ والنَّعلِ بالأرضِ والتُّرابِ

إِذَا كانَتِ النَّجاسَةُ ذَاتَ جِرْمٍ (٦) جَفافُ الأَرْضِ وكلٌّ مُتَّصل بها اتِّصالَ قَرَار كالحائِطِ . وهذِهِ الطَّهارةُ مُعتبرةٌ فى حقِّ الصَّلاةِ دُونَ التَّيَمُّمِ

﴿ ٥ — النَّجاسةُ الحُكْمِيَّةُ ﴾

النَّجاسةُ الحُكْمِيَّةُ هِىَ الحدثُ الذِى يوجبُ الوُضوءَ أَوِ الغُسْلِ . وتَنقَسِمُ قِسمَيْنِ . صُغْرى وكُبْرَى . فالصغْرَى هِىَ التى توجبُ الوُضوءَ ، والكُبْرَى هِىَ التى توجِبُ الغُسْلَ وقد تَقدَّمَ الكلامُ فى الوضوء فى مُقَرَّرِ السَّنة الثَّانية وسَنَتَكلَّمُ فى الغُسْلِ وفى التَّيَمُّمِ الذى يَقوم مَقَامَهما

﴿ ٦ — الغُسْلُ ﴾

فُروض الغسْلِ [1] المَضْمَضَةُ . والاستِنْشاقُ ، وغَسْلُ سائِرِ البَدَنِ معَ تَعَهُّدِ مَنابِتِ الشَّعرِ

ومِنْ سُنَنِهِ النِّيَّةُ ، والتَّسْمِيَةُ ، وغَسْلُ اليَدَيْنِ أوَّلا ،

---

(١) فروضه عند مالك النية والموالاة وتعميم ظاهر الجسد بالماء والدلك وتخليل الشعر وأصابع الرجلين — وعند الشافعى النية وإزالة النجاسة ان كانت على البدن وإيصال الماء إلى جميع الشعر والبشرة

وإزالةُ النَّجاسَةِ إنْ كانَتْ على الْبَدَنِ ، والتَّوَضُّؤُ كَوُضوءِ الصَّلاةِ ، وإفاضَةُ الماءِ ثلاثًا ، والدَّلْكُ ، وصَبُّ الماءِ على الرَّأْسِ ، والبَدْءُ بِغَسْلِ الأَيْمَنِ

وآدابُهُ هي آدابُ الوُضوءِ — وكَيْفِيَّتُهُ أَنْ يُسَمِّيَ اللهَ تعالى ثمَّ يَنْوِيَ الغُسْلَ ويغْسِلَ يَدَيْهِ ويُزِيلَ النَّجاسةَ التي على بَدَنِهِ إنْ كانَتْ ، ويَتوضأُ وُضوءَ الصَّلاةِ إلاَّ رِجْلَيْهِ إنْ كانَ في مَوْضعٍ تَجْتَمِعُ فيهِ المياهُ ثمّ يُفيضَ الماءَ على جِسْمِهِ ثلاثًا ، بادِئًا بِرأسِهِ ، ثمَّ بمَنْكِبِهِ الأيْمَنِ ، ثمَّ الأَيْسَرِ ، ويَدْلُكَ جميعَ جَسَدِهِ ويتعَهَّدَ مَنابتَ شَعرِهِ ، ثمَّ يَغْسِلَ رِجلَيْهِ

ولَيْسَ عَلَى المَرْأَةِ أَنْ تنقُضَ صَفائِرَها إذَا بلَغَ الماءُ أُصولَ الشَّعَرِ ، وعلى الرَّجُلِ نقْضُ ضفيرَتِهِ لِعَدَمِ الحَرَجِ ولأَنَّها لَيْسَتْ من زِينَتِهِ

﴿ ٧ — التَّيَمُّمُ ﴾

إذا جاءَ وَقْتُ الصَّلاةِ وكُنْتَ مُحْدِثًا ولم تجِدْ ماءً تَتوَضَّأُ به

أَو تَغْتَسِلُ ، أَو كانَ الماءُ بَعيدًا عَنْكَ مِيلاً شرْعيًا [1] ، أَو وَجَدْتَ ماءً ولَكِنَّكَ تَخْشَى مِنَ استِعْمالِهِ مَرَضًا أَو زِيادَتَهُ أَو تأخُّرَ الشِّفاء منْهُ ، أَوْ كُنْتَ تَحْتاجُ إِلَيهِ لشُرْبِ إنْسانٍ أَو حَيَوانٍ ولوْ كلْبَ حِرَاسةٍ ، أَو لِعَجْنٍ أَو طَبْخٍ يَضُرُّكَ عَدَمُهُ ، أو تَعذَّرَ عَلَيْكَ الوُصولُ اليْهِ لسَبَبٍ مَّا كَخَوْفِ عَدُوٍّ أَوْ فَقْدِ أَداةٍ ، وجَبَ عليْكَ أَنْ تَتَيَمَّمَ وتُصلِّيَ — وكَيْفيَّةُ التَيَمُّمِ أَنْ تُسَمِّيَ الله تعالى وَتَنْوِيَ اسْتِبَاحةَ الصَّلاةِ ثمَّ تَضَعَ يدَيكَ مُفرَّقًا أَصابِعَهُما على تُرابٍ طاهِرٍ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ كلِّ طاهِر مِنْ جِنْسِ الأَرْضِ [2] ثمَّ تنفُضَ يدَيْكَ ثمَّ تَمْسَحَ بِهِما وجهَكَ ، ثمَّ تَضَعَهُما على التُّرابِ مرَّةً ثانيةً وتَمْسَحَ بهما يَدَيْكَ إلى مِرْفَقَيْكَ مقدِّمًا اليُمنى ، ثمَّ تُصلِّي ما تَشاءُ مِنَ النَّوافِلِ والفُرُوضِ [3]

---

(١) أى كيلومترين تقريباً

(٢) كل ما يحترق بالنار فيصير رماداً كالشجر أو ينطبع ويلين كالحديد فليس من جنس الارض وما عدا ذلك فهو من جنسها

(٣) لا يجوز صلاة أكثر من فرض بتيمم واحد عند مالك والشافعى

وينقضُ التيمّمَ زوالُ العذرِ المبيحِ له وناقضُ الوضوء

﴿ آيةُ الطهارةِ ﴾

قال اللهُ تعالى (يأيُّها الذينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصلاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأيْدِيكُمْ إلى المَرافقِ وامْسَحُوا بِرُءوسِكُمْ وأرْجُلَكُمْ إلى الكَعْبَيْنِ وإنْ كُنتمْ جُنُباً فاطَّهَّرُوا وإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أوْ على سفرٍ أوْ جاءَ أحدٌ منكُمْ منَ الغائطِ أوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فلمْ تجِدُوا ماءً فتيمَّمُوا صعيداً طيِّباً فامْسَحُوا بِوُجُوهِكمْ وأيْدِيكمْ منْهُ ما يُرِيدُ اللهُ ليَجْعَلَ عليكُمْ منْ حَرَجٍ ولكنْ يُرِيدُ ليُطهِّرَكُمْ وليُتِمَّ نِعمتَهُ عليكُمْ لعلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

(التّفسير)

المرافق جمع مرفق وهو مفصل الذراع عن العضد — الكعبان هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل عند مفصل الساق عن القدم — الجنابة وصف يوجب الغسل — الغائط المكان المنخفض والمراد بالمجىء منه قضاء الحاجة — الملامسة تماس البدنين بشىء من أجزائهما — الصعيد وجه الارض — الطيب الطاهر الحرج الضيق

نَصَّ سبحَانَهُ في هذهِ الآيةِ الكريمةِ على وجُوبِ الطَّهارَة للصَّلاةِ بالوُضوءِ أو الغسلِ ، وعلى التَّيَمُّمِ عِنْدَ عَدمِ وُجُودِ المَاء. ومَعنى الآيَةِ إذا أَرَدتُمُ القِيامَ إلى الصلاةِ وكنتمْ مُحْدِثِينَ فاغسِلوا وُجُوهَكم وأَيدِيكمْ مَعَ المرَافقِ وألْصِقُوا المَسْحَ برُءُوسكمْ وإلْصاقُ المَسْحِ يَصْدُقُ بمسحِ الكلِّ كما قالَ مالِكٌ ، وبمسحِ الرُّبُعِ كما قال أبُو حنِيفةَ ، وبمَسْحِ البَعْضِ ولو بَعْضَ شَعرَةٍ كما قال الشَّافِعِيُّ . واغسلوا كذَلكَ أرْجلَكمْ معَ الكَعبَيْنِ وإنْ كُنتمْ جُنُباً [1] فاغتَسِلوا ، وإنْ كنتُم مَرضَى مرضاً تخافونَ زيادَتَهُ أو الهلاكَ مِنهُ باستِعمالِ المَاءِ ، أوْ كُنتمْ مُسافِرِينَ أَوْ أحدَثتم أَوْ لامَستمُ النِّساءَ وطَلبتمُ الماءَ لِتتوَضئُوا أَوتَغتسِلوا فلم تجِدُوهُ فاقصِدُوا شيْئاً طاهِراً منْ وجهِ الأرْضِ كالتُّرابِ فامْسَحُوا بوُجوهكم وأيدِيكمْ مِنه ، ما يُرِيدُ اللهُ بما فرَضَ عليكم منَ الوُضُوءِ والغسلِ تَضْيِيقاً عَليكم ولكنْ يُرِيدُ لِيُطهِّرَكم منَ الأحْدَاثِ بالمَاءِ إذا وُجِدَ وبالصَّعيدِ إذا فُقِدَ ، وليُتِمَّ نِعمتَهُ

---

(١) الجنابة وصف يقوم بالبدن من نحو الحيض والنفاس يوجب الغسل

عَلَيكم بترخيصهِ فى التيَمُّم بدَلَ الوُضوء والغسلِ لِتشكروا نعمهِ بطاعتِكم إيَّاهُ فيما أمرَكم بهِ ونهاكم عَنهُ

﴿ حِكْمَةُ الطَّهارَةِ ﴾

أجمعَ الأطبَّاءُ على أنَّ فى الجَسَدِ مَسامَّ تفرزُ عرَقاً وموادَّ دُهنيةً وأملاحاً تمتزجُ بالغبارِ وتلتصقُ بالجلد وتَسُدُّ مَسامهُ فيتغطَّى بطبقةٍ تمنعُ خروجَ العرَقِ والتَّنفُّسَ الجلديَّ وتُسبِّبُ الأمراضَ فضلاً عَنِ القذَرِ ، ودلَّتْ تجاربُهمْ على أنَّهُ إذا طُلِيَ جلدُ حيوانٍ بمادَّةٍ مانعةٍ لخروجِ ما ينبعثُ منهُ ماتَ كما يموتُ إذا حُجزَ عنهُ الهواءُ ، ولهذا أوجبُوا غسلَ الجسمِ والمحافظَةَ على نظافتِهِ منَ الأقذارِ والغبارِ لِفتحِ مَسامِّ الجلدِ وتنشيطهِ للعمَلِ ، وتقويةِ الأعصابِ ،ومنعِ الأمراضِ الجلديةِ والنَّظافةُ منْ ضرورياتِ الحياةِ وكلَّما ارتقتْ أمَّةٌ ازدادَ أفرادُها اعتناءً بنظافةِ أجسادِهمْ وملابسِهمْ وما يحيطُ بهِمْ ، ونفرُوا منْ معاشرَةِ القذرِ المُهملِ للنظافةِ

ومنَ الحِكَمِ التِي لا يخلو منْ معناها دِينٌ منَ الأديانِ

« النظافة من الإيمان) وقد جعل الدين الإسلامى النظافة من شعائره فحرم الصلاة على كل مسلم لم يتطهر أولا (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) . راعى الشارع الحكيم مصلحة الجسم والروح معا ففرض الوضوء للصلاة وفيه كما تعلم تنظيف الأعضاء المكشوفة من الجسد غالبا المعرضة للأوساخ والغبار . وفرض الغسل الذى هو غسل جميع أجزاء الجسم غسلا محكما عند حصول موجباته وسنه للاجتماعات كصلاة الجمعة والعيدين ليأمن الإنسان من الأمراض التى تنشأ من الأوساخ وليألفه الناس ولا يأنفوا من مخالطته فى الصلوات وغيرها ، ولتنشرح روحه وينشط لعبادة ربه ، فيأتى بها على الوجه الأكمل ويجمل ظاهره فيكون عنوان جمال باطنه ، وقد جاء فى الأثر (الطهور شطر الإيمان) ولا معنى لهذا إذا كان قاصرا على نظافة الظاهر . وحتم الشارع أيضا طهارة المكان والثوب لكل صلاة تخلصا من أذى النجاسة والأقذار ، واستكمالا لما يجب أن يراعى عند مناجاة العزيز الغفار ،

سُبْحانَهُ من إلهٍ حكيمٍ، هدانا إلى ما به قِوامُ صِحّتِنا وطَهارَةُ أرْواحِنا

﴿أسْرارُ الصَّلاةِ﴾

لِلصَّلاةِ أسْرارٌ عِدَّةٌ وحِكَمٌ بالِغَةٌ. منها أنّها (١) تُهذِّبُ النُّفُوسَ ولا سيّما نُفوس المُتكبِّرينَ. الّذينَ يأْنَفُونَ من مَسِّ الأرْض بذُيُولِهِمْ فَضْلاً عنْ جِباهِهِمْ ووُجُوهِهِمْ (٢) تُمَرِّنُ النّاسَ على الانْقِيادِ والخُضُوعِ (٣) تُعوِّدُ الإنْسانَ النِّظامَ والثّباتَ وقُوَّةَ العَزِيمَةِ والمُحافَظَةَ على المَواعِيدِ (٤) تُذَكِّرُ الغافِلِينَ والمُنْهَمِكِينَ في أعْمالِ الدُّنْيا بمَوْلاهُمْ، وبِنِعْمَتِهِ عليهِمْ، وعِلْمِهِ بشُئُونِهِمْ، وقُدْرَتِهِ على التَّصرُّفِ فيهم

ولا رَيْبَ أنّهُ إذا اسْتَيْقَظَ الإنْسانُ منْ نَوْمِهِ بادَرَهُ مَرَضُ الغَفْلَةِ عَنِ اللهِ تعالى باهْتِمامِهِ فيما يَفْعَلُهُ في يَوْمِهِ، فإذا قامَ إلى صَلاةِ الصُّبْحِ وتَطَهّرَ بالغُسْلِ أوبالوُضوءِ، ولاحَظَ أنّ هذهِ الطّهارةَ بعيْنها للوُقوفِ بيْنَ يَدَيْ خالِقِهِ، ثمّ شَرَعَ في

الصَّلَاةِ مُعْتَقِدًا كبرياءَ ربِّهِ وأنَّهُ أكبرُ من كلِّ كبيرٍ ، وأخذ يُوقِظُ نَفْسَهُ من سِنَةِ الغفلةِ بالثناءِ على ربِّهِ ، ووصفِهِ بالرَّحمةِ والرُّبُوبيَّةِ، والتَّصرُّفِ المُطْلَقِ في خلقِهِ، والإقرارِ لهُ بالعُبُوديَّةِ، وطلَبَ مِنهُ الاستِعانةَ والهِدَايةَ إلى الصِّرَاطِ المستقيمِ ، ثمَّ تقلَّبَ بيْنَ أجزاءِ الصَّلَاةِ مُرَاعِياً في كلِّ جُزْءٍ منْ أجزائها أُصُولَ الأَدَبِ والخُضُوعِ، لم يَفرُغ من صلاتهِ إلاَّ وقدِ امتلأَ قلبُهُ بجَلَالِ خالقِهِ المُنْعِمِ عليهِ ، وعقدَ النيَّةَ على عمَلِ كلِّ ما يُرْضيهِ واجتنابِ كلِّ ما يُسْخِطُهُ ، ثمَّ إذا قامَ لأعمالِهِ الدُّنيويَّةِ وانْهمكَ فيها فلا بُدَّ أنْ يُعاوِدَهُ مَرَضُ الغَفلةِ بعُرُوضِ أسبابِهِ كما يَنتكِسُ المريضُ ، فإذا شَرعَ في صلاةِ الظُّهْرِ ثمَّ العصرِ ثمَّ المغربِ ثمَّ العِشاءِ دامَ تذَكُّرُهُ لمَوْلاهُ ، وتيقَّنَ أنَّهُ عَبْدُهُ يلْتَمِسُ رِضاهُ، فيُكفى بذلكَ شرَّ نفسِهِ، ويَكفي إخوانَهُ ما يَسُوءُهم من أطماعِهِ وشُرُورِهِ ، ومن هُنا يَظْهر معنى قولِهِ تعالى (إنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ) هذهِ الصَّلَاةُ التي يتفرَّغُ فيها الإنسانُ لمُناجاةِ ربِّهِ ويَستحضِرُ فيها عظَمتهُ وجلالَهُ ويَخْضعُ فيها كلَّ

الخضوع هيَ الصلاةُ التي تنهى عنِ الفحشاء والمنكر، أمّا من اقتصرَ في أداء صلاته على أداء ظواهر أفعالها فقط، فهذا قلّما تُنتجُ له صلاتهُ تلكَ النتيجةَ، بل رُبّما كانت وبالاً عليه، إذِ الغفلةُ في الصلاةِ لا تنشأ إلاّ من عدمِ مُراعاةِ الخالق، ولا شكّ أنّ هذا يُغضبهُ، وقدِ اهتمّتِ الأممُ الرّاقيةُ من زمنٍ غيرِ بعيدٍ بتهويةِ أجسامِ أبنائها لتقوى عقولهم فحتّمتِ الألعابَ الرّياضيّةَ في مدارسها وحدّدت لها أوقاتاً معيّنةً، والدّينُ الإسلاميُّ سبقهم إلى ذلكَ بفرضِ الصلاةِ وجعلِ أوقاتها عندَ القيامِ منَ النّومِ وهوَ وقتُ الكسلِ المحتاجُ فيهِ الإنسانُ إلى النّشاطِ بالوضوءِ أو الغسلِ، ثمّ بالأعمالِ البدنيّةِ الشّاملةِ كلّ الأعضاءِ، وفي وقتِ الظّهيرةِ بعدَ أن يتعبَ الجسمُ، ثمّ في أوقاتِ العصرِ والمغربِ والعشاءِ، وهذهِ الأوقاتُ كلّها يكونُ الإنسانُ فيها محتاجاً إلى الرّياضةِ، وإنّكَ لترى الرّجلَ قد أنهكهُ العملُ واستولى عليهِ المللُ . فإذا تطهّرَ وصلّى عادت إليهِ قواهُ وأقبلَ على عملهِ بنشاطٍ، وقد اعتادَ بعضُ النّاسِ عندَ قيامهِ منَ النّومِ

وَفى أوقاتِ فَرَاغِهِ أنْ يلعَبَ ألعاباً رياضيَّةً ليُقَوِّيَ صِحتَهُ ويُجَدِّدَ قوَّتَهُ، ولوِ استعاضَ هذا بِصَلاةِ ما فرَضَ اللهُ عليهِ، وزادَ منَ النَّفلِ ماشاءَ لاستفادَ تلكَ الفائدةَ الجسميَّةَ، وحصلَ على فوَائدِ أسْرَارِ الصَّلاةِ الرُّوحيَّةِ

﴿ تَرْكُ الصَّلاةِ من الكبائرِ ﴾

حثَّتِ الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ على إقامةِ الصَّلاةِ لمَا فيها منَ الأسْرَارِ والحِكَمِ، وشَدَّدَتِ النَّكيرَ على مَنْ يتركُها عمداً غيرَ مُعتقدٍ وُجوبَها، حتَّى حكمَتْ عليهِ بالكفرِ، فَفى الحَديثِ الشَّريفِ (العهدُ الَّذى بيننا وبينَهمُ الصَّلاةُ فمَنْ تركَها فقدْ كَفرَ) يقولُ بعضُ تاركِي الصَّلاةِ. إنَّ اللهَ غنيٌّ عنْ صلاتِنا، وفاتهمْ أنَّهمْ بذلكَ كالمرْضَى الَّذينَ يأمرُهمُ الطَّبيبُ النَّاصحُ بتناوُلِ الدَّواءِ النَّاجعِ، فإنْ همُ امتنَعوا وقالوا أنْتَ غنيٌّ عنْ تناوُلنا الدَّواءَ، فقدْ عجَّلوا لأنفسِهمُ الهلاكَ والدَّمارَ، إنَّ هؤلاءِ فى شدَّةِ الحَاجَةِ إلى التَّهذيبِ والتَّذكيرِ والتَّمرُّنِ على الطَّاعةِ والانتهاءِ عنِ الفحْشاءِ والمنكَرِ «وإنْ كانَ اللهُ غنيًّا عنهمْ وعنْ

أعمالهم » والصلاةُ كفيلةٌ بذلك كلِّه

وقد سهَّل الشارعُ الطريقَ إلى الصلاةِ حتى لا يكونَ عذرٌ لتاركيها ، فأجازَ التيمُّمَ لمنْ تعذَّرَ أو تعسَّرَ عليهِ التطهُّرُ بالماء ، وسوَّغَ لمنِ اشتبهتْ عليهِ القبلةُ أنْ يتحرَّى ويُصلِّيَ إلى الجهةِ التى يغلبُ على ظنِّهِ أنَّها القبلةُ ، ولِمَنْ عجزَ عنْ سترِ العورةِ بثوبٍ طاهرٍ أنْ يُصلِّيَ بدونِ ساترٍ قاعدًا مومِيًا بركوعٍ وسجودٍ ، ولمنْ عجزَ عنِ القيامِ فى الفرضِ أنْ يُصلِّيَ قاعدًا ، فإنْ عجزَ عنِ القعودِ فمضطجعًا ، فإنْ عجزَ فمومِيًا حتى اكتفى منهُ بإشارةِ رأسِهِ إلى أعمالِ الصلاةِ ، وجوَّزَ الصلاةَ بالنعلِ متى كانتْ خاليةً منَ النجاسةِ ، كما أجازَ لهُ القضاءَ إذا لمْ يتمكَّنْ منْ تأديةِ الصلاةِ فى وقتِها ، إلى غيرِ ذلكَ منْ أنواعِ التيسيرِ التى رفعتْ عنِ المصلِّى كلَّ تضييقٍ « وما جعلَ عليكمْ فى الدِّينِ منْ حرجٍ » فعلامَ يعتمدُ تاركُ الصلاةِ إذا وقفَ أمامَ مولاهُ ؟

خسرَ الذى تركَ الصلاةَ وخابا   وأبى معادًا صالحًا ومآبا
إنْ كانَ يجحدُها فحسبُكَ أنهُ   أضحى بربِّكَ كافرًا مرتابا

أوكانَ يترُكها لنوعِ تكاسلٍ   غطّى على وجهِ الصوابِ حجابا

فَليَتّقِ اللهَ تاركُ الصلاةِ وليَتُبْ من ذنبِهِ ويُؤدِّها ويُحافِظْ عليها، ليَستيقِظَ منْ غفلتِهِ ويأمَنَ شرورَ الدُّنياوعذابَ الآخرةِ

﴿ ٩ — حكمَةُ الزَّكاةِ ﴾

الزَّكاةُ هيَ تمليكُ الغنيِّ جُزْءًا مُعَيَّنًا منْ مالِهِ لأُناسٍ مخصوصينَ بشرائطَ مخصُوصةٍ . وهيَ رُكْنٌ منَ الأركانِ التي بُنيَ عليْها الإسلامُ ، اقتضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تعالى فى انتظامِ شئُونِ العالَمِ أنْ توجدَ فيهِ المُتَبايناتُ فترَى فيهِ العاقلَ والمجنُونَ ، والقويَّ والضَّعيفَ ، والغنيَّ والفَقيرَ . والذَّكِيَّ والبليدَ ، وغيرَ ذلكَ ، ولوْ كانَ النَّاسُ على حالةٍ واحِدَةٍ ما تَمَّ نِظامُ الكَوْنِ ولتعَطلَتْ مَصالحُهُ ، إذْ لوْ كانوا كلُّهُمْ أَغْنياءَ لمْ يكُنْ هُناكَ دَاعٍ يدْعُوهم إلى السَّعْيِ ، لأنَّهُ لا خوْفَ عندَهُم منَ الفقرِ ، ولوْ كانوا جميعاً فقراءَ لمْ يكنْ باعِثٌ إلى العَمَلِ ، لأنَّهُ لا طَمعَ فى الغِنى ، فالحِكْمةُ إذا إيجادُ الغِنى والفقرِ ومراتِبَ بينَهُما : ليكونَ هناكَ باعِثٌ على العَمَلِ ، فكلَّما وصلَ الإنسانُ إلى مرْتبَةٍ طمعَ

فِيما فَوْقَها فَشَمَّرَ عنْ ساعِدِ الجِدِّ والكَدِّ فى العَمَلِ ، واقتضَتْ حكمَتُه تعالى أنْ يُخَفِّفَ آلامَ الفقيرِ رأفةً بهِ ، فجعَلَ على الغنىِّ فى مالهِ جزءًا معلوما يَدْفَعُهُ إليهِ فى كلِّ حين يَسُدُّ بهِ عَوَزَهُ ، ويُخَفِّفُ بلاءَهُ ، ويكْفيهِ حاجَتَهُ الضَّرُورِيَّةَ ، وبذلك يَعُمُّ الأَمْنُ ، فالغنىُّ يَتَمَتَّعُ بمالهِ آمِناً ، والفقيرُ يُكْفَى المَئونَةَ فيأمَنُ النَّاسُ شُرُورَهُ ، فإنَّ كَثيرًا منْ أنواعِ الشُّرُورِ : كالسَّرقَةِ ، والنَّهْبِ ، والغَصْبِ ، والاخْتِلاسِ ، والغِشِّ ، والخَديعةِ ، يَنْشا من اضْطِرارِ الفُقَراءِ وضيقِ ذاتِ يَدِهِمْ ، فإذا أدَّى الأَغْنياءُ زكاةَ أموالِهم كانَ ذَلِكَ سَبَباً فى دَفْعِ الشُّرُورِ ، وتثبيتِ دَعائمِ الأَمْنِ ، وتَقْليلِ مَتاعِبِ النَّاسِ والحُكُومَةِ ، ولا تَنْسَ أنَّ الزَّكاةَ مُطهِّرَةٌ للإنسانِ منَ البُخْلِ الذى هوَ أقبحِ الصفاتِ وأرْذَلِ الخِصالِ ، لأنَّ داءَ البُخْلِ فى الأَغنياءِ يُوَلِّدُ الحسَدَ فى الفقراءِ ، وناهيكَ بهذَيْنِ الدَّاءَيْنِ منْ مُفرِّقٍ بيْنَ القلوبِ ومُوقعٍ فى المَهالِكِ (ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحونَ) وزِدْ على ما تقدَّمَ أنَّها تُوجِدُ بيْنَ المُذَكِّى ومنْ يدْفعُ إليْهِمُ الزَّكاةَ صِلةَ تَراحُمٍ وَموَدَّةٍ

تفُوقُ صِلةَ القَرابَةِ ، فإنّها لم تخرُجْ عنْ كَونِها إحْساناً يَستَعبِدُ الأَحرارَ

أَحْسِنْ إلى النَّاسِ تَستَعْبِدْ قُلوبَهُمُ
فَطالمَا استَعْبدَ الإِنْسانَ إِحْسان

فالزَّكاةُ رُكْنٌ ركِينٌ منْ أرْكانِ الدِّينِ والمدَنيَّةِ، وفَضيلةٌ منْ أكمَلِ الفَضائلِ الإنْسانيَّةِ . ولوْ وُفِّقَ جميعُ الأَغْنياءِ لدَفْعِ زكاتِهمْ لخفَّتْ آلامُ الفُقراءِ وقلَّتْ مَصائبُهُمْ ، ورأيْنا الوِفاقَ تامًّا بينَهُمْ وبينَ الأَغْنياءِ

﴿ جزاءُ مانعِ الزَّكاةِ ﴾

مَنْعُ الزَّكاةِ كَبيرَةٌ منَ الكَبائرِ . وهَدْمٌ لرُكْنٍ منْ أَعظمِ أرْكانِ الإسْلامِ ، وقدْ أوْعدَ اللهُ مانِعِيها بالعِقابِ الشَّديدِ ، فقال (والذينَ لا يَكنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَها في سَبيلِ اللهِ فَبشِّرْهم بِعذابٍ أَليمٍ)

وقال تعالى حاكياً جوابَ المُجرمينَ حينَ يُسألونَ عن سببِ دُخولِهمْ جهنَّمَ (ما سلَككُمْ في سَقَرَ قالُوا لمْ نَكُ مِنَ المُصلِّينَ

ولَمْ نَكُ نُطعِمُ المِسكين) الى غير ذلك منَ الآياتِ . ومنعُ الزّكاةِ مُقوّضٌ لأرْكانِ المَدَنيَّةِ ، لِمَا علمْتَ منْ أنّها تؤلِّفُ القُلوبَ ، وتُزيلُ البَغضاءَ والحِقْدَ ، وتؤمّنُ على الأرْواحِ والأموالِ ، وتُديمُ الأمْنَ العامّ ، ومانِعُها عُرْضةٌ لِانْتِقامِ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى يَسلُبُ مِنْهُ نعمَتَهُ فيُذيقهُ الذُّلّ بعدَ العزّ ، والتعبَ بعْدَ الرّاحةِ والحُزْنَ بعْدَ المَسَرّةِ ، والضّعفَ بعْدَ القوّةِ ، ويُصبحُ مُستَحِقاً للزّكاةِ بعْدأنْ كانَتْ تُرْجى مِنه ، وكمْ شاهَدْنا منْ أُناسٍ عوقبوا هذا العقابَ الأليم فبعْضُهمْ سلّطَ اللهُ عليهم أولادَهم فبَدّدُوا في أموالهمْ ، وبَدّدوها في غيرِ مُرادِهمْ ، وأمثالُ هؤلاءِ يُعدّونَ بالمئين ، وبعضُهمُ ابتلاهم بالعِلَلِ والأمراض فأنفقوا في التّخلّصِ منها الأموالَ الكثيرة ، وصرفوا أضعافَ أضْعافِ ما كانوا يَصْرفونه في الزّكاةِ ، فضلاً عنْ تَشتّتِ أفكارهمْ ، وضيقِ نفوسِهمْ ، مانعُ الزّكاةِ بَخيلٌ شَحيحٌ . لا يَسلمُ مالُهُ من الحوادِث ، وشَراهةِ الوارث ، ففي المَثَلِ « بشّرْ مالَ الشّحيحِ بحادثٍ أو وارثٍ » فالحادثُ يَذهبُ بمالهِ وهو محزونٌ عليه ، والوارثُ

قَدْ يُنفقهُ فى غير طاعةِ اللهِ، وهُوَ يُسألُ عنْ كلِّ مثقال خرْدلةٍ منْهُ ويحاسَبُ عليه «يومَ لا ينفعُ مالٌ ولاَ بنُونَ» كمْ أَرَتْنا الأيَّامُ حوادِثَ، وَأَلْقتْ علينا دُرُوساً لوْ تفهمناها حقَّ التفهُّمِ، وأعَرْناها جانِبَ الانْتباهِ لكانَتْ أَعْظَمَ زَاجرٍ وأَبْلغَ واعظٍ، فكثيرًا ما رَأَيْنا الوارِثَ يَضِنُّ على مُورِّثهِ بالْقَليلِ، وَيَنْتظِرُ نَفَسَهُ الاخيرَ، حتى إِذا ما قضَى نَحْبَهُ وغُيِّبَ فى التُّراب لاَ يلْبثُ أَنْ يهجُمُ على أَموالهِ فرِحاً بِلِقائِها، وما كانَ لقاؤُها إِلاَّ بموْتِ مُوَرِّثهِ، فهوَ فَرِحٌ بزَوالهِ، وإِنْ بَكَى وناحَ، فَعلاَمَ يَرْمى الإِنْسانُ نَفْسهُ فى الْبلاَءِ، ويَمْنعُ زَكاةَ مالهِ لأَجْلِ هذا الوارثِ الذى لا يَعْبأُ بهِ ولا يهتمُّ بشأنهِ، ما هذا إِلاَّ جَهْلٌ فاضحٌ، وغباوَةٌ مُستحكِمَةٌ فَلْيُؤَدِّ الإِنسانُ زكاةَ مالهِ لِينجُوَ منْ عذابِ ربِّهِ، وما بَقِىَ بعد ذلك يَعيشُ بهِ مُدَّةَ حياتهِ آمِناً مُطمئناً. فإِذا خرَجَ منَ الدُّنيا وفضَلَ شَىْءٌ خرَجَ ممْدُوحاً لدَى الخلْقِ راضياً عنْهُ الخالقُ

﴿ ١٠ — الصَّلاةُ وَالزكاة من أسبابِ رحمةِ الله ﴾

قال الله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يأْمُرُونَ بالْمَعروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ويُقِيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ ويُطِيعونَ اللهَ ورَسُولَهُ أُولَئِكَ سيَرْحَمُهُمُ اللهُ إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حكِيمٌ)

« التفسير »

الوَلِىُّ المُحِبُّ أَو الصَّدِيقُ أَو النَّصيرُ وكلُّها تُناسِبُ الآيَةَ فَإِنَّ شأْنَ الْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَتَحابُّوا ويَتصَادَقُوا ويَتَناصَروا ، والأَنْسَبُ هنا أَنْ يكونَ بمعنى النَّصيرِ وعلى هـذا فالمَعنى (والمُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلياءُ بَعْضٍ) أَىْ يَنْصرُ بَعْضُهُمْ بعضاً ويَشُدُّ أَزْرَه . وقد جاءَ فى الحديثِ الشَّريف « المُؤْمِنُ لِلمؤْمنِ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعضُه بَعْضاً » وفى حديثٍ آخرَ « مَثَلُ المُؤْمنينَ فى تَوادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الجَسدِ الواحِدِ إذا اشْتَكَى منْه عضوٌ تَدَاعَى له سائِرُ الجَسدِ بالحُمَّى والسَّهرِ » وقَدْ وصَفَ اللهُ تعالى المُؤمنينَ بأَكْمَلِ الصِّفاتِ فقال (يأمرونَ

بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ويُقِيمُونَ الصلاةَ ويؤتُونَ الزّكاةَ ويُطيعُونَ اللهَ ورَسُولَهُ) ولا غَرابةَ فإنّ شأنَ المؤمنِ أنْ يَنصُرَ أَخاهُ ويُحِبّ لهُ ما يُحبّ لنفسِهِ — وأَنْ يأمُرَهُ باتّباعِ الشّرعِ الشّريفِ ويَنهاهُ عنِ المُنكَرَاتِ على قَدْرِ استطاعتِهِ وبما يَظُنّ نَجاحَهُ فيهِ ، ففي الحديثِ (مَنْ رأَى مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيدِهِ فإنْ لم يَستَطعْ فَبلسَانِهِ ، فإنْ لم يَستَطعْ فبقَلْبِهِ ، وذلكَ أضعَفُ الإيمانِ) — وأَنْ يؤدّيَ الصّلاةَ على وجهِهَا فيَستَشعِرَ قلبُهُ بعَظَمَةِ اللهِ تعالى فيأتمِرَ بأمرِهِ و يَنتَهي بنَهْيِهِ ، وفي ذلكَ السّعادَةُ الحقّةُ — وأَنْ يدفَعَ الزّكاةَ لأَخوانِهِ الفقَراءِ ليَنْصُرَهمْ بمالِهِ ويَنصُروهُ بمَحَبّتِهمْ لهُ وإخلاصِهِمْ في الدّفاعِ عنْهُ — وأَنْ يُطيعَ اللهَ ورَسولَهُ في كلّ ما جاءَ بهِ الشّرْعُ ولا يأتيَ إلاّ بما فيهِ المَصلَحةُ العامّةُ وسعادةُ الفَرْدِ والأُمةِ

ثمّ نَصّ سُبْحانه على أَنّ المؤمنينَ الذينَ يتّصِفونَ بتلكَ الصّفَاتِ همْ أهلٌ لِرَحمَتِهِ والفَوزِ بمزيدِ نِعْمتِهِ ، فقال (أُولئكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ) ثمّ أكّدَ هذا الوَعدِ بقوله جَلّ شأنُهُ (إِنّ

اللهَ عزيزٌ حكيمٌ) العزيزُ القويُّ القادرُ والحكيمُ الذى يضعُ الأشياءَ فى مواضعِها، ومنْ كانَ هذا شأنهُ فلا يُضيعُ أجرَ العاملينَ، بلْ يُجازى كلاًّ بما يستحقُّهُ فيرحمُ عبادَهُ المؤمنينَ العاملينَ بمقتضى حكمتِهِ، ويدخلُهُمْ جناتٍ تجرى منْ تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً رَضِىَ اللهُ عنهُمْ ورضُوا عنه

﴿ ١١ — صلاةُ الجمُعةِ ﴾

فُرضتْ صلاةُ الجمُعةِ فى السنةِ الثانيةِ منَ الهجرةِ بقولهِ تعالى (يَاأَيُّها الذينَ آمنُوا إذا نودِىَ للصلاةِ منْ يومِ الجمُعةِ فاسعَوْا إلى ذِكرِ اللهِ وذرُوا البيْعَ)

والمرادُ بالنداءِ الأذانُ الذى يُؤذَّنُ بهِ على المئذنةِ أو على سطحِ المسجدِ، وبتركِ البيعِ تركُ كلِّ ما يشغلُ عنْ تأديةِ صلاتِها منْ بيعٍ وشراءٍ ونحوِهما . وهى فرضُ عينٍ على كلِّ شخصٍ مكلَّفٍ حرٍّ مقيمٍ بالمصرِ أو توابعِهِ، قادرٍ على تأديتِها بلا حرجٍ ، ووقتُها وقتُ الظهرِ وتُغنى عنهُ ، وعددُ ركعاتِها ثنتانِ

﴿ شُرُوطُ صِحَّةِ أدائها ﴾

(١) المِصرُ أو توابِعهُ : وهو كُلُّ بلدٍ به حاكِمٌ يُنفِّذ الأحكامَ ويقيمُ الحدودَ (٢) إذْنُ السلْطانِ أو نائبِهِ بإقامتها عندَ بناءِ المَسْجد (٣) الجماعةُ وأقلُّهُمْ ثلاثةُ رجالٍ سوى الإمامِ (٤) الخُطْبَةُ قبلَها بقصدِ الذِّكرِ (٥) الإذْنُ العامُّ، ويتِم بأن تُفتحَ أبوابُ الجامعِ للواردينَ (٦) وقتُ الظُّهرِ

ويُسَنُّ لمنْ أرادَ أن يُصلِّي الجمعةَ الغُسلُ، والنّظافةُ، والتَّطيُّبُ في يومها، كما يُسنُّ أن يجلسَ الخطيبُ على المِنبرِ قُبَيلَ الخُطبةِ وأن يُؤذَّنَ بينَ يديهِ، وأن يُخفِّفَ ولا يُطيلَ — ومتى قصدَ الخَطيبُ المِنْبَرَ للخُطْبة تعيَّنَ على النَّاس تَرْكُ الكلامِ والصَّلاةِ وكلُّ ما يَشغَلُ عنِ السَّماعِ : كالتَّسبيحِ وقِراءةِ القرْآنِ والصلاةِ على النَّبيِّ صلى الله عليهِ وسلَّم، لقوْلهِ عليه الصلاة والسلام (إذا خَرجَ الإمامُ فلا صَلاةَ ولا كلامَ)، وما تَراهُ اليوْمَ من تَرْقيةٍ وتَرْديدِ أذانٍ ورَفعِ صوْتٍ بدعاءٍ بَينَ الخطبتَينِ وترَضٍّ عن الصّحابةِ ودُعاءٍ للسلْطان من المرقَى أثْناءَ الخطبةِ فكُلُّهُ من

المُحْدَثاتِ التي لا يَنْبَغي عملُها لأَنَّها مُخِلَّةٌ بِسَماعِ الخُطْبَةِ المأمورِ بهِ (١)

﴿ ١٢ — حِكْمَةُ صلاةِ الجماعةِ ﴾

شَرعَ الدِّينُ الحَنيفُ صلاةَ الجماعةِ لأَسرارٍ عَجيبَةٍ وحِكَمٍ عِدَّةٍ : منها (١) تمرين النفوسِ على الطَّاعةِ والانْقيادِ للرُّؤساء ، وذلكَ مطلوبٌ شرْعاً ، قال تعالى (يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا أَطيعوا اللّهَ وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ) (٢) تَعويدُها النِّظامَ الذي هو أساسُ نجاحِ الأَعمالِ ، وإِنَّ استِقامةَ صفوفِ الجماعةِ وانتِظامَها ، وتحديدَ أَوقاتِها كافلٌ بأَنْ يصيرَ النِّظامُ عادةً لِمَنْ يُواظبُ عليها (٣) الإِرْشادُ إلى فَضيلةِ العدْلِ والإِنْصاف والمُساواة لأَنَّكَ تَرى الغَنيَّ على وَفْرَةِ مالهِ وقُوَّةِ سلْطانهِ واقِفاً بجانبِ الفَقيرِ كَتِفاً لِكَتِفٍ ، لا فَرْقَ بينَهما أَمامَ الخالِقِ

---

(١) يشترط عند الشافعي أن تكون فى جماعة لا تقل عددهم عن ٤٠ والخطبتان . وان تقع فى أبنية . وعند مالك الاستيطان وحضور اثنى عشر رجلا غير الامام، والامام . والخطبتان

(إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (٤) غرس فضيلة الحلم: لأنَّ المأموم يكون تابعاً لأمامه كيفما أطال في قراءته وركوعه وسجوده فيعتاد الصبر « وهو حبس النفس على احتمال مالا يلائمها » (٥) غرس فضيلة التواضع إذ يتبع فيها المأموم إمامه كيفما كان جاهُ الأول وماله، وكيفما كان عليه الثاني من رثاثة الثياب وقلة ذات اليد (٦) التعاون والتعاضد والتحاب المبنيُّ على الاجتماع، ولما في صلاة الجماعة من المزايا المختصة بالمصلي والعامة للأمة كانت أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة، وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يرون فواتها خطباً جسيما وخسرانا عظيما ويعزون من تفوته

وكان يؤمهم أفضلهم علماً، وأكثرهم تقى، حتى كانت إمامة الصلاة دليلاً على صلاحية الإمام للولاية في أمور الدنيا، ألا ترى أن الصحابة رضوان الله عليهم رضوا أبا بكر خليفة لأن رسول الله أمرهم في مرضه أن يقتدوا

به فى الصّلاَة ، وقالوا : رَضيهُ رسول الله لأَمْرِ دِيننا فنَحْن نَرْضاهُ لأمرِ دُنيانا ولو لم يكُنْ لِصلاَةِ الجَماعةِ من حكمَةٍ سوى تأليفِ القُلوبِ ومَحْوِ الأَحقادِ منَ الصُّدُورِ وغَرْسِ فَضيلةِ التَّواضُعِ لَـكَفاها ذلكَ فَضْلاً

﴿ ١٣ — حكْمَةُ صلاةِ الجُمعةِ ﴾

صلاَةُ الجَماعةِ يَجتَمِعُ فيها أَهْلُ الحارَةِ الواحِدَةِ وكثيراً ما تُوجَدُ عوائقُ تَعُوقُهمْ عنِ الاجتماعِ معَ غيرِهم فشرعَتْ صلاةُ الجُمعةِ ليَجتمعَ أَهلُ البَلَدِ فى مَسْجدٍ واحـدٍ أَو فى أَكْثَرَ إِنْ دعَتِ الضَّرُورَةُ إِلى التَّعدُّدِ ، مغتَسِلينَ مُتَجمِّلينَ ٍأنْظَفِ الثِّياب مُتَعطِّرِينَ بأَذْكى العِطرِ، ويَخطُبُهمْ قبلَ الصّلاةِ الخَطيبُ بالخُطَبِ المُشْتَمِلةِ على المواعظِ والزَّواجرِ والتَّذْكيرِ بمـا جاءَ بهِ المُصطَفَى علَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ويُعلِّمُهمْ فيها ما يُفيـدُهمْ فى دِينِهمْ ودُنياهُم، وأَوْجَبَ الشَّرْعُ عليهمُ اسْتِماعَ تلكَ الخُطَبِ والإنْصاتَ لها ، فتَرَاهـمْ مُطْرِقِى الرُّؤوسِ ، مُنصِتِينَ مُستَمِعِينَ كأَنَّ على رُؤوسِهم الطَّيْرَ ، وائِقِينَ بأَنَّ جميعَ ما يُلْقيهِ عليهم الخَطيبُ نافعٌ

لهُم ومفيدٌ ، فإذا اجتمعَ أهلُ البلدِ لصلاةِ الجمعةِ ووعَوا الخُطبةَ رقّتْ عواطفهُمْ ، وتألّفتْ قلوبُهم وسارعُوا إلى الخيراتِ وخرجُوا من صلاتِهم صادقِى الإخلاصِ ساعينَ إلى أعمالِهم على وفقِ شريعتِهم فلا يأتونَ مُنكرًا ، ولاَ يتعدّونَ حدودَ الشّرعِ فيَسعَدُونَ جميعًا ، وهذا هوَ المقصودُ منْ صلاةِ الجمعةِ واستماعِ خطبتِها ، وهوَ لا يحصُلُ فى غيرِها منْ بقيّةِ صلَوات الجماعَةِ : لأنّ الذينَ يجتمِعونَ لهاعادَةً يكونُونَ أكثَرَ ولأنَّ الاعتبارَ فيها أعظمُ ولهذا أنكرَتِ الشّريعةُ أشدَّ الإنكارِ على تاركِ صلاةِ الجُمعةِ .

وعلى هذا ينبغى للخُطَباء أنْ يجعلوا خُطَبَهم نافعةً مُفيدَةً فى الدّينِ والدُّنيا ، وأنْ يعرفُوا أنّ لِعمَلِهِمْ غرَضًا خاصًا وهُوَ التّأثيرُ فى القُلوبِ حتى تعمِدَ إلى ما فيهِ مصلَحتُها ، وتتركَ ما فيهِ ضَرَرُها ، وأنْ يسعَوْا إلى هذا الطّريقِ منْ أقربِ جهاتِهِ ، وأنْ يتركُوا ما ثقُلَ على الآذانِ سَمعُهُ ومجّتْهُ النّفوسُ حتى صارَتْ لا تتأثّرُ بهِ ولا تستفيدُ منْهُ ، فما كانَ الرّسولُ عليهِ السّلامُ يتلُو من كِتابٍ وما كانَ الصّحابَةُ بعْدَهُ رضوانُ اللهِ

عليهم يعملون هذا ، بل كانوا يجعلون لكل مقام مقالا ، وينبهون الناس إلى ماينفعهم عاجلا وآجلا حتى يكونوا على بينة تامة من حاضرهم ومستقبلهم ، وفى رسول الله وأصحابه القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة

﴿ ١٤ — الصوم ﴾

الصوم فى لغة العرب الإمساك عن كلام أو غيره ، وشرعا الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس — ويشترط لصحة الصوم النية ، والخلو من الحيض والنفاس — ويشترط لوجوب أدائه الصحة والإقامة والخلو من الحيض والنفاس

﴿ صوم رمضان ﴾

فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة على كل مكلف رجل أو امرأة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقال تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وفى الحديث (بنى

الإِسْلاَمُ على خمس) وذَكرَ منها صومَ رَمَضانَ

وُيعلمُ دُخولُ رَمضانَ بِرُؤيَةِ هلاَله أو اُستِكمال شعبانَ ثلاَثينَ يوماً . ويَثبُتُ الهلالُ بخبَرِ عَدْلٍ ولو عَبْدًا أَو امرأةً إِنْ كانَ بالسّماء مانعٌ كسَحابٍ أَو غُبارٍ ، وبخبَرِ عَدْلَيْنِ أو عَدْلٍ وامرأتَيْنِ إِنْ لمْ يكُنْ بالسَّماءِ مانعٌ ، ولا يُشتَرَطُ أَنْ يراه واحدٌ أَو جَمعٌ عظيمٌ منَ النَّاسِ – وإِذَا لمْ يُعلمِ اليَوْمُ المتَمِّمُ للثَّلاَثينَ من شعبانَ ، أَهُوَ من شَعْبانَ أَمْ من رَمَضانَ فَهوَ يَوْمُ شَكٍّ يُكرَهُ تحريمًا صومُهُ عَن رمضانَ

﴿ مُفْسِدَاتُ الصَّومِ ﴾

مُفْسِدَاتُ الصَّومِ نَوْعانِ . نَوْعٌ يُوجِبُ القَضاءَ والكفَّارةَ ونوعٌ يُوجِبُ القَضاءَ فقَطْ (فَمِنَ الأَوَّلِ) إِيصالُ شَيْءٍ إِلى الجوفِ منَ الفَمِ جرَتِ العادَةُ بالتغَذّي بهِ كَحَبِّ الحِنْطَةِ ، أَوِ التَّداوِي به كالطِّينِ ، أَو التَّلَذُّذِ بهِ كشُرْبِ الدُّخانِ

ويُشتَرطُ في وُجوبِ الكفَّارَةِ بهذا المُفْسِدِ أنْ يكُونَ الصَّوْمُ أداءَ رمَضانَ ، وأن يكونَ الإِفسادُ مُتَعَمَّدًا ، وأَنْ لا توجَدَ

شُبْهَةٌ شَرعيةٌ : كَمَنْ أكل عمداً بعدَ أكله ناسياً ظاناً أنهُ قد أفطر، وأنْ لا يَعرِضَ في اليوم الذي حَصَلَ فيه الإفسادُ مُبيحٌ للفِطْرِ من صُنْعِهِ كَحَيْضٍ ونِفاسٍ

والكَفَّارَةُ عِتْقُ رَقَبَةٍ ، فإنْ لم يَجِدْ فَصيامُ شَهرَيْنِ مُتَتابِعيْنِ ، فإنْ لَمْ يَستَطِع فإطعامُ ستِّينَ مِسكيناً لِكلِّ مِسكِين نِصفُ صاعٍ[1] من بُرٍّ أو دَقيقٍ ، أو صاعٌ من تَمرٍ أو زَبيبٍ أو شَعيرٍ

(ومن الثَّاني) وهو الْمُوجِبُ للقضاءِ فقط أشياءُ : منها (١) إيصالُ شيْءٍ إلى الجوْفِ منَ الفَمِ لمْ تَجْرِ العادَةُ بالتَّغذى أو التَّداوِي أو التَّلَذُّذِ بهِ كالعَجينِ والحَصَى والتُّراب (٢) إيصالُ دَواءٍ إِلى الدِّماغِ أو الجَوْفِ منْ غيرِ الفَمِ كأنْ يَصلَ إِلَيهِما من جِرَاحَةٍ أو أنْفٍ أو أُذُنٍ أو نحو ذَلك (٣) وُصُولُ شيْءٍ بنفسِهِ إلى الجَوْفِ يُمكِنُ الاحتِرَازُ عنهُ كالمَطرِ والثَّلجِ (٤) القَيْءُ عمداً بشَرطِ أنْ يكُونَ ملْءَ الفَمِ . وكذا إِعادَةُ قَدْرِ الحِمِّصَةِ من قيْءٍ خرَجَ بنَفسِهِ وكانَ مِلْءَ الفَمِ

(١) هو مكيال يسع اربع حصات بكفى رجل معتدل الكفين

﴿ الأَعذارُ المُبيحَةُ للفِطرِ ﴾

مَنْ فُرِضَ عليهِ الصَّومُ لاَ يُباحُ لهُ الفطرُ الاَّ عِنْدَ تحققِ عُذْرٍ منَ الأَعذارِ الآتيةِ (١) أنْ يَغْلِبَ على الظَّنِّ حُصُولُ ضَرَرٍ بَدَنِيّ بِسبَبِ الصَّومِ كالمرَضِ أو امتِدَادِهِ ، أو تَلَفِ نَفْس أَو عُضْو . ويُعلمُ ذلكَ بإخبارِ طَبيبٍ مُسلمٍ حاذقٍ ، أَو تجربةٍ أَو غلبَةِ ظنٍّ . فَيُباحُ الفطْرُ للحاملِ والمرْضعِ ولو ظئراً [1] إنْ خافَتا على أَنفُسِهما أو ولدِهِما ، ولمن عَطِشَ عطَشاً شَديداً أو جاعَ وخافَ على نفسِهِ الهلاكَ أو نُقصانَ العَقلِ ، ولمن أُكرِهَ على الفطرِ وخافَ تلَفَ نَفْسِهِ أو عُضوٍ من أعضائِهِ ، وعليهِ القضاءُ متَى زَالَ العُذْرُ المُبيحُ (٢) السفَرُ الشَّرعِيُّ (ومقدَارُهُ ١٨ فرسخاً أَى ٨٤ كيلو متراً) — وإنَّما يَجوزُ فِطرُ اليومِ الأَوَّلِ إذا شرَعَ فى السَّفرِ قَبلَ الفجرِ وعليهِ القضَاءُ ، فعن أَنس كُنَّا نُسافرُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فمنَّا الصَّائمُ ومنَّا المفطرُ فلَم يَعِبِ الصَّائِمَ على المفطرِ ، ولم يعِبِ المفطرَ

---

(١) الظئر هى العاطفة على ولد غيرها المرضعة له

على الصَّائِم (٣) كِبَرُ السِّنِّ الذى لا يمكن مَعَـهُ الصَّوْمُ : فالشَّيْخُ والمَرْأَةُ اللذانِ أعجزَهما الـكِبَرُ يُفْطِران وعَلَيْهِمَا الفِدْيَةُ إنْ كانا مُوسِرَيْنِ

﴿ آياتُ الصَّوْمِ ﴾

قال الله تعالى (يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عليْـكُمُ الصِّيامُ كما كُتِبَ علَى الذينَ مِنْ قبلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْـكُمْ مَرِيضاً أوْ علَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أُخَرَ وَعلَى الَّذينَ يُطِيقُونهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْـكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لهُ وأنْ تَصُومُوا خيرٌ لَـكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعلَمُونَ شَهرُ رَمَضانَ الذِي أُنْزِلَ فيهِ القُرْآنُ هُدًى للنَّاسِ وَبيِّناتٍ منَ الهُدَى والفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْـكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ ومَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ على سفرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ولِتُـكْمِلوا العِدَّةَ ولِتُـكَبِّرُوا اللهَ على ما هَداكُمْ ولعَلَّـكُمْ تَشْـكُرُونَ)

(التفسير)

كتب فرض ـ التقوى أن تجعل بينك وبين سخط الله وقاية بأن تتحامى أسباب خذلانه اياك فى الدنيا وعذابه فى الآخرة ـ يطيقونه لا يستطيعون صومه الا بمشقة زائدة ـ البينات ـ الآيات الواضحة ـ الهدى الهداية ـ الفرقان الفارق بين الحق والباطل ـــ شهد حضر

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) أى فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على من قبلكم من الأمم السابقة، فالصوم عبادة قديمة معروفة عند قدماء المصريين وعند اليونان والرومان وعند اليهود والنصارى وإن اختلفت كيفيته: فالبعض يصوم عن أصناف معينة أياما معدودة، والبعض يصوم عن كل شىء جزءا من اليوم ـــ وإنما كان فرضه عاما لما فيه من تهذيب النفوس وتذليلها وسعادتها، وقد شرعت الشرائع جميعها لذلك (لعلكم تتقون) لتتهيأ نفوسكم وتستعد للتقوى، (أياما معدودات) معينات بالعدد وهى أيام رمضان (فمن كان منكم

مَرِيضاً أَوعلى سفرٍ فعدَّةٌ من أَيَّامٍ أُخَرَ) فمن كانَ فى شهرِ رمضانَ مَرِيضاً مرضاً يَعسُرُ عليهِ الصومُ فيهِ، أَو مُسافراً سفراً شرعياً جازلهُ أَنْ يُفطِرَ ويقضِى الأَيَّامَ التى أَفطرَها بعدَ رمضانَ (وعلى الذينَ يُطيقُونهُ فِديةٌ) أَى إِنَّ الذين يستطيعُونَ الصومَ بتكلُّفٍ ومشقةٍ كالشيوخِ الضعفاء يُفطِرونَ ويدفعُونَ الفِديةَ إِنْ قدَروا عليها (فمَنْ تطوَّعَ خيرًا فهُوَ خيرٌ لهُ) فمَنْ صامَ تطوُّعاً أى زِيادةً على شهر رمضانَ فهُوَ أَحسَنُ وأَنفعُ لهُ (وأَنْ تصُومُوا خيرٌ لكُم) والصِّيامُ خيرٌ لكُم وأَنفعُ لما فيهِ من تقويمِ الجسمِ ورياضةِ النفسِ وتقويةِ الإِيمانِ بمراقبةِ اللهِ تعالى (إِنْ كُنتُمْ تعلمُونَ) إِن كنتم مُوقِنين بخيريةِ الصيام عالمينَ بسرِّهِ (شهرُ رمضانَ الذى أُنزِلَ فيهِ القرآنُ هُدًى للنَّاسِ) بيَّنَ سُبحانهُ فى هذه الآياتِ أنَّ الأَيَّامَ المعدُوداتِ هىَ شهرُ رمضانَ وأنَّ الحِكمةَ فى تخصيصهِ بهذهِ العبادةِ هى أنَّهُ الشهرُ الذى أُنزِلَ فيهِ القرآن، وأُفيضَتْ على البشرِ فيهِ هدايةُ الرحمٰنِ، فكانَ من الحِكمةِ أن يُعبَدَ اللهُ فيهِ بهذهِ العبادةِ تذكيراً

لإنعامه فيه بهذه النعمة وشكراً له عليها (وبينات من الهدى والفرقان) بعد أن وصف تعالى القرآن بأنه هدى فى نفسه لجميع الناس وصفه بأنه من جنس الكتب الإلهية فى الهداية إلا أنه يفوقها فى وضوح الدلالة وكمال الهداية وتمام الفرق بين الحق والباطل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى من كان حاضراً فى الشهر فليصمه — وسكان البلاد القطبية ومن جاورهم يقدرون قدر الشهر ويصومونه ويكون التقدير بشهر البلاد المعتدلة التى حصل فيها التشريع كمكة والمدينة أو أقرب البلاد المعتدلة اليهم (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) أعيدت هذه العبارة لئلا يتوهم بعد تعظيم أمر الصوم وبيان زمنه أن صوم الشهر حتم لا استثناء فيه (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) يريد الله تعالى بما بين لكم من الأحكام أن يسهل عليكم ولا يضيق ولهذا أوجب الصوم على الصحيح المقيم القادر وأباح الفطر للمريض والمسافر ولمن يشق عليه الصوم (ولتكملوا العدة)

شرعَ صَوْمَ شهرِ رَمضانَ لِتُكمِلوا عِدَّتهُ وتصوموهُ كامِلا (ولتُكبِّرُوا اللهَ على ماهداكُم) شَرَعَ القضاءَ على من أفطرَ بسبَبِ مرَضٍ أو سفَر لتُعظِّموا شأنهُ لهدَايتهِ لكم ببيانِ أحكامِ الفِطْرِ والقضاء (ولَعلّكم تَشكرون) شَرَعَ لكم الفِدْيةَ فى حالِ المَشقَّةِ وأرادَ بكم اليُسْرَ دونَ العُسْرِ لتشْكروا هذه النِّعْمةَ فتنالوا رضاهُ وتفوزوا بجَنَّتِهِ

﴿ أسْرارُ الصَّوْمِ ﴾

الصَّومُ أمرٌ مَوْكولٌ إلى نَفْسِ الصَّائِمِ ، لارَقيبَ عليْهِ فيه إلاَّ اللهُ تعالى، فإذا ترَكَ لذَّاتهِ وشَهَواتهِ مُدَّةَ شهْرٍ كاملٍ فى السَّنَةِ مُمْتَثلاً لأمرِ رَبِّهِ مُلاحِظاً أنَّهُ مُطّلعٌ عليهِ، رسخَتْ فى نَفْسِهِ مَلَكَةُ المراقَبَةِ للهِ تعالى والحياء مِنهُ سبْحانَه ، فلا يَهُمُّ بمَعصيةٍ إلاَّ وجَدَ من نفْسِهِ زاجراً عنها . وهو أعْظَمُ مُهَذِّبٍ للأرواحِ يُمَرِّنُها على مُلازَمةِ الطَّاعَةِ لأوامرِ اللهِ تعالى ، ولو لاحَظْتَ حالةَ الصائمينَ فى شهْرِ رَمضانَ من تَحرِّيهِمُ الطَّاعة

وابتعادهم عن المعاصي لعرفت أن الصوم من أعظم أسباب الهداية

الصوم يقضي على الصائم أن يترك الأكل والشرب من الفجر إلى المغرب فيحس بألم الجوع والعطش ويدرك الفرق بين نعمة الطعام والشراب ونقمة السغب والظما . فإذا رأى فقيراً قصرت يده عن نيل القوت علم مقدار ما يجده من الآلام فيشفق عليه ويحسن إليه بما فضل عنده من نعمة مولاه . ولولا الصوم ما عرف المترفون ألم الجوع ، فالصوم داع إلى الشفقة والإحسان ، وإلى الرأفة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة ، الصوم يمرن النفس على الكرم الممدوح عقلاً وشرعاً ، ويطهرها من دنس البخل الذي يورث ذماً وذلاً ، الصوم محك لإظهار شرف النفس وأنفتها وقدرتها على كبح جماح شهواتها فالذي يؤدي فريضة الصوم يبرهن على أنه ذو نفس علية تقدم صالحها المعنوي وسعادتها الأبدية على ميلها الحيواني — الصوم الحقيقي يقوي النفس على الصبر

والحِلم وعلى تجنُّب كلّ مامن شأنه إثارةُ الغضبِ ، وإنَّكَ لتجدُ عقلاءَ الصائمينَ لا يغضبُونَ فى رمضانَ ممّا يغضبون له فى غيرِه ، ولا يأتونَ فيه ما يخالفُ الآدابَ قولاً أوفعلاً ، وفى الحديثِ « من لم يدَعْ قولَ الزّور والعَمَلَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ فى أن يدعَ طعامَهُ وشرابَهُ » . وقد توهّمَ بعضُ الناسِ أنّ الصومَ يثيرُ الحُمْقَ والغضبَ لأدنى سببٍ ، حتى إذا أفحشَ أحدُهم قال الآخر لاعتْبَ عليهِ فإنهُ صائمٌ ، وهؤلاء لم يفقهُوا للصوْمِ معنًى ، إنّ بعضَ الناسِ يَصومونَ محافظةً على شعائرِ الدّينِ الظاهرةِ ، حتى إنَّ الحائضَ لتصومُ وترَى الفطرَ عاراً ، وليسَ هذا منَ الدّينِ فى شىْءٍ ، وإنْ بعضَهمْ لينفقُ فى رمضانَ على المآكلِ والمشاربِ ما يساوى نفقةَ سائرِ السّنةِ ، وربما يستدينُ لهذا الغرَضِ وينفقُ فوْقَ طاقتهِ ظانًّا أنّ ذلك منْ دواعِى الصيامِ بلِ الكثيرُ منهمْ يترقّبُ وقتَ الغروبِ أشدَّ الترقُّبِ ، فإذا توارَتِ الشّمْسُ بالحجابِ انقَضَّ على الطّعامِ انقضاضَ السّبُعِ على فريستِهِ مالِئاً معدتَهُ بأنواعِهِ ، وكأنه لم يُمسِكْ عنِ الطعامِ نهاراً

إلاَّ لأَجلِ أنْ يَستَكثِرَ منهُ ليلاً، فيقعَ في مَخالِبِ الأَمراضِ، وكل هذا ليسَ مقصوداً من الصومِ، إنما الغَرَضُ منهُ تهذيبُ النفُوس ورياضَتُها، وإعدادُها للسعادَتينِ الدُّنيَويَّةِ والأُخرَوية

﴿ ١٥ - الحَجُّ ﴾

(مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ والبيتُ الحرامُ)

مَكَّةُ بلدةٌ مشهورَةٌ منْ بلادِ الحجاز شرَّفَها اللهُ منْ قَدِيمِ الزَّمانِ بالكَعْبَةِ المُعظَّمَة فيها، وهي البيْتُ الحرامُ الذي بَناهُ سيدُنا إبْراهيمَ عليه السّلام بأمرِ ربِّهِ، وساعَدَهُ في بنائه ابنهُ إسْماعيلُ علَيهِ السلامُ، هذا البَيْتُ المُعَظّمُ بَعدَأَنْ تم بنَاؤُهُ أَمرَ اللهُ سيدَنا إبْراهيمُ أنْ يدْعُوَ النَّاسَ إلى حَجِّهِ فأوْحى إليهِ (وأذِّنْ في النَّاسِ بالْحَجِّ يأتوكَ رجالا وعلى كلِّ ضامِرٍ) هذا البيْتُ أوّلُ بيتٍ بُنِيَ لِعبادةِ اللهِ تعالى ولهذا يُنْسَبُ إليهِ جلَّ وعلاَ فيقالُ بيْتُ اللهِ المُحَرَّمُ، وقدْ شرَّفَهُ اللهُ علَى

سائرِ البقاعِ ، وجعلهُ حرماً آمناً يلجأُ إليهِ كلُّ عائذٍ مطرودٍ ويأمنُ فيهِ كلُّ خائفٍ ، وحرَّمَ فيهِ القتالَ والصَّيْدَ وإيذاءَ الحيَوانِ والطيورِ ، حتى إنَّ الرَّجلَ ليُوَاجهُ قاتلَ أخيهِ أو أبيهِ فيهِ ولا يُطالبُهُ بثأرِهِ . وجعلهُ مُحرَّماً مَهيباً فى قلوبِ النَّاسِ منْ عربٍ وعجمٍ مُوحِّدينَ ومشركينَ — اشتهرَ أمرُ البيتِ الحرامِ بينَ العرَبِ فى الجاهليَّةِ وحجُّوهُ آلافاً منَ السِّنينَ وتوَلَّى اللهُ حمايتَهُ وحفظَهُ ، قامَ أبرهةُ الأشرمُ قائدُ جيْشِ الحبشَةِ ، وكانَ قدِ استولى على اليَمنِ وبنى كنيسَةً بصنْعاءَ وأرادَ تحويلَ حجِّ العرَبِ إليهَا فلمْ ينْجحْ ، فأرادَ أنْ يهدِمَ الكعبةَ ليمتنعَ العرَبُ منَ الحجِّ إليْها ، فتوجَّهَ بجيْشٍ جرَّارٍ إلى مكَّةَ واستصحبَ فيلاً أوْ فيلةً زيادَةً فى الإرهابِ حتى قرُبَ منْ مكَّةَ ، فأرسلَ إلى أهلِها يخبرُهم أنَّهُ لم يأتِ لحرْبِهمْ وإنَّما أتى لهَدْمِ البيْتِ ، ففزعُوا منهُ وفرُّوا إلى قِممِ الجبالِ ينتظرُونَ ما اللهُ فاعلٌ بمَنْ يعتدى على بيتِهِ ، فأرسلَ اللهُ عليْهِ وعلى جيْشهِ طيرًا أبابيلَ ترْميهِمْ بحجارةٍ منْ سجِّيلٍ فجعلهمْ

كَعصفٍ مأكُولٍ ، فانظُرْ كيفَ حفِظَ اللهُ بَيتَـهُ وردَّ كَيْدَ الجَبَّارِينَ المُعتَدِينَ فى نُحُورِهم وانتقَمَ مِنهمْ شرَّ انتِقامٍ ، هـذا البيتُ العَتيقُ الذى حماهُ اللهُ منْ كلِّ منْ قصَدَهُ بسوءٍ قد جَعلهُ اللهُ قبلةَ صلاتِنا وفَرَضَ حَجَّهُ على المُستطيعِ مِنَّا قال تعالى (وللهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتطَاعَ إليهِ سَبِيلاً)

﴿ فرْضُ الحجِّ ووَقْتُهُ ﴾

فُرِضَ الحجُّ مرَّةً واحِدَةً فى العُمُرِ على المُسْلِمِ الحرِّ البالغِ العاقِلِ الصَّحيحِ إذا أَمِنَ الطريقَ ، وكان قادِرًا على الزادِ والرَّاحِلةِ وعلى نفَقةِ ذَهابهِ وإيابهِ ونفَقةِ عيالهِ إلى ما بعدَ عودَتهِ بزَمنٍ يُمكِنُهُ أنْ يَكتسِبَ فيهِ ما يَحتاجُ إليهِ بشرْطِ أَنْ تكُون هذِهِ النَّفقهُ فاضِلةً عنْ دُيُونهِ وعن حَوائجهِ الأَصْليَّةِ ومنها رأسُ مالِ حرْفتِهِ

ووَقْتُهُ شوَّالٌ وذُو القَعْدَةِ وعَشْرُ ذى الحِجَّةِ

﴿ كَيْفِيَّةُ الْحَجِّ ﴾

مَتَى وَصَلَ الحَاجُّ إِلَى مَحَلِّ إِحْرَامِهِ (١) فَإِنَّهُ يَتَوَضَّأُ أَوْ يَغْتَسِلُ وَيَتَجَرَّدُ مِنْ ثِيَابِهِ وَيَلْبَسُ إِزَاراً وَرِدَاءً جَدِيدَيْنِ وَيَتَطَيَّبُ وَيَقُصُّ أَظْفَارَهُ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ نَاوِياً الحَجَّ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَبَعْدَ هَذَا يُقَالُ لَهُ مُحْرِمٌ — وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَلَدِهِ أَوْ قَبْلَ الخُرُوجِ مِنْهُ انْعَقَدَ الإِحْرَامُ وَحِينَئِذٍ يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَشْيَاءُ — مِنْهَا الرَّفَثُ، وَالفُسُوقُ، وَمُجَادَلَةُ غَيْرِهِ، وَالتَّفَاخُرُ عَلَيْهِ، وَالتَّعَرُّضُ لِصَيْدِ البَرِّ، وَإِيذَاؤُهُ قَتْلٍ أَو إِشَارَةٍ أَوْ تَنْفِيرٍ، وَسَتْرُ رَأْسِ الرَّجُلِ، وَوَجْهِ المَرْأَةِ، وَلُبْسُ المَخِيطِ لُبْساً مُعْتَاداً، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَإِزَالَةُ الشَّعْرِ

(١) أمكنة الاحرام التي لا يجوز لمريد الاحرام أن يتجاوزها بدون احرام هي (١) ذو الحليفة لاهل المدينة (٢) ذات عرق لاهل العراق (٣) الجحفة لاهل مصر والشام والمغرب (٤) قرن المنازل لاهل نجد (٥) يلملم لاهل اليمن — والمراد بأهل كذا أنه آت من جهتها وان لم يكن من أهلها بالمعنى المعروف

ويُندَبُ لهُ الإكثارُ منَ التَّلبيَةِ عقبَ الصَّلوَاتِ وفى الأَسحارِ، وعِندَ تَغيُّرِ الأَحوالِ منْ صُعُودٍ إلى هُبُوطٍ ونحْوهما فإذا وصلَ إلى مَكَّةَ دَخلَها مُلبِّيًا. وبَعْدَ أَمْنِهِ على أَمتِعَتِهِ يَبدَأُ بالمَسجِدِ الحرَامِ فَيدخُلهُ منْ بابِ السَّلَامِ، فإذا شاهَدَ البَيتَ كَبَّرَ وَهلَّلَ ثلاثًا، ثمّ يَبدَأُ بِطوافِ القُدُومِ فيَستَلِمُ الحَجرَ الأَسوَدَ ابتِداءً إنِ استطَاعَ بِلا إيذاءِ أحَدٍ، ويَطُوفُ سَبعةَ أَشوَاطٍ وكلَّما مرَّ بالحجرِ الأَسودِ استَلَمهُ إِنِ استطاعَ وإلاَّ أَشارَ إليهِ ويَختِمُ الطَّوافَ بهِ. ثمَّ يُصلّى رَكعتينِ خلفَ المَقامِ ويَشرَبُ منْ ماءِ زَمزَمَ، ثمَّ يَخرُجُ بعدَ ذلكَ إلى الصفَا ويَصعَدُ عليهِ مُستَقبِلاً البيتَ مُكبِّراً مُهلِّلاً مُصلِّياً على النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، ثمّ يَهبِطُ منَ الصفَا ماشياً نحوَ المَروَةِ مُهَروِلا بينَ الميلينِ الأَخضرَينِ فيَصعَدُ عليهِ ويفعَلُ كما فعلَ على الصفَا ويَسعَى بَينهمَا سَبعةَ أَشوَاطٍ: يَبدَأُ بالصفَا ويَختِمُ بالمَروَةِ وهذا يقالُ لهُ السَّعيُ بَينَ الصفَا والمَروَةِ (وهُما جَبَلانِ بينهُما ٧٦٠ ذِراعا تقريباً) وبَعْدَ السَّعيِ يَمكُثُ بمكَّةَ مُحرِماً إلى اليومِ

الثامنِ منْ ذِي الحِجةِ ، ويَطوفُ بالبيْتِ كلَّمَا بدَا لهُ من غيرِ سَعْيٍ ، وفي اليومِ الثَّامنِ منْ ذِي الحِجةِ يَخرُجُ إلى مِنى بَعدَ طُلوعِ الشَّمْسِ ويَبيتُ بها لَيلةَ التَّاسعِ ، وفي اليومِ التَّاسعِ يتوجهُ منْ مِنى إلى عرَفاتٍ بَعدَ طُلوعِ الشَّمْسِ فيمكُثُ بها إلى الزَّوالِ وبَعدَ الزَّوالِ يذْهَبُ إلى مَسْجدِ نَمِرَةَ فيَسْمعُ منَ الإمامِ أوْ نائبهِ خُطبتَيْنِ يتَعلمُ منهُما المَناسكَ ويُصلِّي معَهُ الظُّهرَ والعَصْرَ يَجْمعُهما جمْعَ تقْديمٍ ، وبَعدَ الصَّلاةِ يَذْهبُ إلى المَوْقفِ بعرَفةَ فيَقفُ به إلى الغرُوبِ ، وبعدَ الغرُوبِ يَذْهَبُ إلى مُزْدَلِفةَ ، فإذَا وصلَ إليها جمَعَ بيْنَ المَغْرِبِ والعِشاءِ جمْعَ تأخيرٍ وباتَ بها تلكَ اللَّيلةَ ، وفي اليوْمِ العاشرِ يصلِّي الفَجرَ بغَلسٍ ، ثمَّ يَقِفُ بمُزْدَلِفَةَ إلى أنْ يُسفِرَ الفَجْرُ وبعدَ الوُقوفِ يَذْهَبُ إلى مِنى فيَرْمِي جَمْرَةَ العَقَبةِ بِسبْعِ حَصَياتٍ ، ولا يَرْمِي في هذا اليوم غيرَها ، ثمَّ يَنصَرِفُ إلى رَحْلِهِ ويَذْبَحُ شاةً نَدْبًا ثمَّ يَحْلِقُ شَعرَهُ أو يُقَصِّرُهُ ، وبعدَ الحلْقِ أوِ التقْصيرِ يَحلُّ له كلُّ شيءٍ مِن مَحظُورَاتِ الإحرَامِ إلاَّ النساءَ ، ثمَّ يتوَجَّهُ إلى مكَّةَ فيَطوفُ

بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ (وهذا يقال له طوافُ الإفاضةِ) ثمَّ يعودُ إلى منى فيبيتُ فيها ، وفي اليومِ الحادي عشرَ يرمي الجمراتِ الثلاثَ بعدَ الزوالِ ويبيتُ بمنى ، وفي اليومِ الثاني عشرَ يرمي الجمراتِ الثلاثَ أيضاً بعدَ الزوالِ ، ثمَّ بعدَ هذا له أنْ يرجعَ إلى مكةَ قبلَ طلوعِ فجرِ الثالثَ عشرَ ، فإنْ لم يرجعْ حتى الفجرِ وجبَ عليهِ رميُ الجمراتِ الثلاثِ في ذلك اليومِ أيضاً ، ثمَّ يعودُ إلى مكةَ ، وبهذا تنتهي أعمالُ الحجِّ ، ومتى أرادَ أنْ يعودَ إلى وطنِهِ يطوفُ طوافَ الوداعِ سبعةَ أشواطٍ حولَ الكعبةِ كما تقدمَ

﴿ حكمةُ الحجِّ وأسرارُهُ ﴾

شرعَ كلُّ دينٍ لتابعيهِ اجتماعاتٍ في أوقاتٍ معينةٍ لما فيها منَ الفوائدِ الدينيةِ والدنيويةِ ، فمنها تسهيلُ طرقِ التعارفِ والتآلفِ والتعاونِ والتعاضدِ ، وتبادلُ المنافعِ والتعليمِ والإرشادِ ، ونشرُ العلومِ والفنونِ ، ولهذهِ الغايةِ سنَّ الدينُ الإسلاميُّ صلاةَ الجماعةِ لكلِّ صلاةٍ ، وأوجبها في صلاةِ الجمعةِ كلَّ اسبوعٍ

وفى صلاةِ العيدَينِ ، ولمَّا كانَتْ هـذهِ الاجْتماعاتُ مقصُورَةً على أَهْلِ البَلدِ الواحِدِ أو عليهِمْ وعلى مَنْ جاورَهم فرَضَ الدِّينُ اجتماعًا عامًّا لِكلِّ قادِرٍ على حُضورهِ مرَّةً فى حَياتهِ ، وذلكَ هو الاجتماعُ للحَجِّ ، هُنالكَ يجتمعُ المُسلمُونَ أُلوفًا مؤلَّفةً من جميعِ البِقاعِ على اختِلافِ أَجْناسِهمْ وتبايُنِ لُغاتِهمْ ، خاشِعينَ خاضِعينَ ، متَحابِّينَ فى اللهِ تعالى ، متَجرِّدِينَ عنْ فاخِرِ اللِّباسِ والزِّينةِ والرِّياشِ ، هاجِرِينَ أَوْطانَهُمْ ابتِغاءَ مَرْضاةِ ربِّهِمْ ، لا فرْقَ بينَ غنيٍّ وفقيرٍ وسُوقةٍ وأميرٍ ، بهذا الاجتماعِ تَصفُو نُفوسُهمْ وتَتهذَّبُ أَخلاقُهم ، وتُغرَسُ فى قلوبِهمُ المَحبَّةُ والأُلْفةُ ويَقِفُ كلٌّ على حالِ أَخيهِ ، ويُرْشِدُهُ إِلى ما ينفَعُهُ فى دينِهِ ودُنياهُ ، وقداختارَ اللهُ لهذا الاجتماعِ مكَّةَ المُكرَّمةَ لِما لها منَ الفَضْلِ على سائرِ البِقاعِ ، ففيها البَيْتُ الحرَامُ الذى عرَفْتَ فضلَهُ ، وَفيها اجتمعَ آدمُ وحوَّاءُ وَتابا إِلى اللهِ فقبِلَ توْبتَهُما ، وفيها أَمرَ اللهُ إِبْرَاهيمَ بذَبْحِ ولَدِهِ فأطاعَ أَمرَ ربِّهِ ، وامتَثلَ ولَدُهُ البارُّ ، فأنعَمَ اللهُ على الوالِدِ والوَلَدِ بالفِداءِ ، وأَبْدَلَ

تُحزِنهُما بالهَناء ، وفيها وُلِدَ سيدُ الخَلْقِ سيدُنا محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلمَ ، وبَعثَهُ اللهُ إلى النَّاس بَشيراً ونذيراً ، وفيها أُوذِيَ وقابَلَ الإيذاءَ بالصَّبرِ فنصرَهُ اللهُ نَصْراً عزيزاً ، ومنها هاجرَ إلى المَدينةِ تلكَ الهجرةَ التي كانتْ سَبَباً في انتشارِ الدِّينِ ورُقِيِّ الأُمَمِ الإسلاميَّةِ وسَعادَتِها السَّعادةَ الخالِدةَ

إنَّ اجتماعَ المُسلِمينَ في هذا المكانِ الطَّاهرِ يُذَكِّرُهم بما جَرَى لرُسُلِ اللهِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ويَبْعثُ نُفوسَهُمْ على الاقْتِداءِ بهِمْ والتخلُّقِ بأخْلاقِهِمْ — أما الأَعمالُ التي يُؤدِّيها الحُجَّاجُ هُناكَ فهيَ مَظْهَرُ التَّذلُّلِ والخُضوعِ والقُدْوةِ بما فَعلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم والرُّسُلُ قَبْلَهُ ، وبُرْهانٌ قَوِيٌّ على تَمامِ الامْتِثالِ لأَوامرِ اللهِ سُبْحانهُ في كلِّ ما أَمَرَ بهِ سواءٌ أظْهَرَتْ حِكْمَتُهُ بادِيَ بَدْءٍ أَمْ كانَ في حِكْمتِهِ غُموضٌ ، وهذا شأنُ عِبادِ اللهِ المُخلِصينَ ؛ يَعتَقِدُونَ أنهُ عزَّ وجَلَّ لمْ يَشْرَعْ إلاَّ ما فيهِ الخيرُ والمَصلَحةُ وأَنهُ المُحيطُ بكُلِّ شَيْءٍ ، يَعلَمُ منْ ذلكَ مالا نَعلمُ ، ومثَلُ هؤلاءِ كما قالَ الغزاليُّ مثَلُ مَنْ

وثقَ بالطّبيبِ وجرّبَ دواءهُ فوجدهُ نافعاً ولكنّهُ لا يعرفُ فائدةَ كلّ جزءٍ ولا نسبتهُ إلى الأجزاءِ الأُخرى، وحسبُهُ أنّه يعلمُ أنّ هذا الدّواءَ المركّبَ نافعٌ يشفي منَ المرضِ بإذنِ اللهِ تعالى

﴿ ١٦ — النّذرُ ﴾

النّذرُ هوَ أنْ يوجبَ الإنسانُ على نفسهِ شيئاً للهِ تعالى من صومٍ أو صلاةٍ أو صدقةٍ أو غيرِ ذلكَ منَ الطّاعاتِ بلفظٍ صريحٍ كأنْ يقولَ للهِ عليّ أنْ أصلّيَ أربعَ ركعاتٍ، أو للهِ عليّ إنْ نلتُ الشّهادةَ الثّانويّةَ مثلاً أنْ أتصدّقَ بكذا. فالأوّلُ غيرُ معلّقٍ على شيءٍ، ويقالُ له نذرٌ منجّزٌ يجبُ الوفاءُ بهِ، وتصحّ تأديتُه بمجرّدِ التّلفّظِ بهِ. والثّاني معلّقٌ على شيءٍ وهو نيلُ الشّهادةِ فلا يجبُ إلاّ عندَ حصولِ شرطِهِ ولا يصحّ تقديمُهُ عليهِ ويجبُ الوفاءُ بالنّذرِ لقولِه تعالى (وليُوفُوا نذورَهم) وقولهِ صلى الله عليهِ وسلم (مَنْ نذرَ أنْ يطيعَ اللهَ فليُطِعْهُ ومَنْ نذرَ أنْ يعصيَهُ فلا يعصِهِ) ويُشترطُ لوجوبِ

الوفاء بهِ شُرُوطٌ . منها (١) أَنْ يكونَ المَنْذُورُ عِبادَةً مَقصودةً لذاتِها ، فإِنْ نَذَرَ مَعصيةً كَضَرْبِ فُلانٍ أَو سَرِقَةِ مالهِ أَو نذر عِبادَةً غيرَ مقصُودَةٍ لذاتِها كالوُضُوءِ فلا يَجبُ الوفاءُ بهِ (٢) أَنْ يكونَ النَّاذِرُ مالِكاً للمَنْذُورِ فلوْ نَذَرَ مِلكَ غَيْرِهِ لا يَصِحُّ ، أَوْ نَذَرَ أَكثَرَ ممَّا يَملِكُ لَزِمَهُ ما يَملِكُهُ فقَطْ . والغرَضُ منَ النَّذْرِ التِزَامُ عِبادَةٍ للهِ تَعالى كَصلاةٍ وَصَوْمٍ وَصَدَقةٍ على الفُقَراءِ والمَساكِينِ . ومنْ هـذا تَعلمُ أَنَّ النَّذْرَ لِلأَنْبياءِ والأَوْليــاءِ وسائِرِ الأَمواتِ وصُلَحاءِ الاحياءِ حَرامٌ وباطلٌ لأَنَّ النَّذْرَ عِبادةٌ وهِيَ لا تَـكُونُ إِلاَّ للهِ سُبْحانَهُ ، ولأَنَّ الأَمواتَ لا يَملِكُونَ ، فَما يَفعَلهُ العَوَامُّ منْ نَذْرِ الذَّبائحِ وذَبْحِها لِلأَوْلياءِ أَو الأَنْبياءِ ونَذْرِ الشَّمعِ والزُّيُوتِ والأَستارِ لأَضرِحَةِ الأَوْلياءِ لَيْسَ بنَذْرٍ شَرْعِيٍّ ، بَلْ قَدْ يكونُ شِرْكاً إِذا اعتَقَدَ أَنَّ النَّبيَّ أَوِ الوليَّ يستَحِقُّ العِبادَةَ ، أَوْ أَنَّهُ هو الذِي يَشفِي مَريضَهُ أَوْ يَقْضِي حاجَتَهُ ، أَمَّا إِذا قال إِنْ شفَى اللهُ مَرِيضِي فعليَّ أَنْ أُطْعِمَ فُقَراءَ السَّيِّدَةِ زَيْنبَ مَثَلاً

فإنهُ يجوز لانهُ نذرٌ للهِ تعالى والفقراء مَصْرِفهُ ، وفى هذه الحالةِ لايحلُّ للغنىّ الأخذُ منهُ . هذاولايتعيّنُ على النّاذرِ الوفا بالنّذْرِ فى مكانهِ أوِ التّصدُّقُ بالدّرهمِ الذى عينهُ أو على الفقيرِ الذى خصّصهُ ، فلو نذرَ التّصدُّقَ بمكّةَ بهذا الدينارِ على زيدٍ الفقيرِ فتصدّقَ بدينارٍ آخرَ على عمْرو الفقيرِ بمِصْرَ خرجَ منْ عهْدةِ النّذْرِ

التّهْذيبُ

تَهذيبُ الشّيء تنقيتُهُ وتخليصهُ مما يَشوبُهُ . ورَجَلٌ مُهذّبٌ منقّى منَ العُيوبِ مُطهّرُ الأخلاق . هـذا النّوعُ منَ التّهْذيب ينالهُ الإنسانُ بمُخالطةِ المُهذّبينَ ومُعاشرتهِـمْ والاقتداءِ بهمْ فى أعمالهم الصّالحَةِ وكما يكونُ بهذهِ الطّريقةِ يكونُ بقراءةِ سِيَرِ مَنْ حسُنَتْ أخلاقهُمْ وتهذّبتْ نفوسهُم وإنّ ذلكَ لِمَنْ أكثرِ ما يؤثّرُ فى النّفْسِ ويبعثها على التّشبّهِ بهؤلاءِ ليكونَ لصاحبها ذِكْرٌ حسنٌ مِثلهم وسيرةٌ طيّبةٌ كما

لهُمْ ، وأرْقى طُرُقِ التّهذِيبِ ما جاءَ فى القُرْآنِ الكريم وإنا لذا كِرُونَ لكَ منهُ طرَفاً علّ ذلكَ يبعثكَ على البحثِ عنْ باقيهِ لتهذيبِ نفسِكَ وإصلاحِ شأنكَ وتقويمِ عِوَجِكَ واللهُ يتولّى هُدَاكَ

﴿ ٢ — وَصِيَّةُ لُقمانَ لابْنِهِ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى (وَإذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَىَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ ووَصَّيْنا الإنْسانَ بوالدَيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهناً على وهنٍ وفِصالُهُ فى عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوالدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصيرُ ، وإنْ جاهَدَاكَ على أنْ تُشْرِكَ بى ما لَيْسَ لكَ بهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما فى الدُّنيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبيلَ منْ أنابَ إلَيَّ ثمَّ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فأُنَبِّئُكُم بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، يا بُنَيَّ إنّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ منْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فى صَخْرَةٍ أوْ فى السّمواتِ أوْ فى الأرْضِ يأتِ بها اللهُ إنَّ اللهَ لَطيفٌ خَبيرٌ يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بالمَعروفِ

وَانْهَ عنِ المُنْكَرِ واصبِرْ علَى ما أصابكَ إنَّ ذلكَ مِن عزمِ الأُمُورِ . وَلاَ تُصَعِّرْ خدَّكَ لِلنَّاسِ ، ولا تَمْشِ فى الأَرْضِ مَرَحاً إنَّ اللهَ لايُحِبُّ كلَّ مُخْتالٍ فَخُور . واقْصِدْ فى مَشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صوْتِكَ.

(التَّفسير)

لقمان حكيم من الحكماء — يعظه ينصح له — وهناً على وهن ضعفاً على ضعف — فصاله فطامه — المصير المرجع — أناب رجع — تصعر خدك تميله تكبراً — مرحاً فرحاً بطراً — المختال المعجب بنفسه — الفخور كثير الفخر والمباهاة — اقصد اعتدل وتوسط — اغضض اخفض

قصَّ اللهُ علينا فى هذهِ الاياتِ ما وَعظَ بهِ لُقمانُ ابنَهُ لنعتبرَ به ونحذُو حَذْوَهُ فنفُوزَ بالسَّعادَةِ فى الدُّنيا والآخرةِ وإِنهُ أوْصاه بالابْتِعادِ عنِ الشِّرْكِ باللهِ تعالى وقال لهُ إِنهُ ظُلْمٌ عظِيمٌ فى الفَظاعَةِ والعقوبةِ ، وإنما كانَ الشِّرْكُ ظُلْماً لأنهُ وضْعُ الشَّيْءِ فى غير موضعِهِ ، وكانَ عظيما فَظيعاً لما فيهِ منَ التَّسويةِ بيْنَ منْ لا نِعمةَ إلاَّ منهُ سبحَانه ومنْ لا نِعمةَ لهُ أصلا، ثمَّ أَوْصَى الله الإِنسانَ بوالدَيهِ لأنَّهما سبَبُ وُجُودِهِ ومَصْدَرُ

حياتهِ ، وذكَّرهُ بما لاقتهُ أمُّهُ من الآلام المُتتابعةِ آلامِ الحملِ وآلامِ الطلقِ ، وآلامِ الولادة ، وآلامِ النّفاسِ ومتاعبِ التّربيةِ ثمّ أمرَهُ بشكرهِ تعالى وشكرهما أيضاً ، وشكرُ اللهِ تعالى يكونُ بفعلِ مايأمُرُ بهِ وتركِ ما ينْهى عنهُ ، وشكرُ الوالدينِ يكونُ ببرّهما وصلتهما ، ثمّ وضّحَ لهُ تعالى كيفيّةَ سيرهِ معَهما فبيّنَ لهُ أنّهُ يلزمُهُ أنْ يصاحبهُما صُحْبةً يرتضيها الشّرعُ وتقتضيها المرُوءةُ كإطعامِهما وكسوتِهما ، وعدمِ جفائهما ، وكتمريضهما إذا مرضا ومُوارَاتِهما إذا ماتا ، أمّا إذا ألجأاهُ إلى الإشراكِ بهِ تعالى فلا يُطيعُهما في ذلكَ ؛ ثمّ بيّنَ لُقمانُ لابنهِ أنّ اللهَ تعالى لا تخفى عليهِ خافيهٌ فالخصلةُ منَ الإساءةِ والإحسانِ وإنْ تكنْ على أقصى ما يُمكنُ منَ الصّغرِ وجُعلتْ في أخفى مكانٍ وأحرزهِ كجوفِ صخرةٍ أو حيثُ كانتْ في العالمِ العُلويِّ أو السُّفليِّ فإنَّ اللهَ يعلمُها ويُجازي عليها ، وهذا تمثيلٌ الغرضُ منهُ بيانُ أنَّ اللهَ يُحاسبُ على النّقيرِ والقِطميرِ والقليلِ والكثيرِ

وبعد أن أمره بالتوحيد الذى هو أول واجب على المكلف ونبهه إلى كمال علمه وقدرته عز وجل أمره بإقامة الصلاة لتكميله بالعمل بعد تكميله بالاعتقاد ، ومعنى إقامة الصلاة الإتيان بها على أكمل حالاتها ، ثم أمره بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأن من يأمر الناس بعمل الطيبات وترك الموبقات تأنف نفسه من أن يراه أحد متصفاً بها ، وهذا سر عظيم من أسرار التربية ، ولأن فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر إرشاداً للناس إلى ما يصلح شئونهم ويسعدهم فى الدنيا والآخرة

ثم أمره بالصبر لأن الإنسان في هذه الحياة عرضة للمصائب ولا سيما من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنه لابد أن يناله من الأذى شىء كثير لا يتحمله إلا أهل العزائم القوية والهمم العلية ، ثم أوصاه بأشياء أخرى منها أنه لا يميل خده عن الناس ولا يوليهم صفحة وجهه كما يفعل المتكبرون — ومنها أنه لا يمشى فى الأرض مرحاً بطراً

ومنها أنْ يعتدلَ في مشيهِ ويتوسَّطَ فيهِ بينَ الدبيبِ والإسراعِ لأنَّ سرعةَ المشي بدونِ موجبٍ شرعيٍّ تذهبُ بهاءَ المؤمنِ وتورثهُ حقارةً عندَ الناسِ لأنَّها تدلُّ على الخفةِ والطيشِ — ومنها خفضُ الصوتِ ، والحكمةُ في ذلكَ أنهُ أوقرُ للمتكلمِ وأبسطُ لنفسِ السامعِ وفهمِهِ

﴿ الكبرُ ﴾

الكبرُ هوَ التعالي على الناسِ وإظهارُ احتقارِهم وهوَ أساسُ كلِّ شرٍّ ومنبعُ كلِّ ضيرٍ ، يكسبُ المقتَ ويوغرُ صدورَ الإخوانِ ، ويخفي الأعمالَ المبرورةَ ، ويظهرُ المساوئ المستورةَ ويعمي صاحبهُ عنِ اتباعِ سبيلِ الحقِّ ، ويغريهِ بارتكابِ الباطلِ ويصرفُ الناسَ عنهُ وناهيكَ بما يترتبُ على ذلكَ من تعطيلِ مصالحهِ وضياعِ ثروتهِ ، ووقوفِ دولابِ معيشتهِ ، فيضيقُ رزقهُ ويقلُّ مالهُ وتسوءُ حالهُ ، لاتجدُ أحدًا يعظِّمُ المتكبرَ ويحترمهُ عنْ رغبةٍ وإخلاصٍ ، ذلكَ لأنَّ نفوسَ كلِّ الناسِ خلقتْ حرةً تكرهُ الذلَّ ، وتأبى

الضَّيمَ ، ولمـا كانَ المُتـكبرُ يَرُومُ بِكبْرِه احتقارَها . وإذْ لا لها انبَعثَتْ إلى مقاومتهِ وعمَدَتْ إلى إذلالهِ وازدرائِهِ مُقابلَة بالمِثْلِ وخوْفاً منَ التغلُّبِ عليها وذلكَ أمرٌ طبَعىٌّ قال الشَّاعرُ .

رأيْتُ الفَتى يَزْدادُ نَقصاً ودِلَّةً
إذَا كانَ مَنْسُوباً إلى العُجْبِ والـكِبْرِ
ومَنْ ظَنَّ أنَّ العُجْبَ من كُبْرِ هِمَّةٍ
فإنِّى رأيْتُ العُجْبَ منْ صِغَرِ القَدْرِ

لِمَ ذَمّ اللهُ إبليسَ ذلكَ الذَّمّ الشَّديدَ وطرَدَهُ من رحمتِهِ ، ألمْ يكُنْ ذلكَ لإبائِهِ واستكبارِهِ (وإذْ قُلْنا للمَلائكةِ اسجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبليسَ أبى واستَـكبرَ) لِمَ امتنعَ عُظماءُ قُرَيْشٍ منَ اتِّباعِ سيِّدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم والاهتِدَاءِ بهَدْيهِ ، والامتثال لأمرهِ ، ألمْ يكُنْ ذلكَ للكِبْرِ الذي مَلأَ نُفوسَهمْ حتَّى قالوا (لوْلاَ نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ منَ القَرْيتَيْنِ عظِيمٍ) فـكانَ نَصيبهُمُ الحِرْمانُ منَ السَّعادَةِ فى الدُّنيا والآخرَةِ

ما الذي حمل جبلة بن الأيهم ومن معه على الارتداد ومفارقة جماعة المسلمين؟ ألم يكن الكبر هو السبب في ذلك: كان جبلة يطوف بالبيت إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة فانحل، فرفع جبلة يده ولطم الفزاري فهشم أنفه فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه، فبعث عمر إلى جبلة فأتاه — فقال ماهذا؟ قال نعم يا أمير المؤمنين إنه تعمد حل إزاري ولولا حرمة الكعبة لضربت مابين عينيه بالسيف فقال له عمر قد أقررت: فإما أن ترضى الرجل، وإما أن أقيده منك، فلما رأى جبلة الصدق من عمر، قال أنا ناظر في هذا ليلتي هذه، حتى إذا نام الناس وهدءوا فر جبلة بخيله ورواحله إلى الشام، وتحمل في خمسمائة من قومه فدخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه، وهو الذي يقول بعد ذلك:

تنصرت الأشراف من عار لطمة

وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تُكَنِّفُنِي فِيهَا لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ
وَبِعْتُ لَهَا العَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالعَوَرْ

فَيَالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي
رَجَعْتُ إِلَى القَوْلِ الذِي قَالَ لِي عُمَرْ

وَيَا لَيْتَنِي أَرْعَى المَخَاضَ بِدِمْنَةٍ
وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ

وَيَا لَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ
أُجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالبَصَرْ

وكانَ عِمَارَةُ بنُ حمزةَ متكبِّرًا جدًّا ، حتّى إنّهُ كانَ إذا أخطأَ لا يَرْجِعُ . ويقولُ . نَقْضٌ وإبْرَامٌ في ساعةٍ ، المَوْتُ أهوَنُ من هذا — دخلَ مرّةً ذلكَ المتكبِّرُ على المَهْدِيّ فلمَّا استقرَّ بهِ مجلسُهُ قامَ رجلٌ كانَ المَهْدِيُّ قد أعدَّهُ ليتهكَّمَ بهِ فقال (مظلومٌ يا أميرَ المؤمنينَ) قال مَن ظلمَكَ ؟ قال عِمارةُ هذا غصبَنِي ضيعَتي (وسمَّاها) وكانت من أجوَدِ ضِياعِ عِمارةَ —

فقال المهدىُّ لِعمارةَ قُمْ فاجلِسْ معَ خَصْمِكَ — قال يا أميرَ المؤمنينَ ما هُوَ لى بخَصْمٍ إِنْ كانَتِ الضَّيْعةُ لهُ فَلَسْتُ أُنازِعُهُ فيها ، وإِنْ كانَتْ لى فقد وهَبْتُها لهُ ، ولا أقومُ من مَجلِسٍ شَرَّفنى بهِ أميرُ المُؤْمنينَ ، فلمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ وانفَضَّ المَجالِسُ سُئِلَ عِمارَةُ عَنْ صِفةِ خَصمِهِ وما كانَ لِباسُهُ وأَيْنَ كانَ موضعُ جُلوسِهِ فلمْ يَعلمْ شيئًا منْ ذَلِكَ لأَنَّهُ لِشِدَّةِ تَكبُّرِهِ لمْ يَنْظُرْ إِلى الرَّجُلِ ولمْ يَعلَمْ مكانَهُ وقتَ الخُصُومَةِ . فانظُرْ كيفَ كانَ الكِبْرُ سَبَبًا فى الاحتِقارِ وضَياعِ الأَموالِ . إِذا تَتبَّعتَ الأَسبابَ التى يَنشأُ منها الكِبْرُ وجَدْتَ من أَهَمِّها المالَ والجاهَ والحسَبَ والنَّسَبَ ومُخالَطةَ غيرِ الأَكفاءِ والعِلمَ الَّذِى لا يُقْصَدُ بهِ الفَضيلةُ ، ولو كانَت مَضارُّ الكِبْرِ قاصِرَةً على المُتكبِّرِ لَسَهُلَ الأَمرُ ولهانَ الخَطْبُ ولكِنَّ كِبْرَ الرُّؤَساء يَقتُلُ الفَضائِلَ فى نُفوسِ المَرؤوسِينَ وكِبْرَ الرَّجُلِ على أَولادِهِ وزَوجِهِ يُميتُ نُفوسَهُم ويُعوِّدُهُم الاستِكانةَ والخُضوعَ . وكِبْرَ المُعلِّمِ على تَلاميذِهِ يُزهِقُ رُوحَ استِقلالِهِم ويَذْهَبُ بحُرِّيَّتِهِم ويُضعِفُ

مواهبَهم ولا يجعلهم كبارَ النفوسِ كبارَ الهممِ

﴿ ٢ — البِرّ ﴾

قال اللهُ تعالى (ليسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ولَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ والمَلائِكَةِ والكِتابِ والنَّبِيِّينَ وآتَى المالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ والسَّائِلِينَ وفي الرِّقابِ وأقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذا عاهَدُوا والصَّابِرِينَ في البأساءِ والضَّرَّاءِ وحِينَ البَأْسِ أُولئِكَ الذِينَ صدَقُوا وأُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ)

(التفسير)

البر الطاعة والخير والتوسع فى الاحسان — ذوو القربى الاقارب — ابن السبيل المنقطع فى السفر — وفى الرقاب جمع رقبة أى فكها بالعتق — البأساء الشدة والفقر — الضراء ما يضر الانسان من مرض أو فقد محبوب البأس اشتداد الحرب

بَيَّنَ اللهُ تعالى فى هذهِ الآيةِ أنواعَ البِرِّ . فأوَّلُها الإيمانُ باللهِ تعالى وابْتُدِئَ به لأنَّهُ أساسُ كلِّ بِرٍّ ومبْدأُ كلِّ خيرٍ ،

ولا يَكونُ الإيمان أصلاً للبرِّ إلاَّ إذَا كانَ مُتمكِّناً من النَّفْسِ بالبُرْهانِ مَصْحُوباً بالخُضُوعِ والإذْعانِ، ومنْ علامات الإيمانِ الكاملِ أنْ يكونَ اللهُ ورَسُولُهُ أحَبَّ إلى المُؤْمنِ منْ كلِّ شَيْء ويُؤْثِرَ أمْرَهُما على كل شَيْء. ومنْها أنْ تكونَ غَيْرَتُهُ على الدِّينِ أشَدَّ منْ غَيْرَتهِ على نَفْسِه ومالِه وأهْلِه، فإذَا أُصيبَ الدِّينُ بمُصيبَةٍ كانَتْ تلكَ المُصيبَةُ أشَدَّ علَيْه منْ مُصيبَتِه في نفسِه ومالِه وولَدِه، وكانَ انْبِعاثُهُ لتَلافيها أعظمَ من انْبِعاثِه لدَفْعِ الأذَى عنْ نَفْسِه ومنْها أنهُ إذا عرَضَتْ لهُ دَواعِي الشَّرِّ وأسْبابهُ حالَ الإيمانُ دُونَها، فإذا غفَلَ وأصابَ الذَّنْبَ بادَرَ إلى التَّوْبة والإنابَةِ - وثانيها الإيمانُ باليَوْمِ الآخرِ أىْ يَوْمِ القيامةِ، وهوَ أنْ يعلَمَ الإنسانُ أنَّ لهُ حياة أُخْرَى في عالَمٍ آخَرَ، وحينَئِذٍ فلا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أنْ يكونَ كلُّ سَعْيِه وعمَلِه لأجْلِ خِدْمَةِ هذا الجِسْمِ خاصةً فإنَّ ذلكَ يَجْعلهُ لايُبالى إلاَّ الامور البَهيميَّةَ، بل يَلْزَمه أنْ يعمَلَ أعمالا صالحَةً يَدَّخِرُها لذلكَ اليَوْمِ العظيم وإنَّ منْ أنكرَ اليَوْمَ

الآخِرَ كان أكبرُ همِّهِ لذاتِ الدُّنيا وشهواتها وحظوظها ، وتلكَ أصلُ شقاء الدُّنيا قبلَ شقاءِ الآخرةِ — وثالثها الإيمانُ بالملائكةِ والسرُّ في وجوبِ الإيمانِ بهم أنَّهم أصلٌ للإيمانِ بالوحي لأنَّ منهمُ الروحَ الأمينَ الذي كانَ يُفيضُ العلمَ من عندِ اللهِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما هوَ موضوعُ الدِّينِ (نزَلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ على قلبِكَ لِتكونَ منَ المُنذِرِينَ بلِسانٍ عربيٍّ مُبينٍ) فيلزَمُ من إنكارِ الملائكةِ إنكارُ الوحيِ والنبُوَّةِ ، وذلِكَ يستلزِمُ إنكارَ اليومِ الاخرِ — ورابعُها الإيمانُ بالكُتُبِ السَّماويَّةِ وهي الكتب المنزَّلةُ من اللهِ تعالى على رسلِهِ كالقرآنِ والتوراةِ والإنجيلِ. فيجبُ علينا أن نعتقدَ أنَّها جاءَت وأنَّها من عند اللهِ تعالى كما أنَّهُ يجبُ على كلِّ مؤمنٍ أن يعملَ بما في كِتابه منَ الإرشادَاتِ التي توصِّلُهُ إلى السَّعادة في الدُّنيا والآخرة . وإنَّ كثيراً ممَّن يدَّعون الإيمانَ بالكتاب قدْ أعرَضوا عن أمرهِ ونهيهِ وإن عمِلوا بشيءٍ منه كانتْ أعمالهُمْ رسوماً خاليةً منْ أرواحها الحقيقيَّة

وإثمُ هذهِ الأعمالِ أكبرُ من نفعِها - وخامسُها الإيمانُ بالنبيّينَ وتمامُهُ يقتضي الاهتداءَ بهديِهِمْ والتأدُّبَ بآدابِهِمْ ويتوقفُ هذا على معرفةِ سيرِهِمْ والعلمِ بسُنَنِهِمْ فإنَّهُ لا معنى للاقتداءِ بشخصٍ إلاَّ الاستقامةُ على طريقِهِ

ثمَّ ذكرَ اللهُ تعالى بعدَ بيانِ أصولِ الإيمانِ نوعاً آخرَ من أنواعِ البرِّ وهو أصولُ الأعمالِ الصالحةِ التي هيَ ثمرةُ الإيمانِ ، فمنْ أصولِ الأعمالِ الصالحةِ أن يُعطيَ الإنسانُ المالَ معَ حُبِّهِ لهُ وهذا الإعطاءُ لا يُشترطُ فيهِ قدرٌ مُعيَّنٌ بل هُوَ على حسبِ الاستطاعةِ ، فمنْ كانَ لا يَملكُ إلاَّ رغيفاً ورأى محتاجاً إليهِ وهوَ مُستغنٍ عنهُ بأنْ لم يكنْ محتاجاً إليهِ لنفسهِ أوْ لمنْ تجبُ عليهِ نفقتُهُ يحتِّمُ البرُّ عليهِ بذلَهُ . وليسَ المحتاجُ وحدَهُ هوَ الذي يُعطَى بلْ يَلزَمُ الغنيَّ أنْ يعطيَ أصحابَ القرابةِ منْهُ إذْ منَ المغروزِ في الفِطَرِ الإنسانيةِ أنَّ المرْءَ يألمُ لفاقةِ ذوي رحمِهِ أكثرَ ممَّا يألمُ لفاقةِ غيرِهِمْ فإنَّهُ يَهُونُ بهوانِهِمْ ويَعِزُّ بعزِّهِم ، ولأنَّهُ إذا احتاجَ وفي أقاربِهِ غنيٌّ

فإنّ نفسَهُ تتوجّهُ إليهِ لعاطفةِ الرّحم . ومَنْ كانَ أقربَ رَحماً كانَ حقّهُ آكدَ وصِلتهُ أفضلَ ، فمَنْ رضِيَ بأنْ ينعَمَ وذَوُو قُرباهُ بائِسُونَ فهُوَ برىءٌ من الفطرَةِ والدّين ، بعيدٌ منَ البرِّ والخير — وكذلكَ يلزَمهُ أنْ يُعطِي (اليتَامَى) فإنّهُم لِموْتِ كافلِيهِمْ تتعلّقُ كفالَتهُمْ وكِفايتُهُمْ بأهلِ اليَسارِ حتى لا تَسُوءَ حالُهُمْ وتَفْسُدَ تَربيَتهُمْ ويكونُوا مُصاباً على أنفُسِهِمْ وعلى النّاس — وممّنْ يتَحتّمُ عليْهِ إعطاؤُهم (المَسا كِينُ) فإنه لمّا قعَدَ بهِمُ العَجزُ عن كَسْبِ ما يَكفِيهِمْ وسَكَنَتْ نفُوسُهُمْ للرّضا بالقَليلِ ، وجبَتْ مُساعَدَتهمْ على المُستَطِيع — ومن هؤُلاء أيضاً (ابنُ السّبيل) وهو المُنْقَطعُ في السفَرِ لا يتّصِلُ بأهْلٍ ولا قَرابةٍ حتى كأنَّ السّبِيلَ وهُوَ الطّريقُ أبُوهُ وأُمّهُ ورَحِمهُ وأهْلُهُ ، وفي الأمْرِ بمُواساتهِ ترْغيبٌ منَ الشّرْعِ في السِّياحةِ والضّرْبِ في الأرْضِ — وكذلكَ يتَحتّمُ إعْطاءُ (السّائِلِينَ) وهمُ الذينَ تدْفَعهُمُ الحاجَةُ العارِضَةُ إلى تَكفُّفِ النّاسِ . والسُّؤالُ محرّمٌ شرْعاً إلاّ لضَرُورَةٍ يجِبُ على السائِلِ

أَنْ لا يَتعدّاها — ومِثْلُ إعْطاء مَنْ تَقدَّمَ إعْطاءُ المالِ لتحريرِ الرِّقابِ وعِتقِها ، وهذا يَشْملُ شِراءَ الأَرِقَّاء وَعِتقَهُمْ وإعانةَ المُكاتَبِينَ (١) على تأدِيةِ نجُومِهِمْ ، ومُساعدَةَ الأَسْرَى على الافتِدَاء . وفى جَعْلِ هذا النَّوْعِ منَ البَذْلِ حقًّا واجبًا فى أموالِ المُسلمِينَ دليلٌ على رَغْبةِ الشَّرِيعَةِ فى فَكِّ الرِّقابِ واعْتبارِ أنَّ الإنسانَ خُلِقَ ليَكُونَ حرًّا إلاَّ فى أَحْوالٍ عارِضَةٍ تَقْضى المَصلَحةُ العامةُ فيها بأنْ يكونَ الأَسيرُ رقيقًا — ومنها إقامةُ الصَّلاةِ وَهِىَ الرُّكْنُ الرُّوحانىُّ للبِرِّ وليْسَ البِرُّ فيهَا أَنْ يأتىَ الإنسانُ بها تامَّةَ الشُّرُوطِ والأَرْكان فقطْ بلِ البِرُّ والتَّقْوَى فى رُوحِها الذِى تَصدُرُ عنهُ آثارُها كالنَّهْى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنكَرِ واستِئْصال الأَخلاَقِ الذَّميمَةِ والاستِعاضَةِ عنها بالصِّفاتِ الحَميدَةِ فإنَّ مُراقَبَةَ اللهِ تعالى فى الصلاَةِ واستِشْعارَ عَظَمتِهِ وسُلْطانِهِ الأَعلىٰ فى الرُّكوعِ والسُّجودِ تَدْفعُ بالشَّخْصِ إلى الاعْتِقادِ بأنَّ اللهَ غالِبٌ على أَمرِهِ فلاَ يُبالى ما لَقىَ مِنَ الشَّدَائِدِ

---

(١) المكاتب عبد علق سيده عتقه على أداء شيء مما يصح بيعه أو البيع به

فى سَبِيلِهِ وما أَنْفَقَ من فَضْلِهِ ابتغاءَ مَرْضاتِهِ تعالى. ومنها إِيتاءُ الزَّكاةِ — وقَلَّما تُذْكَرُ الصَّلاةُ فى القُرْءانِ الكَرِيمِ إلاَّ ويقْرَنُ بها إيتاءُ الزَّكاةِ ، ذلِكَ لأَنَّ الصَّلاةَ مُهذِّبةٌ للرُّوحِ ، والمالُ كما يَقُولونَ قَرِينُ الرُّوحِ فَبَذْلُهُ فى سَبِيلِ الحَقِّ رُكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكانِ البِرِّ ، وآيةٌ منْ أَظهرِ آياتِ الإِيمانِ ، وبها صَلاحُ العُمْرانِ ، ولذلِكَ أجمعَ الصَّحابةُ رِضْوانُ اللهِ عليهمْ على مُحارَبةِ مانِعى الزَّكاةِ .

ثمَّ انتقَلَ سُبْحانَهُ وتعالى منَ البِرِّ فى الأَعْمال إلى البرِّ في الأَخْلاَقِ فذَكرَ منها ما هُوَ أَهمُّ أُصُولِ البِرِّ وهو الوَفاءُ بالعَهْدِ والصَّبرُ بِضُرُوبِهِ المُبيَّنَةِ فى الآيةِ

﴿ الوَفاءُ بالعَهْدِ ﴾

العَهْدُ التِزَامٌ تَطوّعْتَ بهِ لا سَبيلَ لكَ إلى البرَاءَةِ مِنْهُ إلاَّ بالوَفاء . إِنَّكَ حينَ تَعِدُ شَخْصاً بأمرٍ فقَدْ بنى على مَوعِدِكَ مَصالحَ كثيرةً ، وإنَّ فى خُلْفِكَ لوَعْدِهِ نَقْضاً لهذهِ المَصالحِ ، وليسَ هذا من الدِّينِ ولا منَ المُرُوءَةِ — إِنَّكَ لَتجِدُ من نَفْسِكَ

أمتعاضاً وفى صَدْرِكَ ضيقاً إذا ما وَعدَكَ عاملٌ أَوْ صانعٌ أَو تاجرٌ أَوْ غيرُهم بعَمَلٍ من الأَعمالِ ثمَّ لم يَفِ بوَعْدِهِ — تجلسُ معَ الطَّبقاتِ المختَلفَةِ من الأُمَّةِ فترَاها مُجمِعةً على ذَمِّ من يُخْلِفُ الوَعْدَ ويَنقُضُ العهدَ ، ورُبَّما عَدَّتْ ذلِكَ من أكبرِ مَساوِيه الوفاءُ بالعهْدِ من البرِّ لأَنهُ يترَتَّبُ عليه نِظامُ المَعيشةِ كما أَنْ الغَدْرَ والإِخلاَفَ من الذُّنوبِ الهَادِمةِ للنِّظامِ المفسِدَةِ لِلعُمرَانِ ، المُفْنِيَةِ للأُمَمِ ، وما فقدَتْ أُمةٌ الوَفاءَ الذى هو رُكنُ الأَمانَةِ وقوامُ الصِّدْقِ إلاَّ حَلَّ بها العِقَابُ الإِلهىُّ — لا يُعجِّلُ اللهُ الانتِقَامَ من أُمةٍ من الأُممِ لذَنْبٍ من الذُّنوبِ قد فَشا فيها كما يُعجِّلُ ذلكَ لذَنْبِ الإِخلاَلِ بالعَهدِ والإِخلاَفِ للوَعْدِ — كلُّ أُمةٍ أستهانَتْ بالإِيفاءِ بالعُهودِ ولْم تُبالِ ذلكَ ولم تكتَرِث به ضاعَت الثِّقةُ بيْنَ أفرادها حتَّى تَصيرَ معيشتُهُم معيشةَ الأَفرادِ لا معيشةَ الأُمَمِ صُورٌ مُتحرِّكةٌ ووُحُوشٌ مُفترِسةٌ ، وذئابٌ خاطفَةٌ ، كلٌّ منهُمْ يتحيَّنُ الوُثُوبَ على الآخرِ متى وجدَ لذلك سبيلاً ، ولذا تراهُم إذا عاقد أحدُهُم الآخرَ يستوْثِقُ

منهُ بكلِّ ما يَقدِرُ ، ويَحترسُ من غـدرِه بكلِّ ما يُمكِنُ ، فلا تَعاوُنَ ولا تَناصُرَ ولا تَعاضُدَ ولا تآزُرَ — العَهدُ الذى يَجبُ الوَفاءُ بهِ هو العَهدُ الّذى يَلتئِمُ معَ المَصلَحةِ ولا يكُونُ مُخالِفاً لأَوامرِ اللهِ تعالى — يَدخُلُ فى العُهودِ ما عاهَدَ المُؤمِنُونَ عليهِ اللهَ منَ السّمعِ والطّاعةِ والإِذعانِ لِكلِّ ما جاءَ بهِ الدِّينُ بسَبَبِ إِيمانِهم .

أمّا الصبرُ فإنهُ يُحمَدُ فى هذهِ المواطِنِ التى ذَكَرَها اللهُ تعالى وفى غيرِها ، وإنما خُصّتْ هذهِ بالذّكرِ لأنَّ مَنْ صبَرَ فيها كانَ فى غيرِها أَصبَرَ لِما فى احتمالِها منَ المَشقّةِ على النّفْسِ ، فإنَّ الفقْرَ إذا اشتدّتْ وطأتُهُ يَضيقُ لهُ الذَّرْعُ ويكادُ يُفضِى إلى الكُفْرِ ، والضُّرَّ إذا ما بَرّحَ بالنّفْسِ أَساءَ الأَخلاقَ حتى يكادُ المرءُ لا يَحتَمِلُ ما كانَ يُسَرُّ بهِ فى حالِ السّلامةِ وناهيكَ بفَقدِ ما يَعِزُّ على النّفسِ وبالمرَضِ وآلامِهِ وما يَطرَأُ فى أثنائِهِ منَ الأُمورِ التى تُشوِّشُ الفِكرَ وتَذهَبُ بالصبرِ

وأمّا حالةُ اشتِدادِ الحرْبِ فهىَ على ما فيها منَ الشِّدّةِ

والتعرُّضِ للهلكةِ بخوضِ غمرَاتِ المَنيةِ يُطلَبُ فيها منَ الصبرِ مالا يُطلَبُ في غيرِها لأنَّ الصبرَ مقرُونٌ بالظفَرِ — وانظُرْ بعدَ هذا حُكمَ اللهِ تعالى على البررَةِ الّذينَ اتّصفُوا بكُلِّ ما تقدَّمَ ذِكرُهُ من أركانِ البرِّ بقولِهِ (أُولئكَ الّذينَ صدَقوا) في دَعوَى الإيمانِ دُونَ الّذينَ قالوا آمنّا بأفواهِهمْ ولمْ تؤمنْ قلوبُهمْ (وأُولئِكَ هُمُ المتقُونَ) الذين تَشهَدُ لهُمْ بالتقوَى أعمالهُمْ وأحوالهُمْ

﴿٣ — الاتّحادُ﴾

قال اللهُ تعالى (واعتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقوا واذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليكُمْ إذْ كُنتُمْ أعداءً فألَّفَ بينَ قلوبكُمْ فأصبَحتُمْ بنِعمَتِهِ إخوَاناً وكُنتُمْ على شَفا حُفرَةٍ منَ النّارِ فأنقَذَكم مِنها كذلكَ يُبيِّنُ اللهُ لكُمْ آياتِهِ لعلّكُمْ تهتَدُونَ)

(التفسير)

اعتصموا تمسكوا — حبل الله دينه — شفا حفرة — طرفها وحافتها

كانَ الأنصارُ وهُمْ أَهلُ المَدينَةِ الذين آوَوْا رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ ونَصَرُوهُ قبلَ الإسلامِ متَعادِينَ متقاطِعِينَ تَثُورُ بَيْنَهُمُ الحرُوبُ لِأَقلِّ سَبَبٍ، فلمَّا أَسلَمُوا وتخلَّقوا بأخلاقِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ صارُوا إِخواناً مُتَّحِدِينَ مُتَحابِّينَ فنزَلَتْ هذهِ الآيةِ تَحُثُّهُمْ على دَوامِ الأُلْفَةِ والاتّحادِ، وتذَكِّرُهم بما كانُوا علَيْهِ منَ الشِّقاقِ والشَّحْناءِ وبما حَصَلَ لَهُمْ على يَدِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليهِ وسلّم وَتَحُضُّهُمْ على التَّمَسُّكِ بدِينِهِ تعالى والعَمَلِ بما فيهِ منَ الأَوامرِ والنّواهي، وأَنْ لا يتفرَّقوا عنْ الحَقِّ الذى أمرَهُمْ باتّباعِهِ ولا يَختَلِفوا ولا يُحدِثوا ما يُوجِبُ التَّفرُّقَ ويَزولُ مَعَهُ الاجتِماعُ والأُلْفةُ. ولا يَنْسَوْا هِدايَةَ اللهِ وتوفِيقَهُ إِيَّاهُم لِلإِسلامِ الذى أَدَّى إِلى زوالِ تلكَ الأَحْقادِ وتآلفِ قلوبِهم بَعْدَ أن كانَت متفرِّقةً فصارُوا إِخواناً مُتناصِرِينَ مُتَّحِدِينَ وكانوا علَى طرَفِ حفرَةٍ منْ جَهَنَّمَ إِذ لم يكن بَيْنَهُم وبَيْنَها إلاَّ الموتُ فنَجَّاهُمُ اللهُ منها بالإِسلامِ

﴿ الاتحادُ قوّة والتفرّق ضعْفٌ ﴾

هذه قاعدةٌ عامّةٌ وقانونٌ مُطّرِدٌ ، تُمثّلهُ المحسُوساتُ ، وتُثبتُه المشاهدَاتُ : تأمّلْ خيطَ القطْنِ الرّفيعَ ترَى الطّفلَ الصّغيرَ يقطعهُ بلا مشقّةٍ ، ولكن إذا اجتمَع عَدَدٌ عظيمٌ منه تعذّرَ على أقوَى الرجال قطعُهُ . وانظرْ قطرَةَ المطَر تنزلُ من السّحَاب المُرتفع فلا تخدِشُ وجهَ الأرْض ، ولا تحرّكُ مثقالَ ذرّةٍ منَ الرّمْل ، وإذا تجمّعَتْ قطرَاتٌ كثيرَةٌ صارَتْ سيْلا جارفاً يخُدُّ الأرْضَ ويقتلعُ الصّخورَ والأشجارَ . لاحِظْ أشعّةَ نُورِ الشّمْسِ تجدْ أنّها تنبعِثُ إلينا من جرْمها المُلتهِب إلاّ أنّها لتفرّقِها لا يَصِل تأثيرُها إلى درَجةِ الإحرَاق ولكنها إذَا جُمعَتْ بواسِطَة البلّوْرَةِ المعْروفةِ أحرَقتْ ماتمَسُّهُ . ولا يَعزُبُ عنْ فِكْرِكَ حِكايةُ المُهلّبِ بن أبي صُفرَةَ الذى جمَعَ أوْلادَهُ حينما قرُبتْ وفاتُهُ وطَلَبَ رِماحَهُمْ ورَبَطَها حُزْمَةً واحدَةً وأمرَهم واحدًا بعدَ واحدٍ بكسْرِها فعَجَزُوا ثمّ فرّقَها عليْهمْ فكسّرَ كلٌّ

واحدٍ رُمْحَهُ من غيرِ تعبٍ ولا مشقةٍ ، وعندَ ذلكَ قالَ لهم :

كُونوا جميعاً يا بَنِيَّ إذا اعترى
خَطْبٌ ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى الرِّماحُ إذا اجتمعنَ تكسُّراً
وإذا افترقنَ تكسّرتْ أفرادا

وها هيَ الشركاتُ والجمعيّاتُ الخيريّةُ المفيدةُ أمامكمْ لم تؤلَّفْ إلاَّ بالاتحادِ والاجتماعِ ، ولو حاولَ إيجادَها فردٌ لعجزَ مهما أوتيَ منَ القوّةِ الجسميّةِ أو الماليّةِ أو العقليّةِ . إقرأ تاريخَ أيّةِ أمّةٍ منَ الأممِ تجدْ الاتحادَ والوفاقَ من أهمّ أسبابِ رُقيِّها والتقاطُعَ والشقاقَ منْ دواعي تأخُّرِها وسقوطِها وتأمّلْ الأسرةَ التي تمّ الوفاقُ بينَ أفرادِها تجدْها آمنةً مطمئنّةً ، حافظةً مجدَها القديمَ ، سائرةً في طريقِ العزِّ والغنى في حينِ أنكَ تجدُ نظيرتَها التي سرى في أفرادِها سمُّ التفرّقِ وفتكتْ بها جراثيمُ الشقاقِ قد خيّمتْ عليها عناكبُ الفقرِ ، وأحاطَ بها الذلُّ والهوانُ فذهبتْ ريحُها ، وتغلّبَ عليها أضعفُ أعدائِها ،

وقد ضرب الرسولُ أحسنَ مثلٍ للاتحادِ بقولهِ (مَثَلُ المُؤمنينَ في تراحُمِهِم وتوادِّهِم وتواصُلِهِم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى عُضوٌ منهُ تداعى لهُ سائرُ الجسدِ بالحُمّى والسهرِ) وفي الأثرِ (يَدُ اللهِ مع الجماعةِ) يعني أنَّ اللهَ تعالى يُساعدُ المتَّحدينَ ويُمدُّهم بمعونتِهِ ويؤيِّدُهم بنصرِهِ فالاتحادُ أمرٌ يدعو إليه الدِّينُ ، ويوجبهُ العقلُ ، ويؤيِّدُهُ التاريخُ ، لم توفَّقْ إليه أُمَّةٌ ولا أُسرَةٌ ولا جماعةٌ إلاَّ علا شأنُها ، وعزَّ سلطانُها ، وأمِنَت غوائلَ الدهرِ وطوارئَ الأيامِ

﴿ ٤ — الاقتصادُ ﴾

قال الله تعالى : (وآتِ ذا القُربى حقَّهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ ولا تُبذِّرْ تبذيراً إنَّ المبذِّرينَ كانوا إخوانَ الشياطينِ وكانَ الشيطانُ لربِّهِ كفوراً وإمَّا تُعرِضَنَّ عنهمُ ابتغاءَ رحمةٍ من ربِّكَ ترجوها فقلْ لهُمْ قولاً ميسوراً ولا تجعلْ يدَكَ مغلولةً إلى عنقِكَ ولا تبسُطْها كلَّ البسطِ فتقعُدَ ملوماً محسوراً)

(التّفسير)

ذو القربى القريب . التبذير إنفاق المال فى غير وجوهه الشرعية . ابتغاء — طلب . ميسوراً سهلا لينا . مغلولة مربوطة معلقة . محسوراً منقطعاً لاشىء عندك

أمرنا اللهُ تعالى فى هذه الآيات بصلة أرحامنا ، وبالإنفاق على مَن تلزمنا نفقته منهم ، وبإيتاء الزّكاة ، ونهانا عن صرف المال فى غير محله مشبّهاً المبذّرين بالشّياطين : فكما أنّ الشّيطان جاحدٌ نعمةَ ربّه لا يؤدّى الشّكر عليها فكذلك المبذّر جاحدٌ للنّعم أيضاً لأنّه لم يؤدّ شكرها إذ شكرها إنفاقها فى مواضعها المشروعة . ثمّ علّمنا سبحانه وتعالى إذا سئلنا شيئاً ليس عندنا أن نردّ السّائل ردّا جميلا ونلين له القول رحمةً به ، كما بيّن لنا ما يجب أن نفعله بمالنا ، فيجب علينا أن لا نبخل به ولا نبذّر فيه : فإنّنا إن قتّرنا وبخلنا كنّا ملومين ، وإن أسرفنا وبذّرنا صرنا فقراء مُعدِمين بل يلزمنا

أَنْ نَتَوَسَّطَ فى إِنْفاقِنا وَنَقْتَصِدَ فى مالِنا ، نَخَيْرُ الأُمورِ الوَسَط

بَيْنَ تَبْذِيرٍ وبُخْلٍ رُتْبَةٌ وكِلا هَذَيْنِ إِنْ زادَ قَتَلْ

وقَدْ مدَحَ اللهُ الْمُقْتَصِدِينَ وجعَلَهُمْ عِبادَهُ فقال (وعِبادُ الرَّحْمٰنِ الّذِينَ يَمْشُونَ على الأَرْضِ هَوْناً) إلى أَنْ قالَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قواماً)

﴿ فَوائِدُ الاُقْتِصادِ ﴾

الاِقْتِصادُ هوَ التّوَسُّطُ فى الإِنْفاقِ بحيثُ لا يَبْسُطُ الإِنْسانُ يَدَهُ كلَّ البَسْطِ حتى لا يَبْقَى فيها شَىءٌ ولا يَقْبِضُها كلَّ القَبْضِ حتى لا يَخْرُجَ منها شىءٌ ، بلْ يُنْفِقُ على حَسَبِ حالِه ، ويُقَدِّمُ الأَهمّ على الْمُهِمّ ، ويَحْفَظُ شَيْئاً من كَسْبِهِ يعِدُّه لِلْعَوارِضِ التى قلَّما يَنْجو منها أَحَدٌ : كالأَمْراضِ والعَجْزِ عن الـكَسْبِ

إذا تَوَسَّطَ الإِنْسانُ فى الإِنْفاقِ حازَ فَضيلَةَ الاُقْتِصاد ، وكانَ فى مأْمَنٍ من الفَقْرِ وطَوارِئِ الزّمانِ فَفِى الحديث ما معْناه

الإِقْتِصادُ نِصفُ المَعِيشَةِ) ومنَ الحِكَمِ (منِ اقتَصَدَ فى الغِنَى والفَقرِ فقَدِ استَعَدَّ لِنوائِبِ الدَّهرِ) — إِذا كانَ القِيامُ بمطالِبِ الحياةِ من مَلْبَسٍ ومَسْكَنٍ وطعامٍ وشَرابٍ ومراعاةِ صِحةٍ وتَرْبيةِ أَوْلادٍ يَعدُّ منْ لذّاتِ الحياةِ فالدِّرْهمُ سَبيلُهُ . وإِذا كانَ الهواءُ الجيّدُ والقصُورُ المشَيّدَةُ والجيادُ المطهَّمَةُ خيْراتٍ فالدرهمُ سَبَبُ نَيْلِها ، وإِذا كانَتِ الشَّهاداتُ العاليَةُ والمَناصِبُ الرَّفيعة والعُلومُ النَّافِعةُ داعيةَ الفَوْزِ والسَّعادةِ فالدِّرهَمُ سُلَّمُها وإِذا كانَ إِنْشاءُ المُسْتَشفيَات وتَشْييدُ المدَارِسِ وملاحىُ العَجزة مِمَّا يُخَلِّدُ للانسانِ أَحْسنَ الذِّكْرِ فالدِّرهمُ هو الذى شادَها وأَسَّسَها — هذا وإِنَّ الاِقْتصادُ مُمْكِنٌ بالتَّعوّدِ لكل إِنسانٍ أَيًّا كانَ عملهُ وكَيفَما قَلَّ إِيرادُه

إِذا اعتادَ التِّلميذ مَثلاً أَن يَقْتصِدَ كلَّ يوْمٍ أَو كلَّ شَهرٍ منْ مَصْرُوفهِ جزءاً قَليلاً تَكوَّنَ من ذلكَ بعدَ شُهور مقدارٌ عظيمٌ منَ النُّقودِ وذاقَ طَعمَ التّدبيرِ وصارَ الإِقتصادُ عادَةً لهُ .

(والإِنْسانُ ابنُ عادَتِه)

وللاقتصادِ طرقٌ ينبغي معرفتها

﴿ طُرُقُ الاقتصادِ ﴾

عُنِيَ كثيرٌ من النَّاسِ بدراسةِ فنِّ الاقتصادِ ، وصنفوا فيه كُتُباً عِدَّةً ، وسلكوا كلَّ طريقٍ لِنَشْرِ تلكَ الفضيلةِ بينَ العالَمِ وغرسِها في عقولِ الأطفالِ ليَشِبُّوا عليها (ومن شبَّ على شيءٍ شابَ عليهِ)

وينشأُ ناشئُ الفِتيانِ فينا   على ما كانَ عوَّدَهُ أبوهُ

وأهمُّ هذهِ الطُّرقِ (١) إتقانُ العَمَلِ وتأديتهُ في وقتهِ على الوجهِ الذي ينبغي (٢) أَنْ تجعلَ مصرُوفَكَ أقلَّ منْ دَخلِكَ . قال بعض علماء الاقتصاد (إذا كانَ دَخلُكَ ٥٠٠ قرش فأنفقتَ منها ٤٩٩ قرشاً فقدْ كسبْتَ الرَّاحةَ ، وإذا أنفقْتَ ٥٠١ فقدْ جلَبْتَ على نفسِكَ الشقاءَ) (٣) أنْ تنفقَ على قدْرِ منزلَتِكَ بينَ النَّاسِ وتدَّخرَ مازادَ فإنَّكَ لاتدْرِي مقْدارَ ما يَطْلبهُ منكَ المُستقبلُ ، وإذا نقصَ دخلكَ عنْ نفقاتِكَ فخيرٌ لكَ أنْ تُغيِّرَ حالةَ معيشتِكَ (٤) أنْ تشترِي ما تحتاجُ إليْهِ لا ما تشتهيه فإنَّ

الإنسانَ يشتَهى كثيراً ويَحتاجُ قليلاً (٥) أنْ لا تَستَدِينَ إلاَّ لِضَرُورَةٍ ، واعْتَبرْ أنَّكَ لا تَملكُ منَ النُّقُودِ إلاَّ مافى يَدِكَ وأنَّ الذى سَيَجيء ليسَ لكَ ما دامَ فى قَبْضَةِ غيرِكَ ، ولاحِظْ أنَّ ماتَشتَرِيهِ نَسيئَةً [١] أغلى مما تَنقُدُ ثمنَهُ فإنَّ التُّجَّارَ يُضيفونَ إلى الثَّمَنِ جزءاً مقابلَ تأخُّرِهِ ،وقدْضاعت ثَرْوَةُ كثيرينَ لمخالفةِ هذه القاعِدَةِ إذ كانوا يَحسُبُونَ ما سيَرِدُ إليهِمْ فى السِّنينَ المُقْبلةِ زائداً على حَقيقَتِهِ أضْعافاً ويأخُذُونَ منَ المصارِفِ [٢] أموالاً كَثيرَةً يُنفِقونَها فى البَذخِ والتَّظاهُرِ مُقَدِّرينَ أداءها منْ دَخلِهمْ المُقْبلِ ، حتى إذا ماجاءَ ميعادُ دَفعِهَا عَجَزُوا عنْ أدائِها فانتُزِعتْ منهمْ أملاكُهُمْ وأصبَحوا خدَماً بعدَ أنْ كانوا سادَةً (٦) أنْ تتأمَّلَ ماتَشتَرِيهِ وتُلاحظَ متانَتَهُ وجوْدَتَهُ حتى يكونَ انتِفاعُكَ بهِ على قَدْرِ ماتدْفَعُهُ فيهِ منَ الثَّمنِ (٧) أنْ تُقَيِّدَ فى دَفترٍ خاصٍّ دَخلَكَ وخرْجكَ لتعلَمَ مالكَ وما عَليكَ ولا تقعَ فى ورْطةِ الدَّيْنِ

(١) أى بتأخير فى دفع الثمن (٢) البنوك

هذا وقد انحرف كثيرٌ من النَّاس عن جادَّةِ الاقتصادِ فمالَ بعضُهم إلى جانب البُخْلِ والتقتير ومالَ آخرُونَ إلى جانبِ الإسرافِ والتبذيرِ ، أما القسمُ الأوَّلُ فإنَّهم يصرفونَ جميعَ أوقاتِهم في الأخذِ بأنواعِ الحِيَلِ لتحصيلِ الدِّرْهمِ والدِّينارِ ويقصِّرونَ في حقِّ اللهِ تعالى وفي حقوقِ أنفسِهم ومن تَلْزَمهم نفقتُهم ، وهؤلاءِ هم والفقراءُ سواءٌ

ومنْ ينفِقِ السَّاعاتِ في جمْعِ مالِهِ

مخافةَ فقرٍ فالَّذي صنَعَ الفقرُ

بل هم أتعسُ حالا منهم فإنَّ الفقراءَ ينفعُهم عوزُهم عن قضاءِ حوائجِهم وهؤلاءِ لا ينفعُهم مالهُم إلاَّ التلذُّذَ الوهميَّ بأنَّ عندَهم نقودًا هم في الحقيقةِ عليها محاسَبُونَ وعلى حِراستِها وتوريثِها لغيرِهم عامِلون .

وأمَّا القسمُ الثَّاني فهمْ أكثرُ عددًا وأكبرُ ضررًا ، وأكثرُ إسرافِهمْ في الملاهِي والتَّظاهُرِ ولا سيَّما الأفراحُ وجهازُ العرائِسِ وإقامةُ المآتمِ ، وقلَّما تلبثُ ثروةُ الواحدِ منهم

عَدَ الاصابعِ منَ السِّنينَ حتّى تُصبحَ أثَراً بعدَ عينٍ

﴿ الإسرافُ فى جِهازِ العروسِ ومَهرِها ﴾

من العاداتِ السّيئةِ عادَةُ الإسرافِ فى الجهاز للعروسِ . تلكَ العادَةُ التى انتشرَتْ فى بلادِنا فكانَتْ عاقبتُها من أشنَعِ العَواقبِ : ضَرَرٌ بيِّن ، وفقرٌ حاضرٌ ، وخرابٌ عاجلٌ — قالوا لابدَّ للعَروس أنْ تصحَبَ جهَازاً فيهِ ما تشتهيهِ الأنفُس وتلَذُّ الأعيُنُ ، سَواءٌ أكانَ ذلكَ سيُستَعمَل فى بيْتِ زَوْجها أمْ لا ، ويلزم أنْ يكونَ فى ذلكَ الجهاز منَ الحُلِيِّ ما غَلا ثمنُهُ وخَفَّ مَحْمِلُهُ ، ومنَ الثياب ما علَتْ قيمَتُه ، ولانَ مَلمَسُهُ ، وتعدَّدَتْ أشكالهُ ، وتنوّعتْ أصنافُهُ ، وأزياؤُهُ ، مما يكفِي العروسَ السِّنينَ الطِّوالَ . ترَى والدَ العَرُوس يَقبضُ مَهرَها ويُضيفُ إليهِ ما أَمكَنه منَ المالِ ، ويَسرَعُ فى جمعِ ذلكَ الجهاز من كل فَجٍّ حتى إذا فرَغَ مافى يدهِ استَدَانَ وتَناولَ أموالَ النّاسِ خَوْفاً من كلام النساء ، وحذَراً من انتِقادِ الأندادِ . فيَستمِرُّ هو

فى الاستدانة وتستمر النساء فى الطلب ، فما ينتهى الجهاز إلا وقد أحاط الدين بممتلكاته إن كان غنيا — تذهب العروس إلى بيت زوجها ويبقى والدها يقاسى مضض الدين والآلام. وكم من رجال ذهب شرفهم وانحط قدرهم بسبب الجهاز . وقد شوهد أن بعض متوسطى الثروة أصبح بسبب جهاز بنته فقيرا ، وبات وعلى عاتقه من الديون أثقال ينوء تحت عبئها ، ومعظم الجهاز فنى وتبدد وما بقى منه فقلما يستعمل . بل شوهد أن بعض الموسرين أصبح بسبب جهاز عدة بنات مدينا بعد أن كان دائنا ، ومعسرا بعد أن كان موسرا — ومن أضرار ذلك الجهاز أنه كما يكلف الوالد تلك الكلف الجسيمة يلزم الزوج بالمهر الفادح فإن والد الزوجة يجعل دائما نصب عينيه الجهاز الفخم ، وهذا يستدعى المغالاة فى المهر ليستعين به ، وكثيرا ما يكون الزوج عاجزا عن المهر المطلوب لكن إباء والد العروس وتصميمه على عدم الرضا بالقليل يلجئانه إلى أن يبذل جميع ما تملكه يده فيصبح فقيرا معدما أو مدينا

ذَليلاً ، ويَبْتدِئُ حَياتَهُ الجدِيدَةَ بالهَمِّ الدّائم والشّقاء المستَمرِّ لِمَ هذا التغالى وفى الحديثِ الشّريفِ ما معْناهُ (أَقَلُّهُنّ صَدَاقاً أَكْثَرُهُنّ بَرَكَةً) — لا نَرَى عذْرًا لوالدِ العَرُوسِ فى زيادةِ المَهْرِ سوَى أَنَّ هذا القدْرَ زَهيدٌ جدًّا لأَنِّى سأُعِدُّ جَهازًا كاملاً وسأُضيفُ إلى المَهْرِ منْ مالى أَضعافَهُ . بهذَا العُذْرِ القَبيحِ قدْ خالَفَ ما سَنَّهُ الشَّرْعُ الشّريفُ ورَضِيَ بِشؤْمِ ابْنَتِهِ وبِضَرَرِ زَوْجِها بلْ بِضَرَرِ نَفْسِهِ ، ويالَيْتَ هذا الإِنْفاقَ كانَ فى شىءٍ نافعٍ للعَرُوسَيْنِ ، بَلْ إِنَّ الجَهازَ فى زَمَنِنا هذا صارَ منَ الأُمورِ الصُّورِيّةِ التى تَتَمتّعُ بها الأَنْظارُ وَلا تُستَعْمَلُ فى مرَافقِ الحياةِ . وقدْ أَدْرَكَ ذلكَ بَعضُ العُقلاءِ فخَفّفُوا المُهُورَ واقْتَصَرُوا على الضّرُورِىِّ من الجهَازِ فعسَى أَنْ يكونُوا قُدْوَةً حَسَنَةً لِغَيرِهِمْ فتَحْسُنَ الحَالُ وتُحْفَظُ الثّرْوَةُ وتَعيشَ الأَزْواجُ معَ أَزْواجِهِمْ فى صفَاءٍ ورَغَدِ عَيْشٍ

﴿ الإسرَافُ فى الاعراسِ ﴾

ومنَ الإسرَافِ ما يُعْمَلُ فى احتِفالاتِ الأَعْرَاسِ فى زَمانِنا

ـذا ، وذلك لأنَّ المحتفلَ يدعُو عدداً عظيماً من إخوانه وأحبابه ويُعِدُّ لهم منَ الطعام أصنافاً عِدَّةً ومن الحلوى أنواعاً شتّى ممّا يُكلِّفُهُ نفقاتٍ كثيرةٍ ، وربّما يُثقلُ كاهلَهُ بالدَّيْنِ ، ومن المَقُوتِ أنّ النّاسَ الآنَ صارُوا يدعُونَ أهلَ الوجاهةِ والقدْرِ وإنْ كانوا لا يَعرفونهم طلباً للفخرِ والشُّهرةِ . ولو وقفَ الأمرُ عندَ هذا الحدِّ لسهُلَ احتمالُه ولكنّا نراهم يزيدونَ الطّينَ بلّةً والطُّنبورَ نغمةً فيحضرونَ المُغنِّينَ للرِّجالِ والمُغنِّياتِ للنِّساء ولا تسَلْ عمّا يستدعيهِ ذلك من النَّفقاتِ الطّائلةِ ، وناهيكَ بما يكونُ في جمعيّاتِ النِّساء من التّبذيرِ والإسرافِ . ثيابٌ جديدةٌ متنوّعةُ الأزياءِ والأصنافِ . أموالٌ تُدفعُ للمُغنّياتِ ومنْ على شاكلتهنَّ ممّنْ مهنتُهُنّ جلاءُ العروسِ ، وهدايا النّفسِ العروسِ مع التّنافسِ في ذلك ليقالَ هديّةُ فلانةٍ أرجحُ وهديّةُ الأخرى أذوقُ ، الى غيرِ ذلكَ ممّا يُفقرْنَ به أزواجهنَّ ويحمّلْنَهمْ مالا يُطيقونَ فلا يَلبثُ ذلك الفرحُ أنْ يكونَ غمّاً على أقاربِ الزّوجينِ وخراباً عاجلاً على الأصحابِ ولا تنسَ

ما يكتسبنهُ من الصفات الذميمة والأخلاق السافلة والألفاظ البذيئة التي تكون عادةً في أمثال تلك المحافل. نعم إن دعوة العرس والاحتفال به من سنن الشرع الشريف، والحكمة في هذا ثبوت النسب وشهرته لدى الناس. وقد أُبيح الضرب بالدف في العرس لإيناس العروس وتسكين روعها، ولكن ينبغي أن يكون على وجه يلتئم مع المصلحة ولا يخرج عن حدود الشريعة، فيكفي أن يدعو صاحب الوليمة بعض أقارب الزوجين وبعض خواصه هو وعدداً من الفقراء فإنهم عيال الله، والرأفة بهم تستدعي رحمته تعالى، وأن يكون ذلك الاجتماع بعيداً عن الملاهي والمعاصي وعن الإسراف والتبذير وقد أخذت والحمد لله هذه العادات القبيحة في الاضمحلال بين الطبقات الراقية، فإن العقلاء منهم جعلوا يقتصرون على دعوة أهل العروسين وبعض أقاربهم حفظوا بذلك أموالهم من الضياع وأعراضهم من الثلم وأحيوا الشرع الشريف ونبهوا الناس إلى ما فيه مصلحتهم جزاهم الله عن الدين خير الجزاء

﴿ الإسراف في المآتم ﴾

منَ العاداتِ التي تُخالفُ الشرعَ وتُنافِي قوانينَ الاقتصادِ ما يُنفَقُ الآنَ في تجهيزِ الميِّتِ وتشييعِهِ ومأتمِهِ وزخرفةِ قبرِه وأمثالِ ذلكَ ممَّا لا يفيدُ الميِّتَ شيئًا ويعودُ بالخسارةِ على أهلِهِ . يموتُ الميِّتُ فتثورُ في أفكارِ أهلِهِ حميَّةُ المفاخرةِ والمناظرةِ فيأخذونَ في المغالاةِ في الكفنِ ويجلبونَ منهُ ما غلا ثمنُهُ ودقَّتْ صنعتُهُ ممَّا كانوا يضنُّونَ به عليهِ أيَّامَ حياتِهِ ، ويتسلَّونَ بقولِهم : ذهبَ الغالي فلا أسفَ على الرخيصِ ، تلكَ حجةٌ واهيةٌ . نعمْ يُقالُ مثلُ ذلك إذا ذهبَ شيئانِ غالٍ ورخيصٌ قسرًا عنَّا ، أمَّا إذا ذهبَ الغالي جبرًا فليسَ منَ الصوابِ والحكمةِ أنْ نُذهِبَ نحنُ شيئًا آخرَ غاليًا كانَ أوْ رخيصًا إذْ بذلكَ نكونُ قدْ ضاعفْنَا البلوى بل الصوابُ والحكمةُ أنَّهُ إذا أُصيبَ الإنسانُ بأمرٍ يلزمُهُ أنْ يحترسَ منَ المصيبةِ بغيرِهِ لئلاَّ تتجمَّعُ المصائبُ فيزدادُ إيلامُها — السُّنَّةُ في الكفنِ أنْ يكونَ منْ ثيابِ القطنِ البيضاءِ ، فعنْ عائشةَ رضيَ اللهُ

عنها أنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ (كـفِّنَ فى ثلاثةِ أثوابٍ يمَانيةٍ بيضٍ سَحُوليةٍ [١] منْ كرسُفٍ [٢] ليْسَ فيها قميصٌ ولا عمَامةٌ) والأَوْلى بأهلِ الميّتِ الاعتبارُ بميتهمْ : فقدْ كانَ ناطِقاً فصمَتَ ، ومُتحركاً فسكنَ ، ومُتصرفاً فأصبحَ مكفُوفَ اليَدِ ومُطَاقاً فأمسَى سَجيناً ، وفى جمَاعةٍ فباتَ وحيداً ، فإنَّ تدَبُّرَ ذلكَ يُؤدِّى إلى اتِّباعِ الشَّرْعِ ونبذِ التَّفاخُرِ والإِسرَافِ طهْرِبَّا لا تَسَلْ عنِ المَطاعِمِ والنَّفقاتِ التى تُنْفَقُ فى لَيالى المَـأْتمِ وما يَتبَعُها كليالِى الجُمَعِ والأَرْبَعينَ فإنَّها كثيرًا ما تـكُونُ سبَباً فى الفَقْرِ المُدْقِعِ ، فإنَّ النَّاسَ يتـكلَّفُونَ صُنْعَ الأَطْعِمَةِ الفاخِرَةِ التى لمْ يَعتادُوا أكلَهـا ويهتَمُّونَ بإتقانها ، ولوْ أدَّى ذلكَ إلى الاستِدانةِ ، وأعجَبُ من ذلِكَ كلِهِ أنَّهم يَعملونَ ما يَعْـملونَ زاعِمينَ أنَّ ذلكَ صدَقةٌ يَصلُ ثوابُها إلى الميّتِ معَ أنَّكَ لا تجدُ هذهِ الأَطعِمةَ إلاَّ في بُطُونِ الأَغنياء ، أمَّا الفقراءُ فيَلحُونَ فى

(١) أى منسوبة الى سحول كصبور موضع باليمن يجلب منه الثياب

(٢) الكرسف — القطن

الطَّلَبِ وَيُلحفُونَ فى المَسأَلةِ فَيكُونُ نَصيبُهُمُ الحِرْمانَ والطَّرْد وإنْ أُعْطُوا شيئاً فمِنَ الفَضلِ والبَقيةِ . لا نعلمُ سَبباً لإنفاقِ هذهِ الأَموالِ فى هذا السَّبيلِ وتَحمُّلِ الاثقالِ التى لا داعِيَ إِلَيْها إلا شُيُوعَ تِلْكَ العادَةِ السَّيِّئَةِ — أَهْلُ الميِّتِ محزُونُونَ مُضطَرُّونَ فى صُورَةِ مُختارِينَ فَلا يَحمِلُهُمْ على ذلِكَ إلاَّ ما أَلِفُوا وما شاهَدُوا . لَيسَ الأَسَفُ الشَّدِيدُ على الأَغنياءِ الذِينَ يُنفِقُونَ منْ سعةٍ . ولَكِنِ الأَسَفُ كلُّ الأَسفِ على الفُقَراءِ الَّذِينَ لا يَقدِرُونَ على هذهِ النَّفقاتِ ، بلْ هُمْ فى احتياجٍ إلى بَعضِ ما يُنفَقُ فيها . قدْ تكُونُ هذهِ النَّفقاتُ محسُوبَةً منْ أصلِ تَرِكَةِ الميِّتِ ظَنّاً أنها منْ جُملةِ تجهيزِهِ الذى هوَ مُقدَّمٌ على كلِّ شىْءٍ حتَّى على دُيُونِهِ ووَصيتِهِ ، ويكُونُ هُناكَ للمَيِّتِ أيْتامٌ فيئُولُ الأَمرُ إلى إنفاقِ مالِ اليَتيمِ وأَكلِهِ ظلماً ، فلْيَحذَرِ القائِمُونَ بأَمرِ المآتِمِ منَ الوُقُوعِ فى هذهِ الهُوَّةِ العَميقةِ — وَمنْ أكبَرِ أَنواعِ الإِسْرافِ فى بِلادِنا تَشييدُ المَبانى الفَخمةِ على قبرِ الميِّتِ حيثُ لا فائِدَةَ منْها معَ ما فيها منَ الحُرمَةِ لِتَعطيلِ الأَراضى

الموقوفةِ للدَّفنِ وَحرمانِ النَّاسِ منها ، وفى ذَلك منَ الضَّرَرِ مالاَ يَخفى . زيادَةً على مافيهِ منَ الإسرافِ والتَّبذيرِ ، وكأنَّهُم قصدُوا بذَلِكَ أَنْ يَختَتِمُوا بالتَّبذيرِ كما افتَتَحُوا بهِ

﴿ ٥ — العَمَلُ لِلدَّارَيْنِ ﴾

قال اللهُ تعالى . (وابتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَالآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ منَ الدُّنْيا وأَحْسِنْ كما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ولا تَبغِ الفَسادَ فى الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يحِبُّ المُفْسِدِينَ)

(تفسير الآية)

أُطلُبِ الدَّارَ الآخِرَةَ وأَنفِقْ ما أعطاكَ اللهُ منَ الغِنى والثَّروَةِ والقُوَّةِ فى أَفْعالِ الخيرِ ، ولا تَنسَ نَصيبَكَ منَ الدُّنيا . ونَصيبُ الإنْسانِ منها الأَكلُ والشُّرْبُ والمَسكَنُ والمَلْبَسُ والمَرْكَبُ وَالزِّينةُ والتَّمَتُّعُ بجَميعِ الأَشياءِ المُباحَةِ من غيرِ سَرَفٍ ولا تبذيرٍ ، فالآيةُ نصٌّ فى التَّمتُّعِ بالحَياةِ الدُّنيا مُتَضَمِّنةٌ طلبَ العَمَلِ لأَنَّ التَّمتُّعَ موقوفٌ عليه ، وفى الحديثِ

ما معناهُ (اعمَلْ لِدُنياكَ كأنَّكَ تَعيشُ أبَدًا واعمَلْ لآخرتكَ كأنّكَ تموتُ غَدًا)، وأحسِنْ إلى نفسِكَ وإلى النَّاس بما تَصِلُ إليهِ قُدْرَتُكَ كإحسَانِ اللهِ إِلَيْكَ بِصنُوفِ نِعَمِهِ، ولا تَرْتَكِبْ مَعْصِيةً يَتَرَتَّبُ عَلَيْها ضَرَرُ غيرِكَ ولا تكُنْ سبَبًا فيها، ولا تُساعِدْ عليها، ولا تَرْضَ عَمَّنْ يَرْتكبها، إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدين. ومَحَبَّةُ اللهِ للإنسان الإنْعامُ عليهِ بِنِعْمَةٍ تُقَرِّبُهُ مِنْ رَحمتِهِ ولا تُطْغيهِ، والغرضُ من هذهِ الآياتِ الكريمةِ الحثُّ على العمل النَّافع دُنيويًّا أو أُخرويًّا، وعلى الإحسانِ وتجنُّبِ الأذَى، وهذه الأُصولُ الثَّلاثةُ مِنْ دَعائمِ العُمْرانِ ومُقَوِّماتِ الدِّينِ والمَدَنيَّةِ معًا

﴿ العَمَلُ الصَّالحُ ﴾

العَمَلُ الصّالحُ ليسَ مَقصورًا على العباداتِ كما يَفْهَمُهُ بعْض القاصرِينَ بلْ يَشْمَلُ جميعَ الأعمالِ التي فيها مَنْفَعةٌ للعاملِ ولِغيْرِهِ. مدَحَتِ الشرائعُ جَميعُها العَمَلَ النَّافعَ، وحثَّتْ عليهِ لأنهُ من ضرُورِيّاتِ الحياةِ، ولولاهُ ما حَصلْتَ على القُوتِ ولا قَوِيتَ على عبادَةِ اللهِ تعالى، لولاهُ ماوجدتَ ثوبًا تلبَسُهُ ولا مسكَنًا

تأوِي إليهِ ، ولا طَرِيقاً تَسلُكُهُ ، ولا قَنطَرَةً تَعبُرُ عليها نَهَرًا ، ولا قِطارًا تخترقُ بهِ الفَيافِيَ والقِفارَ ، تأمَّلْ كلَّ شيءٍ يُحيط بِكَ تجِدْهُ مِنْ نَتائجِ العَمَلِ وثمَراتِهِ . فالعَمَلُ رُوحُ الحياةِ وأَساسُ العُمْرانِ :

وما الحَيَاةِ بأنفاسٍ تُرَدِّدُها ... إنَّ الحياةَ حَياةُ العِلْمِ والعَمَلِ

لا ثمرَةَ للعلمِ إنْ لمْ يكنْ وسيلةً إلى العَمَلِ . العامِلونَ هُمْ الّذِينَ شادُوا صُرُوحَ المَدَنِيَّةِ ورَفعُوا شأنَ الإنسانيَّةِ فأحسَنُوا إلى أنفُسِهِمْ وإلى بِلادِهِمْ وإلى النَّاسِ أجمَعِين . أُولئِكَ الذِينَ يخلِّدُ لهمُ التَّارِيخُ السِّيرَةَ الحسنَةَ والأثَرَ الجميل .

تِلكَ آثارُنا تَدُلُّ علَينا ... فانظُرُوا بَعدنا إلى الآثارِ

أمَّا الخامِلونَ الذِينَ قالوا

إنَّ البَطَالَةَ والكَسَلْ ... أحلى مَذَاقاً منَ عَسَلْ

ورَكَنُوا إلى الرَّاحَةِ ، فإنَّهُمْ عالَةٌ على غيرِهِم تَرَى منهم المَرِيضَ الّذِي لا يُرجى بُرْؤُهُ والمُعْدِمَ الّذى أَحاطَ بهِ الفَقْرُ

والذلُّ ، والسجينُ الذي تأ لَمَتْ منهُ النفوسُ الطاهرةُ — وقدْ نَصّت الشريعةُ الإسلاميةُ على أنّ أفضلَ الرزق ما اكتسبهُ الإنسانُ بكدِّهِ وعملهِ ففي الحديثِ (ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطّ خيراً مِنْ أنْ يأكُلَ منْ عملِ يَدِهِ وإنّ نبيّ اللهِ داوُدَ كانَ يأكلُ مِنْ عملِ يَدِهِ) وذُكِرَ رجلٌ عندَ النبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ بالاجتهادِ في العبادةِ والقوّةِ على العملِ فقال بعضُ الحاضرين صَحِبْناهُ في سفرٍ فما رأينا بعدَكَ يارسولَ اللهِ أعبدَ منهُ : كانَ لا ينفتلُ من صلاةٍ ولا يُفطِرُ من صيامٍ . قالَ النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ مَنْ كانَ يَمُونُهُ ويقومُ بهِ؟ قالوا كلُّنا ، قال كلُّكم أعبدُ منهُ — وقال أبو سُليمان الدّاراني ليست العبادةُ عندنا أنْ تصفَّ قدميكَ وغيرُكَ يقوتُ لكَ، ولكنْ ابدأ برغيفيكَ فأحرزْهما ثمّ تعبّدْ — وكما أنّ العملَ فضيلةٌ فالفراغُ رذيلةٌ قال عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : إنّي لأرى الرجلَ فيُعجبني فأقولُ أَلَهُ حرفةٌ ؟ فإنْ قالوا لا سقطَ منْ عيني، وقال لا يقعدُ أحدُكم عنْ طلبِ الرزقِ ويقول اللهمّ ارزقني فقدْ علمتمْ أنّ السماءَ لا

تمطرُ ذهباً ولا فضةً ولكنَّ اللهَ يرزقُ النَّاسَ بعضَهُمْ من بعضٍ

﴿ وسائلُ نجاحِ العملِ ﴾

كلُّ إنسانٍ يودُّ أنْ يجنيَ ثمارَ عملِهِ ولكنْ :

(ما كلُّ ما يتمنى المرْءُ يدركُهُ) فقدْ تخطئُ طريقَ النّجاحِ فلا يحصلُ منْ عملِهِ على النّتيجةِ التى كانَ ينتظرُها ، أوْ لا يحصلُ على نتيجةٍ أصلاً ، وذلِكَ لِفقدِ شرْطٍ منَ الشّروطِ التى يجبُ على العاملِ ملاحظتُها وهى كثيرةٌ . منها :

(١) تدبُّرُ العملِ قبلَ الشُّروعِ فيهِ حتى إذَا أيسَ من نفْسِهِ القدْرةَ على إتمامِهِ أقدَمَ عليهِ بلا تردُّد

إذا كنتَ ذَا رأيٍ فكنْ ذَا عزيمةٍ
فإنَّ فسادَ الرَّأيِ أَنْ تتردَّدَا

(٢) الحزْمُ وهُوَ ضبْطُ الرَّأيِ فى العَمَلِ ، فلاَ تُقدِمْ على عملٍ إلاَّ بعدَ أَن تضعَ لهُ مثالاً فى فِكرِكَ أَوْ فى أَوْراقِكَ لتستدِلَّ على موْضعِ الخَلَلِ الذِى قدْ يَعرضُ أثناءَ العملِ

(٣) المُزاوَلَةُ وكَثرةُ التمرُّنِ على الشيءِ ليَصيرَ عادَةً تَسهُلُ عليكَ تأدِيَتُهُ

(٤) الاجتِهادُ وبذلُ الطَّاقةِ فبقَدْرِ ما يبذُلُ الإنسانُ من الجهدِ والمَشقَّةِ في العَمَلِ يكونُ نجاحُهُ فيهِ

لا يُدرِكُ المَجدَ إلاَّ سيِّدٌ فَطِنٌ　　لِمَا يَشُقُّ على السَّاداتِ فَعَّالُ

ولهذا وجَبَ الاهتِمامُ بكلِّ عمَلٍ بِقَدْرِ ما يَستَحِقُّهُ لِكَيْ يتِمَّ في حينِهِ

وقلَّ مَنْ جَدَّ في أمرٍ يحاوِلُهُ
واستَصحَبَ الصَّبرَ إلاَّ فازَ بالظَّفَرِ

(٥) الثَّباتُ وهوَ الاستِمرارُ في العَمَلِ وَالمداومةُ عليهِ فإنَّ أكثرَ الأعمالِ لا تَظهَرُ فائِدَتُها في أوَّلِ الأمرِ فيرَى مَنْ لا ثَباتَ لهُمْ أنَّها لا تُنتِجُ فيَنقَطِعُونَ عنهَا وتَذهَبُ أعمالُهُمْ الأولَى أدرَاجَ الرِّياحِ ، ولو استَمرُّوا لَنجَحُوا ، وفي الحديثِ (أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدوَمُها وإنْ قلَّ)

(٦) التَّرتِيبُ والنِّظامُ . وهوَ وضعُ الشيءِ في محلِّهِ وإتمامُ

الامرِ فى حينِهِ ، وهوَ يُسَهِّلُ أصعَبَ الأعمالِ وتُذَلِّلُ أكبرَ المَصاعِبِ ويَحفَظُ الزّمنَ — ترى أصحابَ الأعمالِ الخَطيرَةِ كمُديرى المَصارِفِ والسِّكّكِ الحَديدِيَّةِ وأصحابِ المَعامِلِ العُظمى وغيرِهِم منَ الذينَ مَهَرُوا فى النِّظامِ والتَّرتيبِ يُديرُونَ أعمالَهُمْ وهُمْ فى مَجالِسِهِمْ فى زَمَنٍ يَسيرٍ معَ الضَّبْطِ والدِّقَّةِ ، وإنَّ تَعَوُّدَ التَّرتيبِ والنِّظامِ في الأشْياءِ الصغيرَةِ ويَغرِسُ فى الإنسانِ خُلُقَ النِّظامِ والتَّرتيبِ فى كلِّ شىءٍ

(٧) المُحافَظَةُ على الوَقتِ إذِ الوَقْتُ كالسَّيْفِ إنْ لمْ تَقْطَعْهُ بالأعمالِ النافِعَةِ قَطَعَكَ بالأسَى والأسَفِ

إذا مَرَّ بى يَوْمٌ ولمْ أتَّخِذْ يَدًا
ولمْ أستَفِدْ عِلمًا فَمَا ذاكَ من عُمْرى

ولِكلِّ يَوْمٍ من أيّامِ حَياتِكَ عَمَلٌ مُختَصٌّ بهِ فَلاَ تؤَخِّرْهُ إلى يَوْمٍ بَعْدَهُ فيَجتَمِعَ العَملانِ ، ورُبّما يَتَعَذَّرُ تأدِيَتُهُما على ما يَنبَغِى :

ولا أُؤَخِّرُ شُغْلَ اليَوْمِ عَنْ كَسَلٍ   إلى غَدٍ إنَّ يَوْمَ العاجِزِينَ غَدُ

﴿٦ – القِيامُ بالقِسْطِ﴾

قال الله تعالى: (يا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا كونُوا قوّامينَ بالقِسطِ شُهَدَاءَ لِلهِ ولوْ علَى أَنفسِكُم أَوِ الوَالدَيْنِ والأَقْرَبينَ إِنْ يَكُنْ غَنيًا أَوْ فقيرًا فاللهُ أَوْلَى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلوا وإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فإِنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْملونَ خَبيرًا)

(التفسير)

قوام صيغة مبالغة ومعناه كثير القيام القسط العدل . الهوى ميل النفس — تلووا تحرفوا . تعرضوا تتركوا

والمعنَى كونُوا أَيُّها المُؤْمِنونَ مُوَاظبينَ على العَدْلِ في جميعِ الأُمُورِ ، مُجتَهِدِينَ فيهِ كلَّ الاجتِهادِ ، لا يَصْرِفُكم عنهُ صارفٌ تُؤَدُّونَ شَهادَاتِكُم لوَجهِ اللهِ تعالى كما أُمِرْتمْ بإِقامَتِها لا لِغرَضٍ دُنيوِيٍّ ولوْ كانَتِ الشَّهادَةُ على أَنفُسِكمْ أَو والِدَيكمْ أَوْ أَقرَبِ النَّاسِ إِلَيكم — كما أَنَّهُ يَلزَمُكم أَنْ لا تغيِّرُوا فيها شَفَقَةً على أَنفسِكُمْ أَو خوفًا على أَقارِبِكُمْ — إِنْ يَكُنِ المَشهُودُ عليهِ غَنيًّا تَرجُونَهُ وتَخافونَهُ أَوْ فقيرًا يَستَحِقُّ الرَّحمَةَ والعطفَ

فلاَ يَسُوغُ لكم أَنْ تمتنعُوا عَنِ الشَّهادَةِ طَلَباً لِرضا الغنيِّ أَوشفقةً على الفَقيرِ لانَّ اللهَ تَعالى أَوْلَى بالنَّظَرِ إليهِما منْ سائرِ النَّاسِ ولوْلاَ أَنَّ في الشَّهادَةِ عليهِما مَصْلَحةً لهما لما شَرَعَها . فلاَ تَتَّبِعُوا هَوَى أنفُسِكُمْ ومَيْلَها كرَاهةَ العَدْلِ بيْنَ النَّاسِ . وإِنْ تحرِّفوا الشَّهادَةَ أَو تتْرُكُوا إِقامَتَها فإِنَّ اللهَ كانَ بما تَعْملونَ خَبيراً عالِماً مُطَّلِعاً عليكُمْ فيُجازيكم على عمَلِكم

أَمرَ سبْحانَهُ في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ الإِنسانَ بأَنْ يُؤَدِّيَ الشَّهادَةَ على وجْهِها ولا يَكْتُمَها ولوْ ترتَّبَ عليها في الظَّاهِرِ ضَرَرٌ لِنَفسِهِ أَوْ أَحَدِ أَقاربِهِ لأَنهُ سُبْحانَهُ وتعالى أَعْلمُ بمَصالحِ العِبادِ ، ونهى عن كِتْمانِ الشَّهادَةِ أَو التَّغْييرِ فيها والعُدُولِ عنها . ثمَّ تَوَعَّدَ مَنْ لم يُؤَدِّها كما هيَ بأَنَّهُ تعالى مُطَّلعٌ على حقيقةِ أَمرِهِ فيُجازيهِ بما يستحقُّ

﴿ شَهادةُ الزُّورِ ﴾

تحاكَمَ اثنانِ أَمامَ قاضٍ فادَّعى أَحدُهما أَنَّ الآخرَ ضَرَبَهُ واغتَصَبَ مالهُ وأَنكرَ المُدَّعى عليه تِلْكَ الدَّعْوَى فأَحْضَرَ

المُدّعِي شاهدين شهدا له بصحة دعواه ، فحكم القاضى على المُدّعى عليه بالسجن ورد المال إلى المدّعِي — ترى من هذا أن القاضى بنى حكمه طبعاً على الشهادة فإن كانت حقاً فقد ترتب عليها رد المظالم إلى أهلها وعقوبة المعتدى وإقامة العدل وعبرة الناس حيث لاقى الجانى جزاء ما عمل ، وإن كانت زوراً ترتب عليها عقاب البرىء ، وإعانة الظالم وإعطاء المال لغير مستحقه ، وتقويض أركان الأمن إذ يجرؤ الناس على ارتكاب أنواع الجرائم اتكالاً على مثل هذه الشهادة ، والقاضى مضطر إلى أن يحكم بها ما دامت صحيحة الظاهر فشهادة الحق تحفظ الحقوق وتساعد على انتشار العدل وتوطيد دعائم الأمن وتوقف كل إنسان عند حده . ولهذا نهى الله سبحانه عن كتمانها وحكم على كاتمها بالإثم فقال (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)

أما شهادة الزور فقد نهى الله تعالى عنها فقال (واجتنبوا قول الزور) وجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعدل

الإشراكَ باللهِ وعقوقَ الوالدَيْنِ فَفِى الحديث (ألا أنبئكم بأكبرِ الكبائرِ قلنا بلى قال الإشراكُ باللهِ وعقوقُ الوالدينِ وكانَ متكئًا فجلسَ وقالَ ألا وقولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ ، فمازالَ يكررُها حتى قلنا ليتهُ سكتَ) ومدحَ اللهُ الذينَ لا يشهدونَ الزورَ وسماهم عبادَهُ فقالَ (وعبادُ الرحمنِ الذينَ يمشونَ على الأرضِ هوْنًا) إلى أنْ قالَ (والذينَ لا يشهدونَ الزورَ) وذلكَ لِمَا يترتبُ عليها منَ المفاسدِ والمضارِّ للخاصةِ والعامةِ والأفرادِ والأمةِ — نحنُ فى حاجةٍ شديدةٍ إلى المعاملةِ والناسُ ليسوا سواءً منْ حيثُ الأمانةُ وعلوُّ النفسِ وطهارةُ الذمةِ : فمنهمْ منْ إنْ تأمنهُ بقنطارٍ يؤدهِ إليكَ ومنهم منْ إنْ تأمنهُ بدينارٍ لا يؤدهِ إليكَ إلاّ مادُمتَ عليهِ قائمًا . ولهذا علّمَ اللهُ عبادَهُ كيفَ يحترسُونَ فى معاملاتِهم فقالَ (يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا تداينتمْ بدينٍ إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوهُ) وقال (وأشهدُوا إذا تبايعتمْ) فإذا ضاعتِ الثقةُ بالشهداءِ ضاعتِ الحقوقُ وقلَّ التعاملُ وكثرتِ الجناياتُ وهناكَ الطامةُ الكبرى

لذلك كانت شهادة الزور من أكبر الكبائر كما جاء في الحديث الشريف.

شهادة الزور قد تجعل الغني فقيراً والعزيز ذليلاً والبرئ مظلوماً. شهادة الزور تزعج النفوس المطمئنة، وتثير الضغائن الكامنة، وتمحق المودات القديمة، وتخرب البيوت العامرة وتزيل الأمن على الأرواح والأعراض والأموال: ترى الرجل مطمئناً في بلده متمتعاً بأهله وأولاده لم يقترف سيئة ثم لا تلبث أن تراه بعيداً عن أسرته، مجرداً من أملاكه، أو مزجوجاً به في أعماق السجون: أو محكوماً عليه بالإعدام كل ذلك بسبب شهادة زور تبرع بها فاسق أوجاد بها ضال ما أقبح شهادة الزور: كم خربت دياراً، ويتمت أطفالاً وسلبت أموالاً، وسفكت دماء، وأزهقت أرواحاً بريئة، وهتكت أعراضاً، وبرأت جناة وزعزعت أركان أمن، وقوضت دعائم مدنية — كثيراً ما يفتضح شاهد الزور ويتبين أمره أمام القضاء فيزج به في السجون، ويذوق فيها

عذابَ الهونِ . ولَئِنْ خَفِيَتْ حالهُ علَى الحاكمِ فَلَيْسَتْ تخفَى على اللهِ ولا على المَشْهودِ علَيهِ ولا على أَقارِبِه وأَصْدِقائِهِ الذين يَنْتَهِزُونَ الفُرَصَ للإِيقاعِ به والانتقامِ منهُ

فَعَلَيْنا أَنْ نُؤَدِّيَ الشهادةَ على وَجْهِها وأَنْ نَحُثَّ علَيْها بقدرِ استطاعتِنا حتى لاتكونَ عُرْضَةً لِعذابِ اللهِ تعالى وعُقوبةِ القَضاء وانتقامِ النَّاسِ ونحو لنَضَعْ نُصْبَ أَعيُنِنا أنَّ منْ شَهِدَلَنا زوراً اليومَ سيَشْهَدُ عَلَيْنا غداً كذلكَ

﴿ ٨ — حُسْنُ المُعامَلَةِ ﴾

قالَ اللهُ تعالى (ولاَ تَستَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السيِّئَةُ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فاذا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وما يُلَقَّاها إلاَّ الذِينَ صَبَرُوا وما يُلقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عظيمٍ)

(التفسير)

الحسنة مامدحه الشرع واطمأنت اليه النفس السيئة مادمه الشرع وتألمت منه النفوس الطاهرة . عداوة تباغض وتشاحن . ولى حميم صديق قريب الصبر حبس النفس على المكروه . الحظ النصيب من الخير والفضل

أرشدتنا هذه الآية الكريمة إلى ركن عظيم من أركان المعاملة في هذه الحياة الدنيا وبينت لنا النتيجة التي تترتب على العمل بفحواها إذ لا يخفى أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه . وأنه لا يمكنه أن يقوم وحده بجميع حاجاته الضرورية ، فهو مفتقر لإخوانه مضطر لمعاونتهم له

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فمن أراد أن يعيش هادئ البال مطمئن الخاطر محبوباً عند إخوانه : إذا افتقر مانوه . وإذا احتاج ساعدوه يلزمه أن يعمل بنص هذه الآية فيكون لين الجانب حسن المعاملة

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسان

إذا اعتدى عليك معتد بسلب أو سب ثم أمكنك الله منه فجعلت العفو بديلاً عن العقاب فقد أحسنت معاملته

إذا كنت معلماً فأرشدت تلاميذك إلى الطريقة المثلى

ونَصَحْتَ لهم فى التّعليمِ ولم تَضِنّ عليهمْ بما فيه مَصلَحَتِهِمْ فقد أَحْسَنْتَ مُعَامَلَتَهمْ . إِن كُنتَ تِلميذاً فامتثلتَ أوامرَ معلميك واشتغلتَ بتأديةِ واجبِكَ على النَّحوِ الذى يُحبه معلّمُوكَ فقدْ أحسنْتَ معاملتَهمْ إنْ كُنْتَ طبيباً فبذلتَ ما فى وُسْعِكَ فى تخفيف الآلامِ ومساعدةِ المَرْضَى فقدْ أَحْسنْتَ مُعَامَلتهمْ . إنْ كُنْتَ محامياً فقُمْتَ بنصفةِ المظْلوم وأنَرْت الطريق للقاضى ولم تمالئْ ظالماً على ظُلمهِ فأنتَ حَسَنُ المعاملَةِ . إنْ كُنْتَ قاضيا فأيدْتَ العدْلَ وأوضحْتَ طرُقَهُ ورفعْتَ منارَهُ وأوْصلتَ الحقوقَ إلى أرْبابها فأنتَ حسنُ المُعاملةِ إنْ كُنْت مُوَظَّفاً فقُمْتَ بعملكَ على النّحْوِ المَطْلوبِ منكَ وأخلصْتَ فى تأديتِهِ فأنْتَ حسنُ المعَاملةِ

لَعَمْرُ اللهِ إنّ خلقاً هذا شأنهُ وتلكَ حالهُ لجديرٌ بأنّ يبذُلَ النّاسُ مُهَجَهُمْ فى الحصُولِ علَيه والوصول اليهِ ليكونُوا ممّنْ رَضىَ اللهُ عنْهُم وأقبلَ النّاسُ عليهمْ

ترى تجارَةَ بعضِ الناسِ كاسِدَةً لا تُقبلُ عليها إنسانٌ ،

قلّ ثمنها وجادَ نوعُها. ونرى سلعَ بعضهم الاخرَ يُقبِل الناسُ مع ارتفاع ثمنها وربما كانت أقلّ جودةً من سابقتها فلمَ هذا ، أليسَ ذلك لأنّ الأوّل قد عرفَ كيفَ يُحسن المُعاملة ويستجلب مودّةَ النّاسِ ويجذبُ قلوبَهُمْ بما يَرونهُ من حُسنِ أخلاقه ولينِ كلامه : يهشُّ للناس ، ويبشُّ في وجوههم ، ويُكرمهم ، مع لُطفٍ في المعاملةِ وأدبٍ في المجاملةِ ، إلى غير ذلك مما يجمعُ قلوبَهُم عليه ويجلبُ مودّتَهم إليهِ وهو مصداقُ قوله تعالى (ادفعْ بالّتي هيَ أحسنُ فإذا الذي بينَكَ وبينَه عداوةٌ كأنّهُ وليٌّ حميمٌ) وفي هذا القدر كفاية والله وليُّ الهداية، في البدء والنّهايه



الفهرس باختصار